المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

من خلال سورتي الأنفال والتوبة

جمعًا ودراسة وتحليلاً

بحث مقدم لنيل درجة (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:
ندين بنت مصطفى بن علي السليمي
الرقم الجامعي: ٤٢٧٨٠١٨٩

إشراف فضيلة الدكتور:
عبد الله بن علي الغامدي

١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه الرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير وعنوانها: (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، جمعًا ودراسة وتحليلاً).

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد فاشتمل على مدخل إلى علم المناسبات، وتعريف بالإمام الطاهر بن عاشور، وذلك من خلال ترجمته، وبيان أهم مراحل حياته، ومكانته العلمية، إلى جانب أهم مؤلفاته، كما اشتمل على تعريف بتفسير التحرير والتنوير، وبيان موقف الطاهر من علم المناسبات، وتوضيح منهجه في إيرادها.

وأما الفصل الأول فتضمن دراسة المناسبات في سورة الأنفال، وبيان أثرها، وعددها ٧٧ مناسبة.

وأما الفصل الثاني فتضمن دراسة المناسبات في سورة التوبة، وبيان أثرها، وعددها ١٠٢ مناسبة.

ثم الخاتمة واحتوت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ومنها: أهمية علم المناسبات وما فيه من وجوه الإعجاز، وأن بيان المناسبة يعتمد على التأمل والتدبر من قِبل العلماء بشروط وصفات معينة، وأن المناسبات موجودة وفيها رد على كل طاعن مشكك في ترابط القرآن الكريم، وأنه لا ينبغي في طلبها التكلف. وأن الطاهر بن عاشور من العلماء المهتمين بهذا العلم، ولم يكن فقط ناقلاً عمّن سبقه بل أيضًا جاء بمناسبات مستقلة، وقد بحث المناسبات بين الآيات والمقاطع وجمل الآية الواحدة، ولم يبحث المناسبات بين السور.

ثم ختمت الرسالة بعشرة فهارس كاشفة عن محتوياتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

الطالبة

ندين بنت مصطفى بن علي السليمي

Abstract

Title: (Connections And their effects in explaination of edition and illumination By AL Taher Bin Ashoor through surat AL Anfal, And Al Tawbah collection, studying and criticism).

It consists of introduction, preface, two chapters, conclusion and indexes.

The introduction included the subject importance, reasons of choice, in addition to previous studies, methodology and the plan.

The preface included an introduction to the Science of connections, sheik Taher Bin Ashoor autobiography, the main stages in his life, his scientific position beside his most famous volumes, as it contained a definition of editing and illumination explanation, illustration of AL Taher situation toward connections Science and his methodology in them.

Chapter one: involved the study of connections in Surat AL Anfal and their effect (77 connections).

Chapter two: involved the study of connections in Surat AL Tawbah and their effect (102 connections)

The conclusion which involved the most important results that were achieved.

Finally I ended the study with the ten indexes that recover it's contents.

Thank Goodness firstly and finally.

Graduator Nadeen Bint Mustafa Bin Ali AL Sulaimi

مقدمة

الحمد لله مجري الأمور تقديرًا وتدبيرًا ، مُنزِّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين. أما بعد:

لما كانت معجزة الإسلام الخالدة هي القرآن الكريم، وكان كل ما فيه حجة باهرة للمؤمنين، وبرهانًا قاهرًا للمغرضين، ولما كانت العلوم تنال شرفها بمنزلة المعلوم ومكانته، فإن أشرف العلوم هو ما كان متعلقًا بكتاب الله تعالى وبعلومه؛ لذا انبرى كثير من علماء هذا الدين _ قديمًا وحديثًا _ في البحث عن أسراره ودقائقه، ودراسة سوره وآياته ومقاطعه، وتخصيص جُلِّ أوقاتهم في تأمله وتدبره في كافة الجوانب، وإظهار وجوه إعجازه لأنه كتاب شامل صالح لكل زمان ومكان.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ، عالم تونسي جليل، شهد له علماء عصره بشتى المناقب والمآثر، هو الإمام الطاهر بن عاشور ، صاحب التفسير المشهور باسم : (تفسير التحرير والتنوير)، وقد اهتم جمع من الباحثين بهذا التفسير من جوانب متعددة، وقد كان علم المناسبات من أحد الجوانب المهمة في هذا التفسير، فتوجهت إليه أنظار عدد من طلاب وطالبات الدراسات العليا بقسم الكتاب والسنة، واختير ليكون موضوع بحوث لأطروحاتهم في الماجستير ، وقد رغبتُ في المشاركة في هذا العمل العلمي ووقع اختياري فيه على دراسة المناسبات من خلال سورتي الأنفال والتوبة، وكان تحت عنوان : (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، جمعًا ودراسة وتحليلاً). حيث أقوم بتتبع المناسبات التي ذكرها الطاهر في تفسيره من خلال تلك السورتين، ثم أُبيّن أثرها.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبّ ويرضى، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع فيما يلي:

١_ يعدُّ تفسير التحرير والتنوير من التفاسير النافعة الجليلة، ولا يخفى استفادة كثير من الباحثين والمتخصصين مما حواه من التفسير وعلوم القرآن واللغة بجوانبها المتعددة.

٢_ مكانة الطاهر بن عاشور العلمية بين العلماء، وقيمة مؤلفاته وسعة علمه.

٣ــ منزلة علم المناسبات وقيمته، واهتمام الطاهر به في تفسيره واجتهاداته فيه.

٤ــ جمع ما كان منثورًا من مناسبات في تفسير التحرير والتنوير واستخلاصه يُعدُّ عملاً مُهمًا في خدمة علم المناسبات.

٥ــ اهتمام الطاهر بهذا العلم هو استمرار لجهود العلماء السابقة في علم المناسبات مما منح الطاهر تميّزًا فيه وتمكّنًا، واستفادة من جهودهم المتقدمة.

٦ــ كثرة الأقوال في بيان المناسبات واختلافها من مفسّر إلى آخر، فكان العمل على جمع تلك الأقوال ودراستها، وبيان أنسبها وألطفها علمٌ غزير وخيرٌ كثير.

٧ــ يردُّ علم المناسبات على مزاعم المستشرقين المشككين في ترابط أجزاء القرآن الكريم، ويلزمهم بالقول الحق.

٨ــ يزيد علم المناسبات من يقين العبد وإيمانه من خلال إبرازها وإظهارها.

أسباب اختيار الموضوع:

- لم أجد ــ في حدود إطلاعي ــ بحثًا تناول دراسة المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير وتحليلها.
- ارتباط علم المناسبات بالقرآن الكريم، والعمل على ذلك هو أجلُّ ما فنيتْ فيه الأعمار، وصُرفتْ فيه الأوقات.
- محاولة المشاركة في عمل يتعلق بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، ولو بجهدٍ قليل، وعملٍ يسير، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الدراسات السابقة:

إن أغلب الدراسات على هذا التفسير الجليل تفسير التحرير والتنوير قد تناولَتْه من جوانب لغوية وبلاغية، ومن هذه الدراسات:

١ــ ابن عاشور ومنهجه في التفسير، سعيد مطلك هدب، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، ١٩٨٦م.

٢ــ تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية وتقليدية، جمال محمود أحمد أبو حسان، رسالة ماجستير في جامعة الأردن، ١٩٩١م.

٣ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره (التحرير والتنوير)، هيا ثامر مفتاح العلي، رسالة دكتوراه، نشر: دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٤م.

٤ـ ابن عاشور ومنهجه في التفسير ، عبد الله بن إبراهيم الريس ، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه، ١٤٠٥هـ.

٥ـ مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٦ـ المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حؤاس بزي.

٧ـ خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، إبراهيم بن علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٨ـ أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير)، مشرف بن أحمد بن جمعان، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٩ـ علم التناسب القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوي، دراسة تطبيقية ، الجزء الأول والثلاثون من القرآن الكريم، إعداد خالد محمود العزام ، جامعة اليرموك بالأردن.

حدود البحث:

هذا البحث ـ بعون الله تعالى ـ يركز على دراسة المناسبات وأثرها من خلال سورتي الأنفال والتوبة.

خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وحدود البحث، والخطة.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات، ونشأته .

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات.

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات.

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف، والكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات.

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

الفصل الأول: سورة الأنفال، وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

الفصل الثاني: سورة التوبة، وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس: وتتضمن الآتي:

١ــ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
٢ــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
٣ــ فهرس الآثار.
٤ــ فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥ــ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
٦ــ فهرس القبائل.
٧ــ فهرس الأماكن والبلدان.
٨ــ فهرس الأبيات الشعرية.
٩ــ فهرس المصادر والمراجع.

١٠ــ فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكتُ المنهج التالي في البحث:

- حصر المناسبات التي ذكرها الطاهر في سورتي الأنفال والتوبة.
- إيراد أقوال بعض المفسرين في تلك المناسبات ــ إن وجدت ــ، لموازنة أقوال الطاهر بها، وقد اعتمدتُ على خمسة تفاسير وهي:

١ــ المحرر الوجيز لابن عطية.

٢ــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي.

٣ــ البحر المحيط لأبي حيان.

٤ــ نظم الدرر للبقاعي.

٥ــ روح المعاني للألوسي.

- السبب في اختيار هذه التفاسير هو شهرة أصحابها في الاهتمام بالمناسبات في تفاسيرهم، وقد اعتمدتُ في ترتيبهم عند نقل أقوالهم على الترتيب الزمني حسب أقدمهم وفاةً.
- إيراد الآية أو الآيات التي ذكر الطاهر فيها مناسبةً، ثم إتباعها بكلامه، ثم أقوال المفسرين، سواء وافقهم أم لا.
- دراسة الأقوال وموازنتها، ثم الخلوص في ضوء ذلك كله إلى ما هو أنسب.
- بيان أثر المناسبة بعد دراستها، وأثرها يعني دلالتها وما ينتج عن تلك الدلالة، سواء كان أثرًا عامًا أو خاصًا، وسواء كان على المعنى أو على البلاغة والبيان ...الخ. وأحيانًا أذكر أثر المناسبات في ختام دراسة مناسبات الآية الواحدة ككل.
- بيان منهج الطاهر في إيراد المناسبات من خلال تفسيره لسورتي الأنفال والتوبة فقط.
- الاعتماد على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية، بقراءة حفص عن عاصم.
- ذكر رقم الآية القرآنية ثم اسم السورة في الحاشية.
- عند تكرار الآية في نفس الصفحة فأكتفي بإثباتها في المرة الأولى.
- الآية أو الآيات المعنية بالمناسبة فإني أ ثبتها فقط في المرة الأولى مهما تعددت المناسبات المذكورة فيها كمناسبة الختام وما شابه، وأيضًا إذا تكررت أجزاء منها في الأقوال المنقولة.

- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما دون غيرهما، وإن كان من غيرهما فأخرجه من مظانه، ثم أذكر حكم العلماء عليه، فإن لم أجد اجتهدتُ في بيان حكمه من خلال دراسة إسناده.
- عند تخريج الحديث أُبيّن اسم الكتاب والباب، ثم الجزء والصفحة، ورقم الحديث.
- توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية، وذلك بذكر اسم المصدر مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة في المرة الأولى التي يرد فيها ذكر المصدر، وإذا ورد المصدر مرة أخرى فلا أذكر اسم مؤلفه.
- المصادر التي تتشابه أسماؤها، ويختلف مؤلفوها، فإني أذكر اسم المصدر، واسم مؤلفه في كل مرة تمييزًا لها.
- اختصرت بعض أسماء المصادر عند العزو إليها بعد المرة الأولى، وهي (مرتبة أبجديًا):

١ــ الإتقان في علوم القرآن: الإتقان.

٢ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: الاستيعاب.

٣ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة: أسد الغابة.

٤ــ الإصابة في تمييز الصحابة: الإصابة.

٥ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: البدر الطالع.

٦ــ البرهان في علوم القرآن: البرهان.

٧ــ تاج العروس من جواهر القاموس: تاج العروس.

٨ــ تناسق الدرر في تناسب السور: تناسق الدرر.

٩ــ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: إرشاد العقل السليم.

١٠ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: جامع البيان.

١١ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الدرر الكامنة.

١٢ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: روح المعاني.

١٣ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شذرات الذهب.

١٤ــ علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للشيخ الإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل السيوطي: علم المناسبات.

١٥ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: فتح القدير.

١٦ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الكشاف.

١٧_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المحرر الوجيز.

١٨_ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: مصابيح الدرر.

١٩_ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: مصاعد النظر.

٢٠_ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: معرفة القراء الكبار.

٢١_ المناسبات في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي: المناسبات في القرآن الكريم.

٢٢_ نظم الدرر في تناسب الآي والسور: نظم الدرر.

٢٣_ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان: وفيات الأعيان.

- الترجمة للأعلام الذين ذُكروا في متن البحث عند ذكرهم للمرة الأولى _ على قدر الاستطاعة_ ترجمة موجزة، وعدم الترجمة للمشهورين منهم كالخلفاء الراشدين ونحوهم، وبعض المؤلفين المعاصرين كعائشة بنت الشاطئ، وعبد الحميد طهماز، وعبد الرحمن حسن حبنكة، فلم أقف على ترجمة لهم.
- الإحالة إلى أهم مصادر الترجمة الأصلية على قدر المستطاع.
- عزو الأبيات الشعرية إلى قائلها، ومصادرها المعتبرة.
- التعريف بالأماكن من مصادرها المعتبرة.
- استخدام الأنواع التالية من الأقواس في متن البحث:

﴿ ﴾ للآيات القرآنية الكريمة.

" " للأحاديث النبوية الشريفة.

(( )) للآثار والنصوص المنقولة.

- ضبط الألفاظ المُشكِلة بالشكل، وشرح الغريب.
- تذييل البحث بعشرة فهارس، اعتمد فيها الترتيب الهجائي، ما عدا فهرس الآيات القرآنية اعتمد فيه ذكر اسم السورة، ورقم الآية، حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.

شكر وتقدير

أحمدُ الله تعالى على ما أنعم وتيسّر، وتفضّل وامتن وسَخّر، وعلى ما لطف به وقدّر، فله الحمد في الأولى والآخرة، له الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلقد تجلّت ألطافه ونعماؤه، وغمرتني رحماته في كل حين دائمًا وأبدًا، أسأله سبحانه أن يجعله عملاً خالصًا نافعًا مقبولاً، وأن ينفعني بما علّمني ويعلّمني ما ينفعني ويزيدني علمًا بفضله وكرمه.

ثمّ الشكر لوالديّ الحبيبين، فلم يقصّرا جهدًا في تعليمي ود عمي منذ الصغر، وفي تشجيعي على العلم النافع لأنفع نفسي وغيري بما أستطيع، ولم يدخرا وسيلة إلا و سخّراها في إعانتي على إنهاء هذا البحث، ولَكَم أحاطتني دعواتهما ليلاً ونهارًا وفي كل حين، فاللهم أدم عليهما الصحة والعافية وأكرمهما وارحمهما كما ربياني صغيرًا.

ثم الشكر لإخوتي الأعزاء، على دعمهم ومتابعتهم ودعواتهم.

ولا أنسى في هذا المقام أستاذتي الحبيبة الراحلة يمان علي الطنطاوي ـ رحمها الله ـ بالدعاء، فاللهم وسّع لها في قبرها، وآنس وحشتها، وارفع درجتها في عليين.

وأتقدّم بالشكر الجزيل، والدعاء الصادق، للدكتور الفاضل عبد الله بن علي الغامدي الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، على اهتمامه وتوجيهاته، وعلى ثمين وقته وعلمه، وعلى كرم أخلاقه، فبارك الله في جهوده، وأَتمّ عليه الصحة والعافية الوافرة، وجزاه عني خير الجزاء.

والشكر موصول لأستاذنا الفاضل د. إسماعيل الميمني على إرشاده ومساعدته، وللجنة المناقشة لتفضّلها بمناقشة هذا البحث، وإلى كل أساتذتي الفضلاء في قسم الكتاب والسنة، الذين نهلتُ من علمهم الجمّ.

وشكري إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ووحدة المواد العامة للثقافة الإسلامية ـ مقرُّ عملي ـ ممثلة بمديرها السابق الدكتور الفاضل فايز حابس، ونائبة المدير السابقة الدكتورة الفاضلة إلهام باجنيد، على ما تفضلوا به في تيسير أمور ابتعاثي وتفرغي للماجستير.

وأخص بالشكر الدكتور الفاضل علي بادحدح على جميع جهوده، وأستاذتي الفاضلة عائشة القرني على اهتمامها ودعمها الدائم، والدكتور الفاضل عادل أبو العلا على إهدائه بعض المراجع.

والشكر والعرفان لصديق والدي الدكتور الفاضل خالد بن العربي، والدكتور الفاضل عبد الرحمن الشهري على كل توجيهاتهما ومساندتهما بالمراجع والإرشاد.

فجزى الله الجميع خير الجزاء، وختامًا أسأل الله العلي القدير، أن يغفر لي كل تقصير، وأن يتجاوز عن خطئي، وأن يمنّ ع لي بقبول جهدي المتواضع الذي لا يخلو من نقص، فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته الطالبة
ندين بنت مصطفى بن علي السليمي

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف، والكتاب

المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

المبحث الأول

مدخل إلى علم المناسبات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات، ونشأته

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات، ونشأته

تعريف علم المناسبة:

المناسبة لغة:

من مادة (نسب): وتدور هذه الكلمة حول معانٍ عدة في كتب اللغة تدلُّ على الاتصال والمشاكلة والمقاربة بين شيء وشيء.

فالنسب بمعنى القرابة، والنسيب : المناسب، والتناسب : التشابه، والنسبة : الصلة أو القرابة، والمناسبة المشاكلة(١). تقول: ناسب فلانًا شركه في نسبه وشاكله، يُقال بينهما: مناسبة، ويُقال: ناسب الأمر أو الشيء فلانًا لاءمه ووافق مزاجه، وتناسب الشيئان: تشاكلا(٢).

اصطلاحًا:

المناسبة هي علة الترتيب في الاصطلاح العام(٣).

والمناسبة في **اصطلاح المفسرين وعلماء علوم القرآن:** فقد عرّفها القاضي أبو بكر ابن العربي(٤) بأنها: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني)) (٥).

وذكر الزركشي(٦) أن المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول، تلقته بالقبول(٧).

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني (٤/٢٦٠_ ٢٦٥) ، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مادة "نسب" باب الباء، فصل النون (١/١٧٦).

(٢) انظر المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (٢/٩١٦)، تاج العروس (٤/٢٦٠_ ٢٦١).

(٣) علم المناسبات في السور والآيات، محمد عمر بازمول (ص ٨٤).

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي ، الحافظ أحد الأعلام ، ولد سنة (٤٦٨هـ)، كان من أهل التفنن في العلوم، صاحب التصانيف، (ت ٥٤٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٩٧)، طبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (١/ ١٠٥)، طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (١/ ١٨٠).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (١/ ٤١ _ ٤٢).

(٦) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين ، ولد سنة (٧٤٥هـ)، ألّف تصانيف كثيرة في عدة فنون ، (ت ٧٩٤هـ). انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة (٣/ ١٦٧)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٣٠٢).

(٧) انظر: البرهان، بدر الدين الزركشي (١/ ٤١).

وعرّف البقاعي(١) هذا العلم بقوله: ((علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها)) (٢).

ويمكن القول بأنّ علم المناسبة : علمٌ يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات في السورة، وأوجه الترابط بين السور المتتالية، حتى تُعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم.

نشأة علم المناسبة:

إنّ أغلب من صنّف في علم المناسبات _ قديمًا _ ذكروا قلّة اعتناء المصنّفين بالتأليف في هذا العلم لدقته(٣)، رغم أن بداياته قديمة، فثمّة آثار تُبرز اعتناء الصحابة والتابعين ﷺ بالسياق والنظم والتركيب، فقد كانوا يعرفون المناسبة بسليقتهم العربية، وبإدراكهم لمرامي كتاب الله تعالى.

وصرّح البقاعي بقِدَم علم المناسبات القرآنية، وانتشاره بين الصحابة والتابعين ﷺ، واعتمادهم إياه في فهم آي الكتاب الحكيم، فقال: ((وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون)) (٤).

وذَكَرَ قول ابن مسعود(٥) ﷺ إذ قال: ((إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا، فلْيَسَلْه عما قبلها)) (٦).

---

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين، وكنّى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق صاحب المناسبات، ولد تقريبًا سنة (٨٠٩هـــ)، بقرية خربة روحا، (ت ٨٨٥هـــ). انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (١٤٢/١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٥/١).

(٣) انظر: البرهان (١/ ٤١).

(٤) مصاعد النظر، إبراهيم بن عمر البقاعي (١/ ١٥٣ _ ١٥٤).

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، وأول من جهر بالقرآن في مكة، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، (ت ٣٢هـــ). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (٣/ ٩٨٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير (٣/ ٣٩٤)، الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني (٤/ ٢٣٣).

(٦) انظر: مصاعد النظر (١/ ١٥٤). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ، باب العين، (٩/ ١٤٠)، رقم: [٦٨٩٣]. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه، (٣/٣٦٥)، رقم:[٥٩٨٨].

ومن أقوالهم في هذا الأمر: ((إذا حدثتَ عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله، وما بعده))(١). بل إنّ الأعرابي عرف المناسبة لأصالته ودقة عربيته، قال الأصمعي(٢): ((كنتُ أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي فقرأتُ هذه الآية: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾(٣)، فقلتُ: "وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" سهوًا، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ فقلتُ: كلام الله، قال: أعِد، فأعدتُ "والله غفورٌ رحيم" ثم تنبهتُ فقلتُ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: الآن أصبتَ، فقلتُ: كيف عرَفتْ؟ قال: يا هذا عزيزٌ حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع))(٤). إلى غير ذلك من الآثار التي تدلُّ على معرفتهم بهذا العلم وتطبيقهم له.

والحديث عن المناسبات تناثر في ثنايا كتب التفسير والحديث وأيضًا في كتب البلاغة لكنه لم يُدّون تدوينًا مستقلاً بعدُ، وتمّثلت بداياتُ هذا العلم المسطورة في طيّات كتب السابقين **كالشافعي**(٥) (ت ٢٠٤هـ)، **وابن جرير**(٦) (ت ٣١٠هـ)، فقد اهتموا بالسياق والنظم، والنواحي البلاغية، وفَهم المعاني المعاني على اتساعها، وبناء الكلام بعضه على بعض، وردّ شُبه الطاعنين في القرآن الذي نزل بلغة العرب فأعجزهم وتحدّاهم ببيانه.

أما **أبو بكر النيسابوري**(٧) (ت ٣٢٤هـ) فيعتبر أوّل من بدأ هذا العلم تدريسًا في بغداد، وأوّل من أظهر هذا العلم صريحًا، ولقد نقلت المصادر أنّ أبا بكر كان يجلس على كرسيه ويقول إذا قُرئت عليه

---

(١) انظر: مصاعد النظر (١/ ١٥٤).

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الأصمعي ، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار، أحد الأعلام، كان بحرًا في اللغة لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية ، مات حوالي سنة (٢١٥ أو ٢١٦هـ). انظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٠/ ٤١٠)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (١٩/ ١٢٦)، لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني (٧/ ٢٩٢).

(٣) جزء من الآية (٣٨) من سورة المائدة.

(٤) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (١١/١٨١).

(٥) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ، الإمام الشافعي أبو عبد الله ولد سنة (١٥٠هـ)، ولد بغزة، ونشأ في مكة، قدم بغداد وصنف بها كتابه القديم، ثم ارتحل إلى مصر وصنف بها كتابه الجديد، (ت ٢٠٤هـ). انظر: صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج (٢/ ٢٤٨)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٥).

(٦) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، له التصانيف العظيمة منها: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ولد سنة (٢٢٤هـ)، ومات سنة (٣١٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ٩٥)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٤٨).

(٧) عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل ، الإمام أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه العلامة، رحل في العلم، وكان إمام عصره من الشافعية بالعراق، (ت ٣٢٤هـ). انظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٠/ ١٢٠)، طبقات الشافعية، أبو بكر ابن قاضي شهبة (١/ ١١٠)، سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (١٥/ ٦٥).

الآية: لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يعيب على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة(١).

ثم جاء **الخطابي**(٢) (ت٣٨٨هـ) وبعده **الباقلاني**(٣) (ت ٤٠٣هـ) فيما صنّفاه عن إعجاز القرآن، فأشاد الخطابي بترابط آيات القرآن رغم اختلاف موضوعاته، وبنظمه وسياقه الذي جاء معجزًا يجمع شتات تلك الموضوعات، وبألفاظه التي جاءت في أماكنها المناسبة، وردّ كذلك على شُبه كثير من المغرضين (٤).

أما الباقلاني فقد جعل النظم على أنه التناسق والترابط، وسبق إلى تناول الوحدة الفنية في السور، فبيّن كيف ترتبط الآيات في السورة الكاملة، وأشار إلى وحدة الموضوع من خلال دراسته التحليلية لسورتي غافر وفصلت في كتابه (إعجاز القرآن)، وذكر قواعد مهمة لإدراك وجوه الإعجاز والترابط في الآيات والسور، فلفت النظر إلى حسن الكلمة المفردة، وإلى المقاطع والآيات في السورة الواحدة، وإلى تعانقها على اختلاف ما شملته من قصة وعقيدة وتشريع وأحكام وغيرها، ونبّه على مراعاة الفواتح والخواتم، والمطالع والمقاطع، والفصل والوصل وما فيها من الفصاحة وحسن النظم، ولم يدّخر جهدًا في الرد على مزاعم الطاعنين والملاحدة (٥). وقال الباقلاني في إبراز إعجاز القرآن في نظمه: ((فأما نهج القرآن ونظمه، ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره، وتضل دون وصفه ... واعلم أن هذا علمٌ شريفُ المحل، عظيم المكان... وهو أدق من السحر)) (٦).

وفي القرن الذي يليه أسهم عدد من العلماء في بيان إعجاز القرآن وأسراره، فقد حفل تفسير **الزمخشري**(٧) (ت٥٣٨هـ) صاحب كتاب (الكشاف) بعلمي المعاني و البيان، ووقف على علل ترتيب كثير من الآيات، وعلى الربط بين بعض الآي، وابتدأ كتابه بقوله: ((الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا

---

(١) انظر البرهان، الزركشي (٤٢/١)، الإتقان، السيوطي (٣٢٢/٣).

(٢) الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان ، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، وتوفي سنة (٣٨٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣).

(٣) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصري ، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، الإمام العلامة، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه ، من أكثر الناس كلامًا وتصنيفًا في الكلام، مات سنة (٤٠٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩).

(٤) انظر: المناسبات في القرآن الكريم، د.عبد الله القرني (ص ٥٣_ ٦٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٦١_ ٧٠)، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، د.عادل محمد أبو العلا (ص ٥١).

(٦) إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ص ١٩٧).

(٧) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي ، النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد سنة (٤٦٧هـ)، ومات سنة (٥٣٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ١٢٠)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ١٧٢)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد ابن خلكان (٥/ ١٦٨).

منظمًا)) (١)، ووصف القرآن الكريم بالبناء المرصف عند تفسيره لأوّل سورة هود، وظهر لفظ التناسب في كتابه عدة مرات.

وجاء **ابن العربي** (ت٥٤٣هـــ) فقال في (سراج المريدين): ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه)) (٢).

أما **ابن عطية**(٣) (ت٥٤٦هـــ) فقد تعرّض للتناسب بين الآيات وترابطها في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وذكر أنّ التحدي في القرآن وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه(٤).

ثم جاء **الفخر الرازي**(٥) (ت٦٠٦هـــ) بتفسيره (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، وتعدّه المصادر من من أكثر مَنْ تناول التناسب في عصره، حيث قال : ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)) (٦)، واعتنى ببيان المناسبات بين الآية والآية، وبين أجزاء الآية الواحدة، وبين الافتتاح والختام، ويظهر تعرضه للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم في أكثر من موضع حيث قال : ((القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض،.... وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضًا، ويُبين بعضها معنى بعض)) (٧). (٧). ويُقال أنه أوّل من استخدم مصطلح المناسبة عند تفسيره آخر سورة المائدة، وربطه أولها بآخرها (٨). (٨).

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥/١).

(٢) انظر: الإتقان (٣٢٢/٣).

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الغرناطي، الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد القاضي ، كان فقيهًا عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير ، بارع الأدب، بصيرًا بلسان العرب ، ولد سنة (٤٨١هـــ)، ومات سنة (٥٤٦هـــ). انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ٦٠)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ١٧٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية (٥٢/١).

(٥) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي بن الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري ، المفسر المتكلم، ولد سنة (٥٤٤هـــ)، قال ابن خلكان: "فريد عصره، شهرته تغني عن استقصاء فضائله"، له التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، مات سنة (٦٠٦هـــ). انظر: طبقات الشافعية (٢/ ٦٥)، طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ١١٥)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢١٣).

(٦) البرهان (٤١/١)، الإتقان (٣٢٢/٣).

(٧) انظر: التفسير الكبير، الرازي (١٨٩/٣٠) ، (٣٠، ١٩٠)، (٩٨/٣٢).

(٨) انظر: المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير، محمد مذكور (ص ٢٣).

وتوالت بعد ذلك المصنّفات ككتاب (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل) **لأبي الحسن علي بن أحمد الحرّالي**(١) (ت٦٣٧هـ)، وقد علّق البقاعي على هذا الكتاب في نظمه، فقال بعد إطلاعه عليه: ((وانتفعتُ في هذا الكتاب ــ يعني نظم الدرر ــ كثيرًا بتفسير على وجه كلي، للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي ... سمّاه (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل)، وكتاب العروة لهذا المفتاح ... وقد ذكرتُ أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوًا إليه في مواضع تليق به، ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءًا من تفسيره فيه من أوله إلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾(٢)، فرأيته عديم النظير، وقد ذكرت فيه المناسبات، وقد ذكرتُ منها ما أعجبني وعزوته إليه))(٣).

وأوّل من أفرد علم المناسبات بالتصنيف هو **أبو جعفر بن الزبير الأندلسي الغرناطي**(٤) (ت ٧٠٨هـ)، بكتاب سمّاه: (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، قال عنه البقاعي: ((وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات))(٥). وهو أول كتاب أُلّف في مناسبات السور.

وأيضًا له كتاب في تفسير الآيات المتشابهات سمّاه: (ملاك التأويل) لفت فيه النظر إلى الارتباط بين الآيات والسياق، وكذا إلى المناسبة مع موضوع السورة والألفاظ والصيغ والمعاني المتكررة ، حيث يقول جوابًا عن ما هو وجه تخصيص سور الحمد الخمسة بأوصاف لله تعالى معينة بعد افتتاحها بالحمد، وننقل ما ذكره في سورة فاطر : ((وأما سورة الملائكة، فمناسبة وصفه تعالى باختراع السموات والأرض لما ذكره من خلق عامري السموات من الملائكة، وجعلهم رسلاً أولي أجنحة، وإمساكه السموات والأرض

---

(١) علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي ، ولد بمراكش، ولقي العلماء وجال في البلاد، وشارك في فنون عديدة، ومال إلى علم الكلام وأقام بحماة مدة، قال الذهبي: "له تفسير فيه عجائب"، (ت ٦٣٧هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٢٠)، طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ٧٦)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٧٣).

(٢) جزء من الآية (٣٣) من سورة آل عمران.

(٣) نظم الدرر، البقاعي (٧/١).

(٤) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم ، العلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي، ولد سنة (٦٢٧هـ)، نزيل غرناطة، قال صاحب طبقات المفسرين: " قد صنف البرهان في تفسير القرآن، ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها ، وصنف ملاك التأويل في فن التفسير ، مؤلف ضخم الحجم لخص فيه كتاب العلامة القاضي الحصنكيفي وزاد عليه من التفسير ما يحتاج إليه المفسرون والمصنفون "، ثم ذكر أن وفاته كانت في سنة (٩٨٠هـ) والأصح أنه مات سنة (٧٠٨هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (١/ ٩٦)، شذارت الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي (٦/ ١٦)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٣٩٧).

(٥) نظم الدرر (٥/١).

أن تزولا، أبين شيء وأوضحه، وليس شيء من هذه الأوصاف العلية بمناسب لغير موضعه كمناسبة موضعه الوارد فيه)) (١).

وحكى الزركشي عن الشيخ **كمال الدين الزملّكاني** (٢) (ت٧٢٧هـ) صاحب كتاب (البرهان في إعجاز القرآن)، أنه تحدّث عن المناسبات في بعض دروسه، فذكر مناسبة افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، وافتتاح سورة الكهف بالتحميد، وربط بين فاتحة كل سورة وموضوعها، وأثرها في ترتيبها، ثم تعقيبه على ذلك بقوله: ((فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة. وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة)) (٣).

وذكر **أبو حيان الأندلسي** (٤) (ت٧٤٥هـ) أنه اعتنى في تفسيره: (البحر المحيط) بالمناسبات، حيث قال في مقدمته: ((ثم أشرع في تفسير الآية ذاكرًا سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها)) (٥).

أما **بدر الدين الزركشي** (ت٧٩٤هـ) فقد جَعَلَه النوع الثاني من كتابه (البرهان في علوم القرآن)، وأسماه: (معرفة المناسبة بين الآيات)، وتعقّب فيه هذا العلم من حيث تعريفه ونشأته ومَنْ كتب فيه، ثم أطال النفس في عرض أمثلة عن المناسبات القرآنية بين السور المتجاورة، وبين الآيات في السورة الواحدة.

ثم جاء **برهان الدين البقاعي** (ت ٨٨٥هـ)، بكتابيه العمدة في هذا الفنّ: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهو تفسير التزم فيه بيان مناسبة الآي والسور، وبناه على المناسبات، ويعدُّ من أوسع المصادر التي تناولت المناسبة، أما الثاني: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، فأورد فيه وصف علم المناسبات، وأصله، وأسراره، وحقيقته، والداعي إليه، وتعريفه، ونسبته، وكيفيته، والإجادة فيه، وموضوعه آيات السور، ويُقصد منه معرفة مقاصد السور كما ذَكَر هو في كتابه.

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (١/ ١٥٨).

(٢) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم، الشيخ الإمام العلامة، كمال الدين أبو المعالي المعروف بابن الزملكاني، ولد سنة (٦٦٧هـ)، سمع من جماعة وطلب الحديث بنفسه، وأطلق عليه الذهبي عالم العصر وكبير الشافعية، (ت ٧٢٧هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٤/ ١٥١)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٩١)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (٢/ ٢١٢).

(٣) البرهان (١/٤٤).

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، أبو حيان، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر النحوي اللغوي، ولد بغرناطة سنة (٦٥٤هـ)، وكان إمامًا منتفعًا به، وصنف التصانيف السائرة، وله البحر المحيط في التفسير، (ت ٧٤٥هـ). انظر: طبقات الشافعية (٣/ ٦٧)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٧٨).

(٥) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (١/١٠٣).

ويأتي **الحافظ جلال الدين السيوطي** (١) (ت٩١١هـ) بعدة كتب في هذا العلم، وهي : (أسرار التتريل) ووصفه بأنه جامع لمناسبات السور والآيات، ومناسبة أسماء السور، وأوائلها لأواخرها، ومناسبات الفواصل، مع ما تضمّنه من بيان لوجوه الإعجاز، وأساليب البلاغة وغيرها، جعلها في بضعة عشر نوعًا، وقد عرض لجميع سور القرآن بالترتيب، ويسمى أيضًا "قطف الأزهار في كشف الأسرار" وقد ذكره السيوطي في فهرست مؤلفاته، ثم لخّص مناسبة السور منه في جزء لطيف سمّاه: "تناسق الدرر في تناسب السور"، قال السيوطي في مقدمته : ((وقد أردت أن أفرد جزءًا لطيفًا في نوع خاص من هذه الأنواع، وهو: مناسبات ترتيب السور، ليكون عجالة لمريده، وبغية لمستفيده، وأكثره من نتاج فكري، وولاد نظري، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك. وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه، ولا أذكر منه إلا ما استحسن، ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاً سميته: نتائج الفكر في تناسب السور، لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه. ثم عدلت وسميته : تناسق الدرر في تناسب السور، لأنه أنسب بالمسمى وأزيد بالجناس)) (٢).(٣)

ثم أتى السيوطي بكتاب آخر في علم المناسبات أسماه : (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، ويظهر من تسميته اعتناؤه بالمناسبة بين أول السورة والمسماة مطلعها، وبين آخرها ويسمّى المقطع، حيث قال في مقدمته: ((فإن من علوم القرآن العظيم: مناسبة مطالع السور ومقاطعها، كما أوضحته في الإتقان وكتاب أسرار التتريل)) (٤).

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، ابن الهمام الجلال بن الكمال بن ناصر الدين السيوطي الشافعي ، لقبه والده بجلال الدين، ولد سنة (٨٤٩هـ)، وكنّاه العزّ الكناني بأبي الفضل، له مؤلفات كثيرة، منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والجامع الصغير في الحديث، (ت ٩١١هـ). انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٤/ ٦٥)، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ العيدروسي (١/ ٥١)، شذارت الذهب (٨/ ٥١)، معجم المؤلفين، عمر كحالة، طبعة دار إحياء التراث العربي (٥/ ١٢٨).

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله الدرويش (ص ٢٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٩). وقد حققه الأستاذ عبد الله الدرويش، وطبعَتْه عالم الكتب ببيروت، وقد ذكر المحقق أنه عندما انتهى من تحقيقه للنص ظهر له أن هذا الكتاب مطبوع باسم آخر وهو : (أسرار ترتيب سور القرآن) وبتحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا في سلسلة نوادر التراث، ولكنه تابع إخراج تحقيقه _كما يقول المحقق _ لأهمية الكتاب رغم تغيير عنوانه؛ ولما حوته طبعة الأستاذ عبد القادر من أخطاء ولم أطلع على نسخة الأستاذ عبد القادر، لكنني حصلتُ على الكتاب نفسه وبالعنوان نفسه : "أسرار ترتيب سور القرآن " بتحقيق: رضى فرج الهمامي، طباعة المكتبة العصرية، وقارنتها بالكتاب الذي يحمل العنوان الأصلي الذي أطلقه السيوطي: " تناسق الدرر في تناسب السور " بتحقيق الأستاذ عبد الله الدرويش، فلم أجد سوى اختلافات يسيرة في الألفاظ وبعض المسميات في مقدمة المؤلف، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف نسخ التحقيق، والله أعلم. انظر: أسرار ترتيب سور القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: رضى فرج الهمامي (ص ٥_ ١٥). تناسق الدرر (ص ٢٣ _ ٣٣).

(٤) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (ص ١٢١).

بالإضافة إلى كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فقد خصص النوع الثاني والستين للمناسبات، وجعله في مناسبات الآيات والسور، وذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في برهانه، وزاد عليه في الأمثلة.

ومن التفاسير التي اعتنت بالمناسبات في القرن العاشر الهجري: تفسير **أبي السعود**⁽١⁾ (ت ٩٨٢هـــ) المسمّى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، فهو يهتم بإظهار وجوه المناسبات بين الآيات.

ثم جاء **أبو الثناء شهاب الدين الألوسي** ⁽٢⁾ (ت ١٢٧٠هـــ) بتفسيره الذي أسماه: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، ويعدُّ تفسيره الجامع لخلاصة تفاسير مَن سبقه، ولقد اعتنى بإظهار وجه المناسبة بين السور عند تفسيره لكل سورة، وكذا بين الآيات.

وكذا **سيد قطب** ⁽٣⁾ (ت١٣٨٧هـــ) وكتابه: (في ظلال القرآن) فقد سار على نمط جديد، وتعرّض للتناسب بأسلوب بياني أدبي، وأن لكل سورة وحدة موضوعية وشخصية مميزة على حدّ تعبيره كما بيّن ذلك في كتابه.

ثم جاء **الطاهر بن عاشور**⁽٤⁾ (ت ١٣٩٣هـــ) في تفسيره الشهير (التحرير والتنوير) حيث قال : ((واهتممتً أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو مترع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقًا على المفسر...))، وقال: ((لم أغادر سورة إلا بينتُ ما أحيط به من أغراضها؛ لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته، ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة، تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله)) ⁽٥⁾. وقد ساق مقدمة كاملة في الحديث عن أغراض السور، مراعيًا مقاصد الشريعة، واعتنى بذكر المناسبات بين الآية والتي قبلها، وبين

---

(١) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الإمام العلامة أبو السعود، ولد بقرية قريبة من قسطنطينية، وقد عاقه الدرس والفتوى عن التفرغ للتصنيف، سوى أنه اختلس فرصاً وصرفها إلى التفسير الشريف ، وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأذهان، ولم تقرع بمثله الآذان ، (ت ٩٨٢هـــ). انظر: طبقات المفسرين، الأدنهوي (١/ ٣٩٨)، شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨).

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، ولد ببغداد سنة (١٢١٧هـــ)، ومات فيها سنة (١٢٧٠هـــ). انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (٧/ ١٧٦)، معجم المؤلفين، طبعة دار إحياء التراث العربي (١١/ ١٧٥).

(٣) سيد بن قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية "موشا" في أسيوط، ولد سنة (١٣٢٤هـــ)، له كتب كثيرة مطبوعة، (ت ١٣٨٧هـــ). انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ١٤٧).

(٤) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها عُيِّن شيخًا للإسلام، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة له مصنفات مطبوعة، (ت ١٣٩٣هـــ). انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤). وستأتي ترجمته مفصلة في المبحث التالي.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (١/ ٨).

جمل الآية الواحدة، واهتم ببيان مناسبات الفواصل، وأكثر من ذكر كلمة المناسبة، وألزم نفسه بذكر أغراض كل سورة في المقدمة التعريفية بها، وسيأتي في المبحث التالي.

وبعد هذا الاستعراض لنشأة هذا العلم، ولَمن اهتمّ به ــ ومَنْ ذُكروا ليسوا على سبيل الحصر ــ نلحظ أنّ علم المناسبات كان يشغل حيزًا بصورة غير مباشرة في كتب إعجاز القرآن ونظمه، ثم تناوله العلماء في دروسهم، ونبّهوا عليه في مجالسهم، ودعوا إلى إحاطته بمزيد عناية، حتى قيّض الله تعالى له من تولاه بالتأليف والتقعيد، سواء من جعله في ثنايا تفسيره ــ مكثرون منه أو مقلّون ــ منهم: الزمخشري والرازي والبقاعي وابن عاشور، أو تناوله كعلم من علوم القرآن الكريم وأفرده بالتصنيف كأبي الزبير الغرناطي والبقاعي والسيوطي.

على أن أوّل من أبرز هذا العلم هو الرازي وتصريحه بمصطلح المناسبة، ثم تابعه البقاعي، ثم تلقفه العلماء من بعدهم.

وهناك ملحظ آخر وهو أنّ هذه المؤلفات وما حوته من علم المناسبات، إمّا أنها ركّزت على مناسبة الآية لما قبلها ولما بعدها، أو المناسبة بين السورة وبين السورة التي قبلها وبين التي تليها، أو جمعت بين عدة أنواع من المناسبات منثورة بين السطور كمناسبة الفاصلة أو لفظة في سياق الآية، لكنها لم تتعمّق في ربط مقاطع السورة بعضها البعض، أو تنظر في الروابط بين السور في المصحف ككل من أوّله لآخره؛ حتى أخذ هذا العلم منحى آخر في العصر الحديث، وطالته بحوث الدارسين وطلاب العلم، واستفاضت الدراسات انطلاقًا من وجهة نظر بيانية، كما فعل سيد قطب في ظلاله.

وهناك دراسات أخرى تُبرز تلك الوحدة الموضوعية منها:

ثم جاء كتاب (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، **لعبد الله بن محمد الصديق الغماري** (١) (ت ١٤١٣هـ) فتناول مناسبات السور على ترتيب المصحف، حيث قال مؤلفه: ((فقد أردتُ ــ بمشيئة الله تعالى ــ أن أبيّن في هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض، حسب ترتيبها في المصحف الشريف. وهذا فنٌّ عزيز، قلَّ من تعرّض له من العلماء على كثرة من تعرّض منهم لفنون القرآن المتنوعة، مثل تفسيره، وإعرابه، وقراءاته، وتجويده، واستنباط أحكامه، وقصصه، وغير ذلك)) (٢).

---

(١) عبد الله بن محمد بن الصديق بن أحمد الغماري، الصديقي الإدريسي الحسني، ولد بطنجة سنة (١٣٢٠هـ)، له مؤلفات كثيرة منها: بدع التفاسير، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، فضائل القرآن، (ت ١٤١٣هـ). انظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د. محمد بن رزق بن طرهوني (١/ ٢٤٥).

(٢) جواهر البيان، الغماري (ص ٣).

وكذا كتاب (الإعجاز البياني للقرآن) للدكتورة **عائشة عبد الرحمن** المشهورة بينت الشاطئ (ت ١٤١٨هـ) الذي سارت فيه مراعية البيان والوحدة الفنية، حيث تصف توجيهات أستاذها أثناء تأليفها لهذا الكتاب، وحثّه لها على أن تلتزم بضوابط منهجية دقيقة أثناء التفسير، فلا تفسّر كلمة دون استقراء لمواضع ورودها بمختلف صيغها في القرآن الكريم، ولا تتناول موضوعًا أو أسلوبًا من القرآن دون استيعاب لنظائرهما وتدبر السياق الخاص في الآية والسورة، والسياق العام في القرآن كله(١).

وهناك أيضًا كتابات الشيخ **عبد الحميد محمود طهماز** وسلسلته (من موضوعات سور القرآن الكريم) فهي سلسلة تفسيرية حسب مواضيع السورة، وقد تناول سور القرآن الكريم كلها، مستخلصًا محاور السورة الرئيسة ومعنونًا بها، مع تعرّضه للمناسبات بين الآيات والمقاطع، ومناسبات الافتتاح والخواتم، ويصف كتابه في تفسير سورة الأنفال بقوله : ((وجاء الكتاب صورة صادقة للهدف الأساسي لهذه السلسلة القرآنية المباركة، وهو إظهار الاتساق والانسجام بين آيات السورة، مع تفسيرها تفسيرًا علميًا عصريًا واضحًا من خلال الموضوع للسورة الكريمة)) (٢).

وكتاب الشيخ **عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني** (ت ١٤٢٥هـ): (معارج التفكر و دقائق التدبر)، وهذا التفسير أقامه مؤلفه على ترتيب نزول القرآن الكريم، وانتهى من تفسير السور المكية، وتوفي بعد بدايته في تفسير سورة البقرة، وعلل اختياره لهذا المنهج ؛ ما وصل إليه بالتدبر الميداني للسور من أن هذا الترتيب التزولي حق؛ له دلالات بنائية تكاملية تربوية متسلسلة، ويتعلق بحركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول ﷺ، ولمن بعده من المؤمنين أو الكافرين (٣). ولعلّه يُخشى من اتباع هكذا منهج؛ لمخالفته ترتيب النبي ﷺ للسور، على القول أن ترتيب السور توقيفي.

ولما سبق فإنّ هذه الدراسات ليست على سبيل الحصر، بل هي ما استطعتُ الوقوف عليه ـــ إما اسمًا في ثنايا كتاب ما أو رسمًا بين أيدينا ـــ وكان له أثر أو إضافة في هذا العلم، وما زال هذا العلم غنيًا يحتاج لتدبّر وحذق وإخلاص ومزيد بحث، والله الموفق.

---

(١) انظر: الإعجاز البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ص ١١).

(٢) أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد محمود طهماز (ص ٦).

(٣) انظر: مصابيح الدرر (ص ٥٧ـــ ٥٨)، موقع ملتقى أهل التفسير www.tafsir.net موضوع بعنوان: التعريف بكتاب معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ عبد الرحمن حبنكة رحمه الله.

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته

موضوع علم المناسبة:

من خلال تعريف علم المناسبة في القرآن الكريم، نجد أنّه يدور حول الآيات والسور القرآنية، واتصالها وتناسبها، وترابط أجزاء القرآن، فموضوع علم المناسبة هو الآيات والسور القرآنية.

مكانة علم المناسبة وفضله وثمرته:

لقد توالت أقوال العلماء في بيان فضل هذا العلم ومكانته وأهميته، حيث قال الزركشي : ((واعلم أن المناسبة علمٌ شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول))(١). وقد جعله النوع الثاني من كتابه مما يدلُّ على أهميته ودرجته في علم التفسير.

وبهذا العلم النفيس يظهر إعجاز القرآن الكريم، فتتبيّن فصاحة ألفاظه، وجلال معانيه في نظمه وأسلوبه وترتيبه؛ لذا حض العلماء على معرفة هذا العلم الشريف، يقول ابن تيمية(٢): ((فتَدَبَّرْ تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض)) (٣).

وفائده هذا العلم وثمرته هي الإعانة على تدبر كلام الله تعالى، واستظهار محاسنه، وتذوّق إعجازه في نظمه وجمله، وارتباط أجزائه كاللحمة الواحدة، وبذلك يرسخ الإيمان، ويُدفع كل ما يُثار حول القرآن من تشكيكات ومطاعن واهية؛ نتيجة لما يمكن أن يحصل من خفاء وجوه الاتصال بين الآي، وكل ذلك زائل بالتأمّل والتدبّر.

قال البقاعي: ((وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن في اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب . والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب)) (٤).

---

(١) البرهان (١/٤١).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف، ولد سنة (٦٦١هـ)، أحد الأعلام، كان من بحور العلم، (ت ٧٢٨هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ١١)، طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي (١/ ٥٢٠).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (١٤/٤٦).

(٤) نظم الدرر (١/٥ ، ٧).

وتحدّث الدكتور محمد عبد الله دراز عن فائدة أخرى وهي : أن هذا النظم وهذا الترتيب هو من لدن حكيم خبير، ودليل على ثبوت نبوة الرسول ﷺ، فالقرآن الكريم نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة؛ فهذه الآيات لم تتخذ وضعها الترتيبي في الترول، ولكنها انتظمت في بناء متكامل، ووحدة متصلة غير ممزقة ولا متفرقة، فكم من آية نزلت لحادثة ما، أو حاجة مُلمة، ومع هذا فقد نزلت لتوضع في مكانها الذي لا تحيد عنه، ولا تجاوزه أو تغيّره من أول السورة إلى آخرها، وما وجد الدهر عن هذا الترتيب مصرفًا أو متحولاً[1].

وأخيرًا: إنّ طلب علم المناسبة يُعين على تدبر كتاب الله تعالى، ويُعين هذا العلم أيضًا على امتثال ما في القرآن الكريم ونهج ما فيه [2]، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [3].

---

(١) انظر: النبأ العظيم (ص ١٤٢ــ ١٦٣).

(٢) انظر: علم المناسبات في السور والآيات (ص ٤٠).

(٣) الآية (٢٩) من سورة ص.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

إنّ المتأمّل في نشأة هذا العلم يجد عددًا غير قليل من العلماء الأجلاء، والمفسرين العظماء قد تناولوا هذا العلم تصنيفًا وتقعيدًا، وتقسيمًا وتنظيرًا كما سبق وجاء في الحديث عن نشأته وتطوره ، فمنهم من اعتنى بالمناسبات بين الآيات المتتالية وبيّنها في مؤلفاته، ومنهم من اهتم بالمناسبات بين السور المتتالية وأفرد لها التصانيف وهكذا.

ولقد انقسم العلماء على مذهبين في طلب هذا العلم، فالكثير من العلماء ذهبوا إلى جواز طلب علم المناسبة، بل وحثّوا عليه كل حاذق مُلمّ، كما جاء في الحديث عن مكانة هذا العلم وفضله، ومن هؤلاء العلماء الذين تناولوا هذا العلم فخر الدين الرازي، وبرهان الدين البقاعي وغيرهم.

وقال أحد شيوخ الزركشي: ((قد وَهِم مَن قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو اُستفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها لذَكَر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يَتْل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١)... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم؛ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له)) (٢).

وتجدر الإشارة إلى أن الذين أجازوا هذا العلم تفاوتوا في قبول الإكثار من هذا العلم لدرجة التكلّف، ودون بسط زائد مُخلّ بقواعده.

أما القسم الآخر من العلماء فهم الذين منعوا هذا العلم ؛ ومنهم: الشيخ **عزّ الدين بن عبد السلام**(٣) حيث قال: ((المناسبة علم حسن؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

---

(١) الآية (١) من سورة هود.

(٢) انظر: البرهان (١/ ٤٢ ــ ٤٣).

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، الشيخ الإمام العلامة، سلطان العلماء عز الدين أبو محمد السلمي، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وكان أمّارًا بالمعروف نهاء عن المنكر، (ت ٦٦٠هــ). انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١٠٩)، طبقات المفسرين، الأدنهوي (١/ ٢٤٢).

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب؛ كتصرف الملوك والحكام والمفتين، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادة. وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها)) (١).

ومن قول العزّ السابق يظهر أنه لا يُعارض علم المناسبات بالكلية، ولكنه يشترط لقبوله وجود رابط متّحد يربط أوله بآخره، ويمكن القول بأن قبول التناسب لا ينفي وجوده لعدم ظهور الرابط، فإنه قد يظهر حينًا ويخفى حينًا، ويحتاج إظهاره مزيدَ عمق وتأمّل، وقد ذكر البقاعي والسيوطي وغيرهما دقة هذا العلم وعمقه، واستغراقهم الشهور الطوال في استظهار مناسبة ما، وهذا لا ينفي وجودها بل يدل على دقتها، وعدم معرفتها لكل أحد، وإنما لمن أكثر التأمل وأطال التفكر.

وأمّا ما احتجّ به العزّ من أن تصرفات الملوك والحكام والمفتين على اختلافها وتضادها حسب الوقائع المختلفة فلا يُعتدّ به؛ لأن الله تعالى أحكم الحاكمين، وكل شيء عنده لحكمة قد تظهر للبشر وقد تخفى، وقد يفتح الله بها على بعضهم، وهذا القرآن الكريم نزل لهداية البشر، وسعادتهم وفلاحهم، فهو صالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فتعالى سبحانه أن ينزّل إليهم كتابًا لا يفهمونه وهم مأمورون بتدبّره، ولا تظهر معجزاته وهم مطالبون بالإيمان به، ومن أعظم هذا الإعجاز هو ترابط آياته واتصالها رغم نزولها متفرقة حسب الوقائع والأحداث، وهذا النظم المعجز هو ما تحدّى به الله تعالى فطاحلة قريش فخابوا وحاروا أمام فصاحة القرآن الكريم. والله تعالى أجلّ وأعلم.

ويذهب الإمام **الشوكاني** (٢) في تفسيره (فتح القدير) مذهب العزّ في الخوض في هذا العلم، ولكنه أكثر تشديدًا حيث ناقش المسألة تحت مبحث سماه: (الترابط بين الآيات) عند تفسيره لسورة البقرة.

والمتأمّل لكلامه يجد أنه عاب على المتكلّفين، وأيضًا على طلب هذا العلم أصلاً ــ كما فعل البقاعي ــ وليس فرعًا من فروع علم التفسير؛ متعللاً باختلاف حوادث وأسباب النزول، وتباين مواضيع القرآن بين القصص والتشريعات وحتى باختلاف أنواع المخاطبين، وجعل طلب المناسبة فتحًا لأبواب الشك

---

(١) البرهان (١/ ٤٢).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد، ولد بصنعاء سنة (١١٧٣هــ)، له مؤلفات عديدة منها: فتح القدير، البدر الطالع، نيل الأوطار وغيرها كثير، (ت ١٢٥٠هــ). انظر: الأعلام (٦/ ٢٩٨)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات ، عبد الحي عبد الكبير الكتاني (٢/ ١٠٨٣).

والريب، فلكثرة التصنيف في هذا العلم ــ كما يذكر الشوكاني ــ قد يظنّ الباحث أن إعجاز القرآن لا يظهر إلا بحضور المناسبة، وقارن بين طلب المناسبات في آي القرآن وسوره وبين طلب التناسب فيما قاله رجل من البلغاء في خطبه ورسائله وإنشاءاته العديدة المختلفة المواضيع، أو فيما نظمه شاعر تعددت أغراض قصائده، وجعل ذلك كله من تضييع الأوقات ومن الحماقات التي تفنى بها الأعمار ولا تُفيد، ناهيك عن حماقة فعل ذلك ــ على حدّ قوله ــ بين آيات القرآن وسوره المعجزة البليغة⁽¹⁾.

ويمكن القول بأن الشوكاني وإن وقف من المناسبات هذا الموقف المتشدد إلا أنه ذكر كثيرًا من المناسبات و لم يصرح بها⁽²⁾.

ومن خلال ما سبق، يظهر أن مانعي هذا العلم، لم يمنعوه بالكلية، بل أتَوْا به في كتبهم، ولعل تلك الهجمة كانت على المتكلفين في طلبه، ولا يخفى ما في التكلف من ضرر في جميع الأمور ، وأن الناظر في علم المناسبات إذا كان يملك الآلة والأهلية الكاملة فلا مانع من أن يبحث في ذلك العلم انطلاقًا من آيات الله التي جاءت في الحث على التدبر. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (١/ ٦٣ــ ٦٥).

(٢) من أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ الأنفال: ٤١. حيث قال:((لما أمر سبحانه بالقتال بقوله : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ ،وكانت المقاتلة مظنة حصول الغنيمة، ذكر حكم الغنيمة)).انظر: فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني (٢/ ١٩٣). وأيضًا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ....﴾ التوبة: ٣٤، حيث قال: ((لما فرغ سبحانه من ذكر حال أتباع الأحبار والرهبان والمتخذين لهم أربابًا، ذكر حال ا لمتبوعين)). انظر: فتح القدير (٢/ ٢٣٦).

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات

أولاً: أنواع المناسبات:

تعددت تقسيمات المشتغلين بهذا العلم لأنواع المناسبات، واختلفت تبعًا لذلك أعدادها ومسمياتها، ومن خلال النظر في تلك التقسيمات والتصنيفات يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين، يندرج تحتهما عدة فروع وصور، وهما:

أولاً: المناسبات في السورة الواحدة، ويشتمل على:

١_التناسب في الآية الواحدة كتناسب جمل الآية مع بعضها البعض، والتناسب في ترتيب المفردات، ومناسبة الفاصلة وتسمى التذييل.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ_ مثال تناسب جمل الآية وأجزائه ا: قال أبو حيان في مناسبة قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١): ((ثم استأنف بقوله ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ أي: لا عزة لهم ولا منعة، فهم لا يقدرون لك على شيء ، ولا يؤذونك، إن الغلبة والقهر لله ، وهو القادر على الانتقام منهم، فلا يعازه شيء ولا يغالبه، وكأنّ قائلاً قال: لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن ؟ فقيل: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ ليس لهم منها شيء))(٢).

ب_ مثال ترتيب المفردات: قال أبو حيان في مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣): ((وأمر تعالى أولاً بالتقوى؛ لأنها أصل للطاعات، ثم بإصلاح ذات البين؛ لأنّ ذلك أهم نتائج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا فيه، ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله فيما أمركم به من التقوى والإصلاح وغير ذلك))(٤).

---

(١) الآية (٦٥) من سورة يونس.

(٢) البحر المحيط (٥/ ١٧٤).

(٣) الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) البحر المحيط (٤/ ٤٥٤).

جـــ مثال مناسبة التذييل: قال الألوسي في مناسبة ختام قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١): ((والجملة تذييل مقرر لما قبله)) (٢).

٢ــ التناسب بين الآيات في السورة الواحدة: ويُقصد بها مناسبة الآية أو الآيات المتتالية لما قبلها وما بعدها في السورة، وهو كثير في القرآن الكريم، ونال حظًا وافرًا من اهتمام العلماء والمصنفين، ومثاله:

قال البقاعي في مناسبة هذه الآية ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(٣) لما قبلها وهو قوله تعالى﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٤): ((ولما ختمت بعموم سمعه وعلمه بعد قصر العزة عليه، كان كأنه قيل: إن العزة لا تتم إلاّ بالقدرة فأثبت اختصاصه بالملك ا لذي لا يكون إلاّ بها)) (٥).

٣ــ المناسبة بين أوّل السورة وخاتمتها: وهو يعني مناسبة الافتتاح للختام، كافتتاح سورة الإسراء بالتسبيح وختمها بالتحميد، والتسبيح مقدم على التحميد كما في قولنا: (سبحان الله والحمد لله) (٦).

٤ــ المناسبة بين مقاطع السورة وأجزائها: وبتعبير آخر تسمّى (الوحدة الموضوعية)، ويعني ذلك أن للسورة محورًا رئيسًا تدور حوله آياتها، وتعرضه بشتى الصور والأساليب، ومثاله: سورة القصص وما حوته من قصص موسى عليه السلام وقومه، والمتأمل في تلك القصص ــعلى اختلافها وتنوّع أحداثهاــ يجدها كلها تدور حول عناية الله تعالى بالمؤمنين المطمئنين بربهم وبوعده، فالسورة من بدايتها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧)، ولا أدلّ على ذلك من الظروف التي نزلت فيها السورة وهي وقت الهجرة، وقت الثقة بوعد الله ونصره.

---

(١) الآية (١١) من سورة المائدة.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي (٤/ ١١٤).

(٣) الآية (٦٦) من سورة يونس.

(٤) الآية (٦٥) من سورة يونس.

(٥) نظم الدرر (٣/ ٤٦٢ــ ٤٦٣).

(٦) انظر: البرهان(١/٤٣)، الإتقان (٣/ ٣٣٧).

(٧) جزء من الآية (٣) من سورة القصص.

ثانيًا: المناسبات بين السور، ويتفرّع إلى:

١ـ المناسبة بين خاتمة السورة السابقة وفاتحة السورة التي تليها: ومثاله كافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، المناسب لما ختمت به سورة الواقعة قبلها بالأمر بالتسبيح(١).

٢ـ المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة التي تليها : كمناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد، والتسبيح مُقدّم على التحميد(٢).

٣ـ المناسبة بين موضوعات السورتين من حيث الإجمال والتفصيل : ومثاله ما ذكره الألوسي في وجه اتصال سورة الأعراف بما بعدها وهي سورة الأنفال، حيث قال : ((ووجه مناسبتها لسورة الأعراف أن فيها ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾(٣) وفي هذه كثير من أفراد المأمور به وفي تلك ذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم وفي هذه ذكر النبي ﷺ وذكر ما جرى بينه وبين قومه وقد فصل سبحانه وتعالى في تلك قصص آل فرعون وأضرابهم وما حل بهم وأجمل في هذه ذلك فقال سبحانه وتعالى ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(٤) وأشار هناك إلى سوء زعم الكفرة في القرآن بقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾(٥) وصرح سبحانه وتعالى بذلك هنا بقوله جل وعلا ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾(٦) وبيّن جل شأنه فيما تقدم أن القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون وأردف سبحانه وتعالى ذلك بالأمر بالاستماع له والأمر بذكره تعالى وهنا بيّن جل وعلا حال المؤمنين عند تلاوته وحالهم إذا ذكر الله تبارك اسمه بقوله عز من قائل ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٧) إلى غير ذلك من المناسبات))(٨).

---

(١) انظر: البرهان (١/ ٤٣)، الإتقان (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر: البرهان (١/ ٤٣).

(٣) جزء من الآية (١٩٩) من سورة الأعراف.

(٤) الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (٢٠٣) من سورة الأعراف.

(٦) الآية (٣١) من سورة الأنفال.

(٧) الآية (٢) من سورة الأنفال.

(٨) روح المعاني (٥/ ٤٥٤).

بالإضافة إلى مناسبة موضوع عدة سور مع موضوع عدة سور أخرى أو سورة واحدة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر في سورة أخرى[1]، ومثاله: قال السيوطي: ((ورد في القرآن سورتان: أولهما ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾[2] في كل نصفٍ سورة، فالتي في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ، والتي في الثاني على شرح المعاد))[3].

ثانيًا: أشهر المؤلفات:

لقد تناول جمعٌ من العلماء والمصنفين ـ قديمًا وحديثًا ـ علم المناسبات بالتأليف، فمنهم من ضمنه تفسيره، ومنهم من أفرده بالتصنيف. وهذا عرض لأشهر تلك المؤلفات ـ تمثيلاً لا حصرًا ـ فيما يلي:

أ ـ المؤلفات النظرية (مرتبة حسب أقدمهم):

١ ـ البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي.

٢ ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي.

٣ ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي.

٤ ـ تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي.

٥ ـ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي.

٦ ـ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهي.

٧ ـ جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله بن محمود الصديق الغماري.

٨ ـ الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم.

٩ ـ المناسبات في القرآن الكريم، ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، عبد الله بن مقبل القرني. (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ).

١٠ ـ إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله محمد هداية الله.

١١ ـ دراسات في علوم القرآن الكريم، الدكتور فهد عبد الرحمن الرومي.

١٢ ـ فواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، منال بنت منصور القرشي . (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

١٣ ـ التناسب بين سورة البقرة، طارق حميدة. (رسالة ماجستير بجامعة القدس، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).

١٤ ـ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل أبو العلا.

---

[1] انظر: علم المناسبات (ص ٨٥، ٨٦).

[2] هما سورتا النساء والحج.

[3] الإتقان (٣/ ٣٣٨).

ب_ المؤلفات التطبيقية (مرتبة حسب أقدمهم):

١_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري.
٢_ الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.
٣_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.
٤_ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي.
٥_ أنوار التتريل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي.
٦_ البحر المحيط، محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي.
٧_ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية(١).
٨_ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي.
٩_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد العمادي.
١٠_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي.
١١_ تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا.
١٣_ في ظلال القرآن، سيد قطب.
١٤_ التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور.
١٥_ التفسير المنير، وهبة الزحيلي.
١٦_ الأساس في التفسير، سعيد حوى.

---

(١) ذكر الأستاذ يسري السيد في مقدمته: ((ولو نظرنا إلى السور التي نكاد نقف على تفسير شبه كامل لها مثل الفاتحة والعنكبوت، وهناك عدد لا بأس به من سورة القيامة إلى آخر التفسير خاصة الفلق والناس . نرى أن ابن القيم يذه ب إلى التفسير الموضوعي للسورة، أي : إبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسورة القرآنية، تلك الوحدة التي تربط بين أركان السورة بعضها إلى بعض، لتخدم الأهداف التي أُنزلت من أجلها، والتي يمكن أن تكون أساسًا لفهم آياتها)). بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد (١/ ٨٠).

المبحث الثاني

التحرير والتنوير، المؤلف، والكتاب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

اسمه ومولده:

هو العلامة الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور التونسي، من مواليد ضاحية المَرْسَىَ[1] في جمادى الأولى من سنة (١٢٩٦هـ)، سبتمبر (١٨٧٩م)[2].

أسرته ونشأته:

انحدر الإمام ابن عاشور من أسرة ذات نَسَب ودِين، وبيتِ شَرَف وعِلم، حيث توافرت له بيئة علمية، وأصالة راقية، وقيم أخلاقية، كان لها أفضل الأثر في تنشئته تنشئة فريدة، أعدته لخوض ميادين عديدة، أبرزتْ تميزه على جميع الأصعدة.

ولقد حظي عصر الإمام ابن عاشور بظروف قاهرة عصيبة، وتآمرات استعمارية غادرة على شتى بلدان المسلمين، في حين كانت الدولة العثمانية تحتضر، والدول الغربية تسعى لبسط نفوذها عليها، في هذا العصر المشحون ولد ابن عاشور، وتربى في كنف والده، وتحت عناية جده لأمه، فنشأ ــ رحمه الله ــ في بيت ذي سلالة عريقة، ونسب عالٍ، وفي ظل تربية إسلامية وارفة، ألقت بآثارها نفعًا وخيرًا كبيرًا للأمة الإسلامية بعد ذلك.

فجدُّ الإمام هو قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور (١٢٣٥هـ ــ ١٢٨٤هـ)، الأديب الفقيه، قامت بينه وبين العديد من العائلات التونسية صداقات، أهمها صداقته بتلميذه محمد العزيز بوعتور[3] التي أثمرت عن زواج ابنه بابنة تلميذه، فكان زواجًا مباركًا نشأ عنه ولادة مترجمنا الإمام ابن عاشور.

ولقد تقلّد جدّه مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتدريس، والإشراف على الأوقاف الخيرية، والنظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى، كيف لا؟ وهو الذي برع في علوم شتى، وجدد ما اندرس منها، فقد كان متمرسًا في علوم اللغة والأدب والبيان والشعر، وكان صاحب صنعة كتابية

---

[1] المرسى: من ضواحي العاصمة تونس. انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (٥/ ١٠٧).

[2] انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور، محمد الحبيب ابن الخوجة (١/ ١٥٣)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د.بلقاسم الغالي (ص ٣٧)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (١/ ٣٤٧).

[3] محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور، ولد سنة (١٢٤٠هـ)، التحق بجامع الزيتونة سنة (١٢٥٤هـ)، وتلّقد مناصب إصلاحية عديدة، تصدر وزارة القلم، ثم المال، ثم وزير استشارة في الوزارة الكبرى، ثم وزير الوازة، اعتنى عناية فائقة بحفيده الطاهر ابن عاشور. (ت ١٣٢٥هـ). انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٠ــ ٤٢).

متميزة، ويبرز تميزه أيضًا في فتواه وفقهه، فقد خالف منهج الفقهاء في عصره، والذي يعتمد على التقليد وقولهم (قال الفقهاء كذا وكذا)، ونحى طريقة المجتهدين الآخذين بمنهج تتبع الأدلة والإحاطة بها، و ردّ الفروع على الأصول، والتنبيه على المقاصد، فنال بذلك مفخرة فاق بها معاصريه.

وله إضافات علمية عدة، وشروحات على كتب السابقين جمّة، ومجموعة فتاوى ومؤلفات (١)،هذا هو جدّ الإمام ابن عاشور لوالده، أما جدّه لأمه فهو الوزير العالم الكاتب محمد العزيز بوعتور، التحق بجامع الزيتونة، وتلقى العلوم فيه، فكان ضليعًا في اللغة والأدب وعلوم الشريعة وغيرها، ولم يُعقه عمله في الوزارة من طلب العلم وشهود حلقاته، فكان يحضر دورس شيخه محمد الطاهر ابن عاشور الأول جدّ الإمام، وكذا لم تمنعه المناصب الحكومية والإدارية من تبليغ العلم وتدريسه، فكان يُلقي دروسه في الجامع الأعظم.

وقد نبغ كسلفه من أهل بيته في النظم والنثر، وله مقالات ورسائل بثها في دواويينه، أو احتفظ بها في خزانة الدولة، ولعلّ أهمّها والتي تصوّر عصره ، وتعبّر عن علومه الشرعية وخبرته القانونية، رسالته التي تناول فيها قانون عهد الأمان(٢) شرحًا وتحليلاً وتفريعًا وتعليقات أصولية محررة تحريرات بديعة أجرى فيها بعض الكليات على قواعد الشريعة الإسلامية(٣).

وكان للشيخ بوعتور بالإضافة إلى الجوانب العلمية، جوانب إدارية وإصلاحية، فقد ساهم في إصلاح نظام التعليم بالجامع الأعظم، وكذا في تأسيس المدرسة الصادقية (٤)، وجمعية الأوقاف، وتنظيم المحاكم الشرعية وغير ذلك من مؤسسات نافعة(٥) .

إن حسن التربية التي لقيها الإمام وشبّ في كنفها، وتكوينه الأسري الذي يرفل في مناصب علمية وسياسية وإصلاحية شتى، جعل الفتى يُقبل من عمر السادسة على المسجد المجاور لبيته، فحفظ القرآن

---

(١) من مؤلفاته: في السيرة: شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، ولعله اختصار لشرح ابن مرزوق لقصيدة البردة للبوصيري، وله في النحو: حاشية على شرح ابن سعيد الحجري على الأشموني، وحاشية على القطر لابن هشام أسماها هدية الأريب إلى أصدق حبيب، أما في البلاغة: الغيث الأفريقي وهو عبارة عن تقييدات على حاشية عبد الحكيم على المطوّل، وفي الأصول: حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع لكنه لم يتمها، إلى غير ذلك في الفقه والفتوى. انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٣٢_ ١٣٣).

(٢) وثيقة مكتوبة تهدف إلى تحقيق العدل بين الرعية. أعلنه يوم ٩ سبتمبر ١٨٥٧ محمد باي ويؤكد هذا الميثاق على حقوق الأجانب في الإيالة التونسية التي ستسمح لهم بالتدخل في الحياة السياسية. انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٣) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٤٢).

(٤) تأسست المدرسة الصادقية في سنة ١٨٧٥م على يد خير الدين التونسي . وتعتبر أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد تونسية جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم. انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٥) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٤٢).

الكريم، ومجموعة من المتون العلمية (١)، ثم التحق بجامع الزيتونة وتلقّى فيه العلوم على يد عدد من علماء الجامع الأفذاذ.

علمه، وشهاداته:

لقد اجتمع للإمام بجانب حفظه لكتاب الله وبعض المتون العلمية، دراسته في جامع الزيتونة، وا لتي أضافت له الكثير، وساعدت على تنمية مواهبه وقدراته، فلما بلغ الرابعة عشرة التحق بالجامع الأعظم وكان ذلك سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م)، فألمّ رحمه الله بشتى الفنون، وأصول العلوم، كعلوم اللغة وآدابها، وعلوم الشريعة، وتعلّم بجانب ذلك اللغة الفرنسية وأتقنها(٢).

هذا وقد كان رحمه الله على معرفة بعلم الطب، وقد ظهر ذلك في مواضع من تفسيره التحرير والتنوير، وذكر بعضهم أن له كتابًا مخطوطًا في الطب موجود في المكتبة العاشورية بتونس ، عبارة عن تصحيح وتعليق على كتاب (الانتصار لجالينوس(٣)) للحكيم ابن زهر(٤).

أما علم التفسير فيشهد لضلوعه فيه كتابه الشهير المعروف بالتحرير والتنوير، وسيأتي التعريف به.

وكان رحمه الله حافظًا حجة في الحديث، له إسناد جامع لصحيحي البخاري(٥) ومسلم(٦)، وله إسناد إسناد عزيز روى به أحاديث البخاري، وقد أجاز بذلك عددًا من علماء تونس وما حولها، بالإضافة إلى شروحه وتحقيقاته على مرويات الإمام مالك بن أنس(٧) والإمام البخاري.

---

(١) من هذه المتون : ابن عاشر، والرسالة، والقطر، وشرح الشيخ خ الد الأزهري على الأجرومية . انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٥٣_ ١٥٤)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٣٧).

(٢) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٣٩)، مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهي م الحمد (ص ١٣).

(٣) جالينيوس: آخر الأطباء الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، لا يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن أن يساويه، صنف كتبًا كثيرة، عاش سبعة وثمانين سنة. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أصيبعة (ص ١٠٩).

(٤) زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان، أبو العلاء الإيادي، فيلسوف أندلسي من أهل إشبيلية، مشهور بالحذق والمعرفة، وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب وإطلاعه على دقائقها، (ت ٥٢٥هـ). انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٥١٧)، الأعلام (٣/ ٥٠).

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، صاحب الصحيح، (ت ٢٥٦هـ). انظر: صفة الصفوة (٤/ ١٦٨)، طبقات الشافعية (١/ ٨٣)، تقريب التهذيب، احمد بن حجر العسقلاني (١/ ٤٦٨).

(٦) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، (ت ٢٦١هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥٢٩)، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤).

(٧) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني، الفقيه إمام دار الهجرة، قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر، (ت ١٧٩هـ). انظر: صفة الصفوة (٢/ ١٧٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧)، تقريب التهذيب (١/ ٥١٦).

أما في علم الفقه وأصوله، فقد كان بارعًا راسخ القدمين فيهما، وأكبر دليل على ذلك كتابه في مقاصد الشريعة، والذي بحث فيه مقاصد الإسلام من التشريع والقوانين، وإثبات تلك المقاصد وحاجة الفقيه لها، والتفريق بين علمي الأصول والمقاصد وعلاقة كل منهما بالآخر . بالإضافة إلى شروحه وتحقيقاته على عدد من كتب الأصول والفروع.

ومع هذا وذاك فهو اللغوي العارف بعلوم اللغة ودقائقها، الفارس في هذا المضمار بلا مُنازع، ومما يُبرهن على فصاحته وبيانه مؤلفاتهُ العديدة في مجالات اللغة المختلفة كالبلاغة والنحو، وأساليبه القوية في التصنيف، ودواوينه الشعرية المنشورة والتي لا تزال مخطوطة، وسأمثّل لها لاحقًا في مؤلفاته.

وله كذلك باع في التاريخ، ومن آثاره فيه (تاريخ العرب) وبعض السير والتراجم، وقيل أنها ما تزال مخطوطة بالمكتبة العاشورية.

أما معرفته بالفلسفة والمنطق فقد كان كثيرًا ما يفنّد أقوال الفلاسفة، ويحلل مناهجهم ويوظفها له، ويردُّ على ما عندهم من سوء فهم وتأويل.

ولقد عني به الشيخ عمر بن أحمد ابن الشيخ (١) أثناء دراسته، وقام بتعيين الشيوخ له، وسنأتي على ذكر شيوخه لاحقًا.

وكان كل مَن في الجامع قد لاحظ نبوغه، وتفوقه في دروسه ومناظراته، وبجانب هذا التميز العلمي نال التميز في حياته الوظيفية، فكان أول نجاح له حصوله على شهادة التطويع في عام (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) (٢).

ثم تابع حضور الدروس عند شيوخه، وأفاد منهم أدبًا وعلمًا جمًّا، ونال العديد من الإجازات العلمية، فلقد أجازه جدّه الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور بكل مروياته عام (١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م)، وبسنده الجامع بين صحيحي البخاري ومسلم ، وكذا أجازه شيخه الإمام سالم بو حاجب(٣) إجازة تامة مطلقة عامة في الفروع والأصول، وفي جميع محفوظاته وملحوظاته المعقولة والمنقولة، وفي رواية صحيح البخاري،

---

(١) عمر بن الشيخ أحمد المعروف بابن الشيخ، أبو حفص، من بلد رأس الجبل، ولد سنة (١٢٢٧هـ)، ودخل الجامع الأعظم سنة (١٢٥٩هـ)، قرأ على أئمة أعلام، واشتغل بالتدريس، تولى الوظائف النبيهة كالنظارة العلمية والقضاء والفتيا، له رسائل في مسائل من العلوم الشرعية، (ت ١٣٢٩هـ). انظر: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد (٢/ ٤٨٦)، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة (٢/ ٥٥٢).

(٢) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٥٨)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٣٩).

(٣) سالم بن عمر بو حاجب النبيلي : فاضل مالكي، من أهل تونس . ولد سنة (١٢٤٣هـ)، تولى التدريس بجامع الزيتونة ثم الفتيا سنة (١٣٢٣هـ)، ثم عُيّن كبيرًا لأهل الشورى المالكية. له شروحات ورسائل، (ت ١٣٤٢هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٧١)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٤_ ٤٥).

وكان ذلك عام (١٣٢٣هـ)، بالإضافة إلى حصوله على إجازة شيخه عمر ابن الشيخ عام (١٣٢٥هـ)(١).

شيوخه:

شهد شيوخ الإمام له بالنبوغ والتفوق في العلوم العديدة وتحصيلها، وبقدرته على التعمق فيها، و لقد سجلوا ذلك في دفتر شهاداته(٢).

ولقد تخرّج الإمام على أيدي نخبة من علماء عصره، امتازوا بعلمهم الوفير، والقدرة على التبليغ، والمعرفة بطرق التدريس، إلى جانب مراعاتهم لتربية الملكات الفريدة والتركيز عليها، فاكتسب ـ رحمه الله ـ الكثير من العلوم ومهارات الفكر والتحليل، من أشهرهم : الشيخ سالم بوحاجب، والشيخ محمد النخلي(٣)، والشيخ محمد النجار(٤) وغيرهم رحمهم الله أجمعين.

وبالتصفّح في سيرة هؤلاء العلماء نجد أنهم ـ رحمهم الله ـ كانوا مشاعل للعلم، ومناهل لكل فنّ، حفلوا بحياة علمية، أعطت وأثمرت جلائل الأعمال للدين والمجتمع، وساهمت في نهضة الجامع الأعظم بما أخرجوه من طلاب وتلاميذ تسلّحوا بعلومهم أمام الاستعمار والأفكار الدخيلة.

تلاميذه:

أشهرهم: ابنه محمد الفاضل (٥)، وابنه الثاني عبد الملك (٦)، ومعد الحبيب ابن الخوجة(٧) وغيرهم.

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٥٩ـ ١٦٢).

(٢) ذكر الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة أنه كان من عاداتهم قديمًا أن يكون لدى الطالب دفتر شهادات يكتب فيه الشيخ له بحضور الدرس ومستواه فيه، انظر هامش (٢)، (١/ ١٥٦).

(٣) محمد النخلي: أصيل القيروان، من أشهر علماء الزيتونة الذين برعوا في العلوم النقلية والعقلية، (ت ١٩٢٥م). انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٦).

(٤) محمد بن عثمان النجار، أبو عبد الله : فقيه مالكي، من أهل تونس . ولد سنة (١٢٥٥هـ)، تعلم بجامع الزيتونة، ودرّس . (ت ١٣٣١هـ). انظر: الأعلام (٦/ ٢٦٣)، معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس (ص ١٧٠٠)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٥).

(٥) محمد الفاضل ابن عاشور، ولد بتونس عام (١٣٢٧هـ)، وتولى التدريس بجامع الزيتونة والقضاء ثم عميدًا بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، ومفتيًا للجمهورية التونسية. من مؤلفاته: تراجم بالأعلام، الحركة الأدبية في تونس، ومضات فكر، (ت١٣٩٠هـ). انظر: معجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة (ص ٥٥٥)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، هامش (ص ٦٦).

(٦) الأستاذ عبد الملك ابن عاشور: موظف سام. من إنتاجه بحوث وتحقيقات علمية نشرت له بالمجلات التونسية كالهداية وغيرها. ومؤلفات علمية تتصل بجمع ما تناثر في الصحف والمجلات من آثار والده. انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، هامش (ص ٦٦).

(٧) د.محمد الحبيب ابن الخوجة: تولى عمادة كلية الزيتونية، ثم افتاء الجمهورية التونسية . له انتاج علمي وافر في العلوم الإسلامية واللغوية مثل كتابه حول حازم القرطاجني وغيره. انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، هامش (ص ٦٧).

مناصبه ووظائفه:

تولى ابن عاشور العديد من المناصب الإدارية والقضائية الشرعية والعلمية، وأسهم في الكثير من المؤسسات العلمية والثقافية، منها:

١ــ تولى مهام التعليم بصفة رسمية بالجامع عام (١٣٢٠هــ) عندما نجح في مناظرة الطبقة الثانية، ثم انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية في العام الذي يليه ، وعُيّن عضوًا بمجلس إدارتها عام (١٣٢٦هــ)، وبقي بها إلى عام (١٣٥١هــ)(١).

٢ــ كان عضوًا في لجنة فهرسة الكتب بالجامع الأعظم عام (١٣٢٣هــ)، ثم رئيسًا لها عام (١٣٢٩هــ).

٣ــ عُيّن نائبًا أول للحكومة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة عام (١٣٢٥هــ).

٤ــ كان رئيس الجمعية الخلدونية.

٥ــ عُيّن حاكمًا بالمجلس المختلط عام (١٣٢٩هــ).

٦ــ عُيّن في قضاء الجماعة عام (١٣٣١هــ).

٧ــ عُيّن مفتيًا عام (١٣٤١هــ)، ثم بعدها بعام ترقى إلى كبير المفتين.

٨ــ عُيّن شيخ إسلام رئيس للمجلس الشرعي المالكي عام (١٣٥١هــ).

٩ــ تولى مشيخة الجامع الأعظم وفروعه عام (١٣٥١هــ) لأول مرة ولكنه استقال بعد سنة واحدة.

١٠ــ سُمّي شيخًا لجامع الزيتونة وفروعه للمرة الثانية عام (١٣٦٤هــ).

١١ــ عُيّن شيخًا عميدًا للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين عام (١٩٥٦مــ ١٩٦٠م).

١٢ــ كان عضوًا مراسلاً للمجمع اللغوي بالقاهرة منذ عام (١٩٥٠م)، والمجمع العلمي بدمشق منذ عام (١٩٥٥م).

وقد تخرّجتْ على يد الإمام أجيال وأجيال، وساهمتْ همّته العالية، وإحاطته بدقائق العلوم والأمور، والتعمّق في أسرارها، وقيامه بعدة رحلات علمية للشرق وأوروبا واسطنبول؛ على اتساع أفقه العلمي والفكري؛ وعلى تنمية قدرته على النقد والنظر، ومع تقلّبه في مراتب التدريس، وعضويته في العديد من المؤسسات على الصعيد الداخلي والخارجي، فقد كان ــرحمه الله ــ أوّل من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم، وأوّل من سمّي شيخًا للجامع الأعظم(٢)، ونال أيضًا جائزة الدولة

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٦٤)، الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٥٦).

(٢) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٢).

التقديرية، ونال وسام الاستحقاق الثقافي عام (١٩٦٨م)؛ وهو أعلى وسام ثقافي في الدولة، نظرًا لأبحاثه العميقة، ومؤلفاته الوافرة، وإصلاحاته العديدة (١)، وحصل كذلك على جائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات عامي (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م) (٢).

من إصلاحاته:

يجمع المؤرخون على أن تاريخ تونس بل وتاريخ شمال إفريقيا مرتبط شديد الارتباط بجامع الزيتونة، وما قام به من دور في الحفاظ على مقومات الحضارة الإسلامية، ونشر العلم والمعرفة، ولقد بقيت الجامعة الزيتونية والمدرسة الصادقية التي نشأت عام (١٢٩١هـ)، والمدرسة الخلدونية التي تأسست عام (١٣١٤هـ)، تقوم بدورها في الحفاظ على الهوية والدين، والجمع بين الأصالة والمعاصرة أمام محاولات الاستعمار للهيمنة على الثقافة آنذاك.

ولقد عانى الجامع في فترة من فتراته جمودًا وتقليدًا، وتصدّى الإمام ابن عاشور لذلك الضعف، وأخذ على عاتقه مهمة الإصلاح و التغيير، ويعدّ ابن عاشور أول من أدخل إصلاحات تعليمية وتنظيمية في الجامع الزيتوني، جاءت هذه الإصلاحات التربوية الفكرية في كتابه: (أليس الصبح بقريب)، وتمثّلت تلك الإصلاحات في التعليم في عدة مجالات، منها : أنه قام بإدخال مواد جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها، وزاد من دروس العربية في الصرف والأدب(٣).

ومن تلك الإصلاحات أيضًا : إصلاح الكتب الدراسية ، وتطوير أساليب التدريس ومعاهد التعليم، ودعا إلى التقليل من الإلقاء والإكثار من الأشغال التطبيقية ؛ حتى تتربى للطالب ملكة بها يستقل في الفهم ، وحرص رغم كل تلك التغييرات على إبقاء الصبغة الشرعية واللغة العربية في الجامع، بالإضافة إلى حثّه للمدرسين على اختيار أحسن المناهج، وانتقاد الأساليب والمناهج الدراسية.

وقد بلغ عدد فروع الزيتونة في عهده سبعة وعشرين معهدًا علميًا، منها فرع مخصص للبنات، ونما بذلك عدد الطلاب ، وارتفع عدد الشيوخ، ونظمت الامتحانات واللجان، وبذلك حصل تطوير عالٍ في الجامع الزيتوني في علوم الشريعة والعلوم الأخرى(٤).

ومن ضمن إصلاحات الإمام دعوته للإصلاح الاجتماعي، حيث ذكّر بمحاسن الدين الإسلامي، وفضائل التشريع، والالتزام بها : كالسماحة والوسطية و العدل والإحسان، منبهًا الدعاة المصلحين على

---

(١) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٨).

(٢) انظر: المدخل لتفسير التحرير والتنوير (ص ١٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٩).

(٤) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٥٩).

ضرورة معرفة الأحوال، وأسباب المرض وأعراضه ليكون إصلاحًا كاملاً كما يحبّ الإسلام . وحركة الإصلاح هذه تحتاج لتفقّه في الدين، وقد ضبط الإمام للأمة أحوال نظامها الاجتماعي، ثم دعا المؤمنين إلى تطبيق الإسلام في العبادات والمعاملات(١).

وساعد الإمامَ على ذلك عدد من الشيوخ والمصلحين، كشيخ الإسلام الشيخ سالم بوحاجب.

أخلاقه:

هذا التفوق، وهذا الفكر، نال إعجاب من حوله من علماء وشيوخ وأصدقاء، ممن عاشروا أخلاقه، وعاصروا فكره، قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين (٢) شيخ الجامع الأزهر: ((وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم، وقوة النظر صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم)) (٣).

وقال تلميذه الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة : ((كان خزانة علم تتنقل يجد لديه كل طالب بغيته، أعانه على حصول ذلك وبلوغ المرتبة العالية العجيبة في اشتغاله المتواصل بالمراجعة والتدريس والتحقيق والتأليف، مع صحة ذهن، وجودة طبع، وقوة عارضة، وطلاقة لسان)) (٤).

وقال الشيخ العلامة اللغوي الأديب محمد البشير الإبراهيمي(٥): ((عَلَم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره)) (٦).

ولم يكن فظًّا مع مخالفيه، ولم يُعرف عنه الكلام النابي، بل كان في ردوده ومناقشاته معهم رحب الصدر حليمًا مترفعًا عن الدنايا والصغائر.

وكان ــ رحمه الله ــ يُعامل أصحابه بمنتهى الودّ، حيث يذكر صديقه الشيخ محمد الخضر حسين أن الإمام ابن عاشور كان مرة في جامع الزيتونة ومعه أديبان، وكان الشيخ محمد الخضر في ناحية أخرى من الجامع يقرأ درسًا، فبعث الإمام إليه بورقة كُتب فيها:

تألقتِ الآدابُ كالبدر في السَّحَرْ وقد لفظ البحران موجُهما الدرر

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ٣٢ــ ٣٤).

(٢) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي : عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، مو مواليد نفطة في تونس سنة (١٢٩٣هــ)، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، تولى مشيخة الأزهر، (ت ١٣٧٧هــ). انظر: الأعلام (٦/ ١١٣)، معجم المؤلفين، طبعة دار إحياء التراث العربي (٩/ ٢٧٩).

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٦٩)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٣).

(٤) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٤).

(٥) محمد البشير الإبراهيمي الجزائري (١٣٠٦ــ ١٣٨٥هــ). انظر: مدخل إلى تفسير التحرير والتنوير (ص ٢٥).

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٦٩).

فما لي أرى منطيقهـــا الآن غائبـــًا وفي مجمع البحرين لا يُفقد (الخضر) (١)

مؤلفاته:

لقد تعددت مؤلفات الإمام الطاهر ، واصطبغتْ كتاباته بطابع فريد، وأشهر مؤلفاته على الإطلاق تفسيره (**تفسير التحرير والتنوير**)، وكتابه الفريد في أصول الفقه : (**مقاصد الشريعة الإسلامية**)(٢)، وكتابه في إصلاح التعليم ومعالجته في الوطن العربي والإسلامي، والذي كتبه في سن الخامسة والعشرين : (**أليس الصبح بقريب**)(٣)، ومن مؤلفاته في العلوم الشرعية:

- **أصول التقدم في الإسلام**، طبعته الشركة التونسية للتوزيع.
- **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، طبعته الشركة التونسية للتوزيع والدار العربية للكتاب عام (١٩٧٩م)، ودار النفائس بعمّان عام (٢٠٠١م)، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٥م).
- **الأمالي على مختصر خليل**(٤)، مخطوط.
- **التوضيح والتصحيح في أصول الفقه**، طبعته مطبعة النهضة بتونس عام (١٣٤١هـــ).
- **رد على كتاب الإسلام وأصول الحكم**، طبعته المطبعة السلفية بمصر عام (١٣٤٤هـــ).
- **فتاوى ورسائل فقهية**، مخطوط.
- **قصة المولد**، وهو كتاب في السيرة النبوية، طبعته الدار التونسية للنشر عام (١٩٧٢م).
- **قضايا شرعية وأحكام فقهية وأراء اجتهادية ومسائل علمية**، مخطوط.
- **كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ** (٥)، طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٧٥م)، والدار العربية للكتاب، في ليبيا وتونس عام (١٩٧٩م)، ودار السلام في مصر عام (٢٠٠٦م).

---

(١) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٣)، المدخل إلى تفسير التحرير والتنوير (ص ٢١).

(٢) طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٧٨م)، ودار النفائس بعمّان، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٧م).

(٣) طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٦٧م)، دار سحنون ودار السلام عام (١٤٢٨هـــ).

(٤) كتاب في الفقه المالكي وفروعه، ومؤلفه هو خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، (ت ٧٦٧هـــ). انظر : الديباج المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون (١/ ١١٥)، الدرر الكامنة (٢/ ٢٠٧).

(٥) هذا الكتاب عبارة عن شرح للموطأ، وضع فيه الطاهر منهجًا للمحدثين في انتقاء الأحاديث والرجال، وللفقهاء في استنباط الأحكام.

- **النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح** (١)، طبعته الدار العربية للكتاب، في ليبيا وتونس عام (١٩٧٩م)، ودار السلام بالقاهرة مع دار سحنون بتونس عام (٢٠٠٧م).
- **الوقف وآثاره في الإسلام**، طبعة القاهرة عام (١٣٥٠هـ).

وغيرها كثير في علوم الشريعة، أما مؤلفاته في اللغة العربية، فمنها:

- **أصول الإنشاء والخطابة**، وهو في فنّ الأدب والتعبير بأسهل الأساليب، طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع عام (١٩٨٨م).
- **الأمالي على دلائل الإعجاز**(٢)، مخطوط.
- **تراجم لبعض الأعلام**، مخطوط.
- **تحقيق كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**(٣)، مخطوط.
- **تحقيق مقدمة في النحو**(٤)، مخطوط.
- **شرح ديوان بشار**(٥)طبعته الدار التونسية للتوزيع عام (١٩٧٦م)، ودار السلام للطباعة والنشر والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٨م).
- **شرح ديوان النابغة**(٦)، طبعته الد ار التونسية للتوزيع عام (١٩٧٦م)، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٩م).
- **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**(٧)، مخطوط.
- **غرائب الاستعمال**، مخطوط.
- **موجز البلاغة**، طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٥٢م).

---

(١) هذا الكتاب عبارة عن فوائد وآثار ولمحات فقهية على صحيح البخاري.

(٢) دلائل الإعجاز، من تأليف: عبد القاهر الجرجاني.

(٣) من تأليف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي.

(٤) مقدمة في النحو، من تأليف: خلف بن حيان أبو محرز المعروف بالأحمر.

(٥) بشار بن برد، أبو معاذ البصري الضرير، مولى بني عقيل، بلغ شعره الفائق نحوًا من ثلاثة عشر ألف بيت ، نزل بغداد (ت ١٦٧هـ). انظر: تاريخ بغداد (٧/ ١١٢)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤).

(٦) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني، يكنى أبا أمامة، شاعر جاهلي. انظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (١/ ٥١)، تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر(١٩/ ٢٣٤).

(٧) حبيب بن أوس أبو تمام الطائي الشاعر ، شامي الأصل، جالس الأدباء فأخذ عنهم ، وكان فطنًا فهمًا، وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد، وقدم إلى بغداد، وكان موصوفًا بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس ، (ت ٢٣١هـ). انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨)، وفيات الأعيان (٢/ ١١).

إلى غير ذلك من المؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ومحفوظ في المكتبة العاشورية بدار آل عاشور بتونس.

وكانت له كتابات وتحريرات في عدد من المجلات العلمية في الشرق العربي، كالموسوعة الفقهية بالكويت، ومجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة، ومجلة المنار، ومجلة السعادة العظمى بتونس، والمجلة الزيتونية، ومجلة نور الإسلام، بالإضافة إلى مجلتي المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها من الصحف والمجلات الأخرى.

وفاته:

توفي الطاهر ــرحمه اللهــ بالمرسى يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب عام (١٣٩٣هــ)، الموافق الثاني عشر من شهر أغسطس عام (١٩٧٣م)، ودفن في مقبرة الزلاج بتونس (١)، بعد أن ترك رحمه الله من الآثار والمناقب، لم تقف على حدّ الكتب والمؤلفات، والانجازات والإصلاحات، وما تخرّج على يديه من طلاب، بل امتدت إلى أبناء وبنات ، فكان له رحمه الله ثلاثة أبناء، هم : محمد الفاضل ابن عاشور، وعبد الملك، وزين العابدين، وبنتان.

رحم الله الإمام ابن عاشور إمام الجامع الأعظم، قال عنه الأستاذ محمد الطاهر الميساوي (٢): ((ومن ثمّ فلا غرابة أن جاء ت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف، وكأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضُمّ في صعيد واحد: اللغوي، والأديب، والمفسر، والمحدث، والأصولي، والفقيه، والمربي، والمؤرخ، والفيلسوف، والمنطقي، بل وحتى العالم بأمور الطب ...)) (٣)، وقال أيضًا: ((إن ابن عاشور ليس اسمًا عاديًا في محيط الثقافة الإسلامية، بل إن اسمه وجهاده قد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا بواحدة من أهم مؤسسات هذه الثقافة، وبرمز من أبرز رموزها في النصف الأول من القرن العشرين، ألا وهي جامعة الزيتونة...)) (٤).

ونحمد الله تعالى أن سخّر لهذا التراث العاشوري ثلّة من طلاب العلم الجادّين ليحللوه، ويستجلوا منه الأصالة والإبداع والابتكار، ويدرسوا أثره وأبعاده على الفكر والعصر الحديث، وعلى حركة الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي ككل، وتونس بأخص، ونسأله تعالى أن يوفقنا إلى خدمة هذا الدين، وأن يرحم المؤلف وعلماءنا أجمعين رحمة واسعة، وأن يرفع درجاتهم في عليين، إنه سميع مجيب.

---

(١) انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٨).

(٢) محقق ومؤلف معاصر، وأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٣) مدخل إلى تفسير التحرير والتنوير (ص ١٤).

(٤) انظر: المرجع السابق(ص ١٧).

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

يُعدّ كتاب ابن عاشور الشهير في التفسير المسمّى (تفسير التحرير والتنوير)، من أعظم مؤلفاته وأَحَبّها إليه، والاسم الأصلي له : (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، وتفسير الكتاب المجيد)، ولكنه اُشتهر بما اختصره: (التحرير والتنوير من التفسير) وهو المطبوع على غلافه.

وهو عبارة عن ثلاثين جزءًا، في خمسة عشر مجلدًا، طبعَتْه دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس.

وكانت أمنية الإمام ابن عاشور أن يكتب كتابًا في التفسير ــ كما يذكر في مقدمته ــ، وقد ظلت نفسه المُحبة للعلم، الشغوفة به، تراوده على المضي قُدمًا رغم تردّده مرات ومرات، وبالاستعانة بالله وبالاستخارة، وبعد ذاك التردد بين الإحجام والإقدام، عقد العزم على الشروع، وبدأ به في عام (١٣٤١هــ) وانتهى منه في عام (١٣٨٠هــ)، وكانت مدة تأليفه له تسعًا وثلاثين سنة وستة أشهر كما يقول هو في نهايته.

ولقد جاء تفسيره غاية في العلم، واللغة، والأسلوب، فجَمَعَ فيه مواهبه العديدة، وعلومه الغزيرة، وفصاحته البليغة، ورؤيته التربوية والإصلاحية، وغير ذلك من الفنون، حتى أنه وصفه بقوله: ((فإني بذلتُ الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير))⁽¹⁾.

ولقد بدأ تفسيره بمقدمات عشر ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن، عللها بأنها عون للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير⁽²⁾، وهذه المقدمات في:

١ــ التفسير والتأويل وكون التفسير علمًا.

٢ــ استمداد علم التفسير.

٣ــ صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

٤ــ ما يحق أن يكون غرض المفسر.

٥ــ أسباب النزول.

٦ــ القراءات.

---

(١) التحرير والتنوير (١/٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٩).

٧ــ قصص القرآن.

٨ــ اسم القرآن وسوره وترتيبها وأسمائها.

٩ــ أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

١٠ــ إعجاز القرآن.

وذكر أنه أتى في تفسيره بما فتح الله من فهم لمعاني الآية ومسائل علمية لم تتناولها التفاسير الأخرى(١).

وأوضح أنّ أهم التفاسير التي رجع إليها: (الكشاف) و (المحرر الوجيز) لابن عطية، و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي (٢)، وتفسير الشهاب الآلوسي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي(٣)، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري، وغير ذلك من التفاسير التي ذكرها ورجع إليها.

وقد أخذ بعض العلماء على ابن عاشور ابتداءه بتفسير الكشاف عند تصنيفه لأهم التفاسير، وتأخيره لكتاب الطبري والذي يعدّ العمدة في التفسير بالمأثور، ممّا يوحي بأن منهج الإمام يعتمد على التفسير بالرأي أكثر منه بالمأثور، وبأنه بهذا الترتيب كأنه يُبيّن مراجعه الأساسية(٤).

والذي يظهر أنه ــرحمه الله ــ قدّم الكشاف على اعتزاله لما حواه من وجوه بلاغية ــفمعروف أنّ الكشاف من أبرز التفاسير في هذا الجانب ــ والتي أشار في مقدمته أنه لم يُفرد تفس يرٌ التصنيفَ في دقائق البلاغة، وأنه تصدى في تفسيره لهذا الفنّ، وقد قال ــرحمه الله ــ إزاء نظرته لتفسير السابقين: ((ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرّ كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذّبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالمًا بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة))(٥)؛ وهذا يكفي لبيان أنه بجانب اعتماده على التفسير بالرأي فإنه لم يُغفل التفسير بالمأثور وأن كتابه ضمّ من آثار السابقين، وظلال الأقدمين، وأنه

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/٧).

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، له مختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وله شرح المصابيح في الحديث، كان إمامًا مبرزًا نظارًا صالحًا متعبدًا زاهدًا، (ت ٦٨٥هــ). انظر: طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٢٥٤)، طبقات الشافعية (٢/ ١٧٢).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرج ي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان، و التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، قال الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله، مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة (٦٧١هــ). انظر: طبقات المفسرين، الداوي (١/ ٢٤٦)، طبقات المفسرين، الأدنة وي (١/ ٩٢)، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٧).

(٤) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٢/ ٧٣٨).

(٥) التحرير والتنوير (١/ ٧).

راعى في الأساس أغراض التفسير، ومقاصد القرآن الكريم، وبيان مُراد الله تعالى بأتمّ بيان يحتمل المعنى ولا يأباه اللفظ، ومن أجل ذلك جاءت مقدمته الرابعة في أغراض المفسر.

ولما كان كتاب الله تعالى كتاب هداية وإصلاح على مستوى الأفراد والجماعات، جاء ليهديهم سبيل ربهم ليعبدوه ويعمروا أرضه كما يحبُّ ويرضى ، فلقد اهتم الطاهر في تفسيره بذكر مقاصد السور وأغراضها وقال في مقدمته الرابعة : ((إن القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(١) ... فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابًا بينًا وتعبدنا بمعرفة مراده والإطلاع عليه فقال : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(٢))) (٣).

وعلى من يخوض في هذا الفن أن يعلم المقاصد الثمانية الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها وهي كما ذكرها ابن عاشور (٤):

١ــ إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، فهذا أعظم سبب للإصلاح والتحرر من عبودية غير الله تعالى.

٢ــ تهذيب الأخلاق قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٥)، وفسرّت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خُلُقِهِ ﷺ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن" (٦).

٣ــ التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴾(٨).

---

(١) جزء من الآية (٨٩) من سورة النحل.

(٢) الآية (٢٩) من سورة ص.

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٨ ــ ٣٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٩ــ ٤٢) بتصرف.

(٥) الآية (٤) من سورة القلم.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، (١/ ١١٥)، رقم: [٣٠٨].

(٧) جزء من الآية (١٠٥) من سورة النساء.

(٨) جزء من الآية (٤٨) من سورة المائدة.

٤ــ سياسة الأمة و القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها ووحدتها بقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾(١)، وقوله: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾(٢).

٥ــ القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، قال تعالى : ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾(٣).

٦ــ التعليم وما يؤهل أفراد الأمة إلى تلقي الشريعة ونشرها، وقد زاد القرآن تعليم حكمة ميزان العقول فقال ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾(٤)، وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل.

٧ــ المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين.

٨ــ الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ.

وبالنظر في هذا التفسير نجد أن مؤلفه ــ كما يقول في مقدمته ــ قد اهتم ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، وأيضًا ببيان أوجه المناسبة بين الآيات، وأحاط بأغراض السور، وقام بإيضاح بعض معاني المفردات العربية مما خلت منه القواميس ضبطًا وتحقيقًا.

هذا بصورة مجملة ما ذكره ابن عاشور عن تفسيره، وما حكاه في مقدماته، وفيما يلي بيان وعرض لمنهجه في تفسيره بتفصيل يسير.

منهجه في تفسيره:

من خلال إطلاعي على جزء من تفسيره، فهذه أبرز سمات منهجه في تفسيره:

١ــ سار في تفسيره على ترتيب المصحف الشريف، وفي بداية تفسيره لكل سورة يُقدّم لتلك السورة ببيان أسمائها، وعدد آياتها واختلاف العلماء فيها إن وجد، وترتيب نزولها، ومكيتها ومدنيتها، ويستشهد في ذلك كله بالآثار ــ إن وجدت ــ ثم يقول: وأغراضها أو أغراض السورة، ويذكر تلك الأغراض، ثم يشرع في تفسير آية آية.

---

(١) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة الشورى.

(٣) الآية (٣) من سورة يوسف.

(٤) جزء من الآية (٢٦٩) من سورة البقرة.

٢_ عند تفسيره للآية أول ما يبدأ به هو ذكر المناسبة _إن وجدت_ ثم يشرع في تفسيرها، و لم يبحث اتصال مواقع السور(١).

٣_ الاعتناء بذكر أسباب الترول مستعينًا بها على فهم الآيات(٢).

٤_ في بعض الأحيان يفسّر القرآن بالقرآن، ومن أمثلته: ما ذكره الطاهر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣): ((جرى على سنة الله أنه لا يسلب نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ذلك بأنفسهم، وأن قوم فرعون والذين من قبلهم كانوا من جملة الأقوام الذين أنعم الله عليهم فتسببوا بأنفسهم في زوال النعمة كما قال تعالى ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا ۖ ﴾ (٤)))(٥).

٥_ الاستشهاد بالأحاديث في تفسير الآيات، وأيضًا في أسباب الترول، و كان يذكرها بدون سند مكتفيًا بذكر اسم الصحابي الذي روى الحديث مرفوعًا إلى الرسول ﷺ(٦) .

٦_ الاهتمام بذكر القراءات، ونسبتها إلى أصحابها، وبيان أثر اختلافها على التفسير وما تحمله من معانٍ، ومثاله: قال الطاهر: ((وقرأ الجمهور _ لَيميز _ بفتح التحتية الأولى وكسر الميم وسكون التحتية الثانية_ مضارع ماز بمعنى فرز وقرأ حمزة (٧) والكسائي(٨)، ويعقوب(٩)، وخلف(١٠): _ بضم التحتية

---

(١) انظر: (ص ٥٧) من هذا البحث.

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٤٨/٩).

(٣) الآية (٥٣) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (٥٨) من سورة القصص.

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٤٥/١٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٧٦)، (١٠/ ١٤٣)، (٢٦٩/١٠)، (١٠/ ٢٧٦_ ٢٧٧).

(٧) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين، قرأ على التابعين، و تصدر للإقراء، (ت ١٥٦هــ). انظر: معرفة القراء الكبار، محمد بن أحمد الذهبي (١١١/١)، شذرات الذهب (١/ ٢٤٠)،

(٨)علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الإمام أبو الحسن الكسائي ، كان إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، وسابع القراء السبعة، توطن في بغداد، ومن مصنفاته معاني القرآن العظيم، وبعض الكتب في القراءات، وكانت وفاته في بلدة ري سنة (١٩٢هــ). انظر: طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٢١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٥).

(٩) قارئ أهل البصرة، يعقوب بن إسحاق الحضرمي، المقرئ النحوي أحد الأعلام، وله في القراءة رواية مشهورة ثامنة على القراء السبعة، قال أبو حاتم السمتاني : كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركنا في الحروف والاختلاف في القرآن وتعليله ومذاهبه ومذاهب النحو، (ت ٢٠٥هــ). انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٥٧)، شذرات الذهب (٢/ ١٤).

(١٠) خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البغدادي المقرئ البزار، أحد الأعلام، ولد سنة (١٥٠هــ)، قال الدارقطني: كان عابدًا فاضلاً، (ت٢٢٩هــ). انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٢٠٨)، شذرات الذهب (٢/ ٦٧).

الأولى وفتح الميم التحتية وتشديد الثانية ــ. مضارع ميز إذا محص الفرز وإذ أسند هذا الفعل إلى الله تعالى استوت القراءتان)) (١).

٧ــ التوسّع في ذكر دقائق البلاغة وأساليب البيان(٢).

٨ــ الاستشهاد بالشعر العربي كثيرًا، وخاصة عند الحديث عن التراكيب اللغوية واستعمالات العرب(٣).

٩ــ العناية بالنحو والصرف، والحرص على بنية الكلمات وإرجاعها إلى أصولها، ولا يخفى تضلّعه في سنن العرب وكلامها لذا تطرّق إلى نشأة اللغة، وهو كثير جدًا في تفسيره (٤).

١٠ــ التعرّض لمسائل الفقه، وأقوال العلماء، واختلافاتهم الفقهية، وكان يفصّل المسائل ويرجّح دون تعصبّ لمالكيته(٥).

١١ــ اتّباع منهج الإنصاف بين الأقوال، ومسائل الاختلاف، والمناقشة والنقد والترجيح بدون تعصب(٦).

١٢ــ اعتنى بمقاصد الشريعة، وبيان الحِكَم من بعض المسائل والأمور(٧).

١٣ــ نَقَلَ العديد من نصوص أسفار التوراة مع التعليق والإيضاح؛ بهدف بيان صحة القرآن الكريم وسلامته من التحريف، وإن أُخذ هذا عليه من بعضهم . مثال ذلك قوله: ((والاعتداد بالرؤيا من قديم أمور النبوءة. وقد جاء في التوراة أن الله خاطب إبراهيم عليه الصلاة والسلام في رؤيا رآها وهو في طريقه ببلاد شاليم بلد ملْكي صَا دق وبشّره بأنه يهبه نسلاً كثيرًا ، ويعطيه الأرض التي هو سائر فيها، في الإصحاح ١٥ من سفر التكوين)) (٨).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٩/٣٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٠٥)، (٩/٣١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٩٠)، (٩/٣٣١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٩٦)، (٩/ ٣٢٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٥٠ــ ٢٥١)، (٩/ ٣٤٥).

(٦) المصدر السابق (٢/ ١١٦)، (١٠/ ٢٩٢).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/ ١٧٣ــ ١٧٤).

(٨) المصدر السابق (١٢/ ٢٠٩).

١٤ـ قد يُسهب أحيانًا في شرح مسألة قد تتعلّق بعلم الجغرافيا، أو التاريخ، أو الفلسفة، أو حتى الطب والتشريح والأحياء، وعلم النفس والفلك والطبيعة من باب بيان إعجاز القرآن العلمي (١).

١٥ـ تحدّث عن مبتكرات القرآن في مقدمته العاشرة التي تناول فيها إعجاز القرآن في أسلوبه، ومبتكراته في نظمه، ثم بيّن ذلك في مواضع من كتابه منها: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ (٢) ، قال الطاهر: ((وأحسب أنّ وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن)) (٣).

---

(١) من أمثلة ذلك ما ذكره عن علم الفلك وتقسيم الشهور عند العرب وغيرهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٣٦. انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٠).

(٢) جزء من الآية (٧٣) من سورة آل عمران.

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٨٤).

المبحث الثالث

منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات

بما أنّ هذه الدراسة تتناول تفسير التحرير والتنوير فإن صاحبه المصنف _رحمه الله_ قد ذكر في مقدمته الثامنة موقفه من علم المناسبات بين الآيات، والمناسبات بين السور.

موقفه من علم المناسبات بين الآيات:

نجد أن الإمام ابن عاشور قد اهتم ببيان وجوه المناسبات والاتصال بين الآيات، وأيّد هذا النوع من المناسبات، وحثّ عليه، وأثنى على المفسرين الذي اعتنوا به، فقال: ((واهتتمتُ أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع))⁽¹⁾.

ويذكر الطاهر _ في مقدمته الثامنة_ أن ترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبي ﷺ، حيث قال: ((وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي... وذلك الترتيب مما يدخل في وجوه إعجازه من بداعة أسلوبه ...فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل))⁽²⁾.

موقفه من علم المناسبات بين السور:

وبالنسبة لعلم المناسبات بين السور فقد قال عنه الطاهر : ((أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقًا على المفسر))⁽³⁾.

ولقد كان هذا الرأي منه لأنه يرى أن ترتيب السور اجتهاديًا وليس توقيفيًا. وقد تناول هذا الرأي في مقدمته الثامنة، ثم عقّب على ذلك بقوله: ((لا أشك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم... فلا شك في أن سور المفصل كانت هي آخر القرآن ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل وفي بعضها من وسط المفصل وفي بعضها من قصار المفصل. وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن. والاحتمال فيما عدا ذلك))⁽⁴⁾.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٧٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٨).

(٤) انظر : المصدر السابق (١/ ٨٦ _ ٨٧).

ومما سبق يظهر أن الطاهر لم يعتنِ في تفسيره بذكر المناسبة بين السور؛ لأنّ المناسبة بين كل سورة وسورة تليها تعتمد على القول بتوقيف ترتيب سور القرآن الكريم⁽١⁾.

---

(١) اختلف العلماء في مسألة ترتيب سور القرآن الكريم على ثلاثة آراء : الأول: أن ترتيبها توقيفي، الثاني: أن ترتيبها اجتهادي، الثالث: أن بعض السور ترتيبها توقيفي وبعضها اجتهادي، ونظرًا لطول الخلاف في هذا الموضوع، فإني أكتفي بنقل ما قاله الدكتور فهد الرومي بعد أن استعرض الأقوال الثلاثة وناقشها: ((الراجح أن ترتيب سور القرآن الكريم كترتيب آياته بالتوقيف عن الرسول ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن ربه ﷻ مع ما في أدلة هذا الرأي من الاحتمال .. إلا أنه أقوى الآراء... وعلى كل حال، ومهما يكن من أمر، سواء أكان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقيف أم بطريق الاجتهاد، ثم أجمع الصحابة عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسك به ... لأن في ترتيب سوره معانٍ لا تقل عن معاني الترتيب في آياته، جدّ كثير من العلماء في استنباطها وتحليلها ...)). انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د.فهد عبد الرحمن سليمان الرومي (ص ١٢٣ــ ١٢٤).

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

أكثر الطاهر من ذكر لفظ المناسبة، وغالبًا ما يذكر المناسبة _ إن وُجدت_ قبل شروعه في تفسير الآية، وتجدر الإشارة إلى عدم تعرّضه لمناسبة أول السورة مع خاتمتها، وكذا المناسبات بين السور.

ومن عباراته الصريحة التي استخدمها: (والمناسبة (١)، عقّب بكذا (٢)، أو أعقب ذلك (٣)، ناسب كذا(٤)، وموقع كذا (٥)، ومناسبتها لما قبلها (٦) ...)، وكثيرًا لا يصرّح بل يشير إلى المناسبة إشارة تُفهم بها (٧)، ويورد حينًا ما أورده بعض المفسرين من مناسبة ما ثم يتبع ذلك بموافقة أو ردّ (٨).

ومن أنواع المناسبات بين الآيات التي تعرّض لها خلال تفسيره:

١_ المناسبة بين الآية والتي قبلها (٩).

٢_ مناسبة الفاصلة (١٠).

٣_ وحينًا يذكر المناسبة بين الآية وأحد أغراض السورة (١١).

٤_ يربط أحيانًا عدة آيات ببعض أو يربط الآية بأول السورة (١٢).

٥_ المناسبة بين جمل الآية الواحدة (١٣).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (التحرير والتنوير (١٠/ ٧٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٥_ ٣٢٦).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٦٥).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٢_ ١٤٣).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٦١).

(٨) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٧٨ _ ٧٩).

(٩) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٨٦).

(١٠) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٩).

(١١) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٦_ ٢٧٧).

(١٢) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣١١).

(١٣) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٦).

الفصل الأول

سورة الأنفال

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

المبحث الأول: وجه تسميتها

لقد أولى المفسرون وعلماء علوم القرآن أسماء السور عنايتهم، وتعرضوا لوجه تسميتها، وتجدر الإشارة ابتداء إلى أنّ أسماء السور المثبتة في المصاح ف توقيفية ثبتت بالأحاديث والآثار كما ذكر السيوطي(١)، وهناك أسماء للسورة أشهر من غيرها، وبعض تلك الأسماء اجتهادي، وهي أشبه بالأوصاف أو الألقاب لما تتسم به السورة، أطلقه عليها الصحابة ﷺ، أو مَن بعدهم من العلماء؛ لبيان فضل تلك السورة، ولإبراز معنى جليل فيها (٢)، وفيما يلي نورد أسماء هذه السورة التي ذكرها الطاهر في بداية تفسيره لسورة الأنفال ووجه تسميتها:

١_ سورة الأنفال(٣):

قال الطاهر: ((عُرِفت بهذا الاسم من عهد أصحاب رسول الله ﷺ روى الواحدي(٤) في أسباب النزول(٥) عن سعد بن أبي وقاص (٦) قال: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بنَ العَاصِي فَأَخَذْتُ سَيْفَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ القَبَضَ (بفتحتين الموضع الذي تجمع فيه الغنائم) فَرَجَعْتُ فِي مَا لا يَعْلَمُهُ إِلا الله، قُتِلَ أَخِي وَأُخِذَ سَلَبِي فَمَا جَاوَزْتُ قَرِيبًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْفَالِ"(٧).

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: التناسب بين سورة البقرة طارق حميدة ص ٣ من الفصل الأول www.saaid.net.

(٣) النَّفَلُ مُحَرَّكةً الغَنِيمَةُ والهِبَةُ ، وهي جمع أنفال ونِفال. انظر: تاج العروس (٣١/ ١٦) مادة ن ف ل، المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٢).

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول وغيرها، وتصدر للإفادة وللتدريس مدة، وله شعر حسن، (ت ٤٦٨هـ). انظر: طبقات الشافعية (١/ ٢٥٦)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٧٨).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص ١٦٤_ ١٦٥).

(٦) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري ، أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة مات بالعقيق سنة ست وخمسين على الأشهر. انظر: الإصابة (٣/ ٧٣)، تقريب التهذيب (١/ ٢٣٢).

(٧) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، (٥/ ٢٦٨)، رقم: [٣٠٧٩]، قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص، (١/ ١٨٠)، رقم: [١٥٥٦].

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير (١)، قال: "قُلْتُ لابنِ عَبَّاسٍ (٢): سُوْرَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ (٣)" (٤). فباسم الأنفال عرفت بين المسلمين وبه كتبت تسميتها في المصحف حين كتبت أسماء السور السور في زمن الحجاج (٥)، ولم يثبت في تسميتها حديث، وتسميتُها سورة الأنفال من أنها افتتحت بآية فيها اسم الأنفال، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال كما سيأتي)) (٦).

ومن خلال ما سبق يذكر الطاهر أنها سُمّيت سورة الأنفال لافتتاحها بآية فيها ذكر الأنفال، وقد نزلت لاختلافهم فيها أو لأن بعضهم سأل الرسول ﷺ أن يعطيهم من الأنفال؛ ولم يثبت في تسميتها حديث، وهذا الوجه ظاهر في تسميتها فقد جاء في السورة بيان أحكام الأنفال.

٢_ سورة بدر:

وذكر الطاهر أيضًا أنها سُمّيت بسورة بدر، قال: ((وتسمى أيضًا سورة بدر ففي الإتقان (٧) أخرج أبو الشيخ (٨) عن سعيد بن جبير قال: "قُلْتُ لابنِ عَبَّاسٍ: سُوْرَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: تِلْكَ سُوْرَةُ بَدْرٍ" (٩).

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، أحد الأعلام، سمع من ابن عباس وأكثر الرواية عنه، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله ﷺ، (ت٦٨هـ). انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٣٣)، أسد الغابة (٣/ ٢٩٥).

(٣) بدر: معركة شهيرة وقعت بين المسلمين والمشركين في شهر رمضان، سنة (٢هـ)، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا عظيمًا. وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين ساحل البحر ليلة. انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢/ ٢١٨)، معجم البلدان (١/ ٣٥٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾، (٤/ ١٧٠٣)، رقم: (٤٣٦٨). وباب تفسير سورة الحشر، (٤/ ١٨٥٢)، رقم: (٤٦٠٠).

(٥) أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، مات في رمضان سنة (٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٩).

(٦) التحرير والتنوير (٩/ ٢٤٥).

(٧) انظر: الإتقان (١/١٥٥).

(٨) حافظ أصبهان، ومسند زمانه، الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، صاحب المصنفات، ويعرف بأبي الشيخ، ولد سنة (٢٧٤هـ)، كان مع سعة علمه وغزارة حفظه أحد الأعلام صالحًا خيرًا، صنف التفسير وغيره، (ت ٣٦٩هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٥)، طبقات الحفاظ (١/ ٣٨٢).

(٩) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، (٤/ ٢٣٢٢)، رقم: (٣٠٣١).

وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر: قال ابن إسحاق(١) أنزلت في أمر بدر سورة سورة الأنفال بأسرها، وكانت غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة بعد عام ونصف من يوم الهجرة، وذلك بعد تحويل القبلة بشهرين، وكان ابتداء نزولها قبل الانصراف من بدر، فإن الآية الأولى منها نزلت والمسلمون في بدر قبل قسمة مغانمها، كما دل عليه حديث سعد بن أبي وقاص، والظاهر أنها استمر نزولها إلى ما بعد الانصراف من بدر(٢)))(٣).

وقد تحدثت السورة عن المعركة والأحداث التي قبلها ونتيجتها، واتفق أهل الأثر جميعًا على أنها نزلت في غزوة بدر، وهذا أيضًا وجه ظاهر في تسميتها. ومما سبق من بيان لأسماء السورة التي اقتصر الطاهر على ذكرها (٤) يتضح أنه قد تسمى سورة الأنفال لافتتاحها بمسألة الأنفال وحكمها، وقد تسمى سورة بدر لما سيق فيها من ذكر غزوة بدر وأحداثها ونتائجها. والله تعالى أعلم.

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، العلامة الحافظ، أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي، مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة (٨٠هـ)، مات سنة (١٥١هـ). انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣)، طبقات الحفاظ (١/ ٨٢).

(٢) نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين : أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان . نا أحمد نا يونس، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال: كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان. انظر: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (٢/ ١١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٩/٢٤٥).

(٤) سماها البقاعي بسورة الجهاد وهي تسمية مناسبة لما ورد فيها من أحكام الجهاد، حيث قال : (واسمها الجهاد كذلك لأن الكفار دائمًا أضعاف المسلمين، وما جاهد قوم من أهل الإسلام قط إلا أكثر منهم، وتجب مصابرة الضعف، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيق ذلك...). انظر: نظم الدرر (٣/ ١٨١)، مصاعد النظر (٢/ ١٤٤).

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

لا يكون نصر إلا بالتمام الشمل، ونبذ كل خلاف، وتوحيد القلب والصفّ، فمع عظمة النصر في غزوة بدر إلا أنه لم يبتدأ السورة التي تحكي أحداث هذه الغزوة بامتداح نصرهم وبلائهم فيها، بل حذّر أشدّ الحذر من الذي حدث آخر الغزوة، وهو الاختلاف الذي يحول دون كل نصر قادم!

جاءت السورة لتربط كل شيء بالإيمان، ولتردّ كل أمر لله تعالى، جاءت لتحكي أحداث أول غزوة، وأول انتصار، لذا سمّاها بعض العلماء بسورة بدر، وسمّاها مدبّرها ومقدّرها في السورة بيوم الفرقان، فهي فرقان بين الحق والباطل، بين عهد الضعف وعهد القوة، بين من جاهد لله تعالى ومن يجاهد للغنائم، بين ما أراده المؤمنون من خروجهم وبين ما أراده ربهم لهم.

إنها تحكي قصة أول نصر رغم أن كل الدلائل لا تدلُّ عليه! فالمؤمنون قلة، والعدو كثرة، واستعدادات العدو تفوق استعداداتهم، ولكنها إرادة الله القادر، ووعده الصادق المُنجَز لنبيه ﷺ.

إنها تذكُرُ البدايات، وتسرد وعد الله قبل المعركة، وتحكي ظروفها ومشاعر المؤمنين وعنايته لهم فيها، كان يُريد منهم السمع الطاعة لله الذي يُدبّر ويدير، والثقة بوعده إحدى الطائفتين، فما النصر إلا من عنده، وما المدد والعون إلا من عنده، والمطلوب هو التوكل عليه والأخذ ب الأسباب المتاحة، وترك أمر النتيجة له.

وآخرون أطلقوا عليها سورة الجهاد؛ ليس فقط لكونها تحكي قصة أكبر نصر في تاريخ الإسلام؛ بل لما حوته من بيان لأسباب النصر الظاهرة والباطنة، والمادية والمعنوية.

إنها تدعو إلى إصلاح النفوس التي هي أساس صلاح كل مجتمع، وتمنع الفتنة وتقمعها، لذا انتزع أمر الأنفال منهم حتى يخلُص عملهم وجهادهم من كل شائبة، إنها تحافظ على كيان المجتمع المسلم، وتُعالج كل ما قد يسبّب فيه الفُرقة والاختلاف، إنها تدعو للتغيير النابع من الذات، فكما أن غزوة بدر غيّرت مسيرة الإيمان عبر التاريخ، فإن الأساس لهذا التغيير يبدأ من القلب الذي هو محل الإيمان، ومن الجسد الذي هو المترجم لهذا الإيمان، لذا تُعطينا السورة وسائل التغيير (التقوى، وإصلاح ذات البين، والطاعة)، وتسوق بعدها من الأعمال القلبية والعملية ما يقوّي ويعزز هذا التغيير.

إنها ست نداءات بـ (يا أيها الذين آمنوا) ، تبدأ قوية محذرة من الفرار عند لقاء العدو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾(١)، ولكن اثبتوا فإن الله معكم عليهم ، ثم

---

(١) الآية (١٥) من سورة الأنفال.

نداء بأمر جاء في أول السورة ثم عاد وكرره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾(١)، فجدد الأمر هنا بطاعة الله ورسو له، ثم أكده بالدعوة للاستجابة لله وللرسول، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾(٢)، ثم نداء بالنهي عن الخيانة لجميع أنواع الأمانات، حفاظًا على كيان الأمة من الزعزعة التي تهدم كل نصر، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(٣)، ثم أعاد ذكر التقوى الذي افتتح به أول السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾(٤)، ثم خاطبهم بالثبات أمام العدو وأن يذكروا الله تعالى الناصر المعين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٥)، مؤكدًا على أهمية الطاعة لله والرسول والصبر عند اللقاء، وترك كل نزاع وخلاف.

إن المتأمل في النداءات الستة يجدها تخاطب القلوب المؤمنة في كل عصر، وتسوق لها أدوات النصر المباشرة وغير المباشرة، فهي تؤكد على الطاعة، وتدعو إلى التقوى، وتحث على الثبات، وتنهى عن الخيانة، وتُحذر من الخصام، ورأس ذلك كله الإيمان الذي ما إن يتعمق في النفوس حتى تعمل لله تعالى ولدينه ونصرته، لا تغرها الدنيا ولا تثنيها الأهواء.

وقد ساق الطاهر تسعة عشر غرضًا للسورة، وهي(٦):

١ـ بيان أحكام الأنفال وهي الغنائِم وقسمتها ومصارفها.

٢ـ الأمر بتقوى الله في ذلك وغيره.

٣ـ الأمر بطاعة الله ورسوله، في أمر الغنائم وغيرها.

٤ـ أمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم ، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل.

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٢) الآية (٢٤) من سورة الأنفال.

(٣) الآية (٢٧) من سورة الأنفال.

(٤) الآية (٢٩) من سورة الأنفال.

(٥) الآيتان (٤٥ ـ ٤٦) من سورة الأنفال.

(٦) التحرير والتنوير (٩/ ٢٤٧) بتصرف يسير.

٥ــ ذكر الخروج إلى غزوة بدر وبخوفهم من قوة عدوهم وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله ولطفه بهم.

٦ــ امتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء.

٧ــ وعدُهم بالنصر إن اتقوا بالثبات للعدو، والصبر.

٨ــ الأمر بالاستعداد لحرب الأعداء.

٩ــ الأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع.

١٠ــ الأمر بأن يكون قصد النصرةِ للدين نصب أعينهم.

١١ــ وصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر.

١٢ــ ذكر مَواقع الجيْشين، وصفات ما جرى من القتال.

١٣ــ تذكير النبي ﷺ بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أمانًا لأهلها فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصدّ عن المسجد الحرام.

١٤ــ دعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام وإيذانهم بالقتال.

١٥ــ التحذير من المنافقين.

١٦ــ ضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة لله.

١٧ــ أحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، ومتى يحسن السلم.

١٨ــ أحكام الأسرى.

١٩ــ أحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة. وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية.

هذه هي الأغراض التي ذكرها ابن عاشور، وكلامه واسع شامل لجميع دقائق السورة وموضوعاتها المهمة في إصلاح الفرد والجماعة، وفي أحكام الجهاد والسلم والحرب. والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((موقع هذه الجملة وما عطف عليها موقع التعليل لوجوب تقوى الله وإصلاح ذات بينهم وطاعتهم الله ورسوله، لأن ما تضمنته هذه الجمل التي بعد ﴿ إِنَّمَا ﴾ من شأنه أن يحمل المتصفين به على الامتثال لما تضمنته جُمل الأمر الثلاث السابقة))(٢).

وقال أيضًا: ((وقد تكون جملة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا لجواب سؤال سائِل يثيره الشرطُ وجزاؤه المقدرُ في قوله: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣) بأن يتساءلوا عن هذا الاشتراط بعد ما تحقق أنهم مؤمنون من قبل، وهل يمتري في أنهم مؤمنون، فيجابوا بأن المؤمنين هم الذين صفتهم كيت وكيت، فيعلموا أن الإيمان المجعول شرطًا هو الإيمان الكامل فتنبعث نفوسهم إلى الاتسام به وا لتباعد عن موانع زيادته.

وإذ قد كان الاحتمالان غير متنافيين صح تحميل الآية إياهما توفيرًا لمعاني الكلام المعجز فإن علة الشيء مما يُسأل عنه، وإن يلن العلة مما يصح كونه استئنافًا بيانيًا.

وعلى كلا الاحتمالين وقعت الجملة مفصولة عن التي قبلها لاستغنائه ا عن الربط وإن اختلف موجب الاستغناء باختلاف الاحتمالين، والاعتباراتُ البلاغية يصح تعدد أسبابها في الموقع الواحد لأنها اعتبارات معنوية وليست كيفيات لفظية فتحقَّقْه حق تحقُّقه.

والمعنى ليس المؤمنون الكامل إيمانهم إلا أصحاب هذه الصلة التي يعرف المتصف بها تحققها فيه أو عدمه من عرض نفسه على حقيقتها، فإنه لما كان الكلام وارداً مورد الأمر بالتخلق بما يقتضيه الإيمان أحيلوا في معرفة أمارات هذا التخلق على صفات يأنسونها من أنفسهم إذا علموها)) (٤).

---

(١) الآية (٢) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٤).

(٣) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) واقتضى ذلك كون الإيمان مستلزمًا للطاعة شرح ذلك في هذه الآية مزيد شرح وتفصيل وبيّن أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول هذه الطاعات فقال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية)) (٢).

من خلال النقل السابق، جعل الطاهر مناسبة هذه الآية وما جاء فيها من خصال الإيمان إما موقع التعليل لوجوب الصفات الثلاثة (التقوى، الإصلاح، الطاعة) المذكورة في الآية السابقة، وكذلك معرض الحث على الاتصاف بها، وإما أن تكون الجملة مستأنفة وكأنها جواب لسؤال مقدر عن الاشتراط في قوله تعالى ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فيثار سؤال: من هم المؤمنون وهم قد آمنوا وسبقوا ؟ وأشار الطاهر إلى أن كلاهما لا يتنافيان والآية، وكونها مفصولة عن الآية التي قبلها هو من وجوه البلاغة.

أما الرازي فذكر أن هذه الآية شرح وبيان لمستلزمات الإيمان من الطاعة، وما جاء في هذه الآية من صفات للمؤمنين، وحثّ على امتثالها.

ومن خلال ما سبق بيانه، لم يختلف كثيرًا المعنى الأول الذي ذكره الطاهر عن معنى مناسبة الرازي، ويظهر تناسب هذه الآية مع ما قبلها في أنه لما ذكر الأوامر الثلاثة واشترط أن تطبيقها من الإيمان، عرج إلى ذكر صفات المؤمنين تحريضًا لتحقيق كمال الإيمان على سبيل البيان والتفصيل أو التعليل، وهو الألطف، أو أنها كما ذكر الطاهر مستأنفة جوابًا لسؤال. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان وجوب الاتصاف بصفات المؤمنين، وأن دعوى الإيمان لا تكفي وحدها، وعقّب بذكر صفات المؤمنين وبعض أحوال كمال الإيمان، للتذكير بأنّ كل خصام ونزاع يجب أن لا يكون بين المؤمنين، فالتقوى وإصلاح ذات البين والطاعة لله والرسول كلها من الإيمان، وهذه الصفات المذكورة بعدها تحقق كمال الإيمان، الذي هو سبب لكل فلاح وسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ٩٥).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾: ((وحظّ المقام المتعلق بأحكام الأنفال من هذه الزيادة هو أن سماع آيات حكم الأنفال يزيد إيمان المؤمنين قوة، بنبذ الشقاق والتشاجر الطارئ ببينهم في أنفس الأموال عندهم، وهو المال المكتسب من سيوفهم، فإنه أحب أموالهم إليهم. وفي الحديث "وَجَعَلَ رِزْقِي تحْتَ ظِلّ رُمْحِي "[1] وبذلك تتضح المناسبة بين ذكر حكم الأنفال، وتعقيبه بالأمر بالتقوى وإصلاح ذات البين والطاعة، ثم تعليل ذلك بأن شأن المؤمنين ازدياد إيمانهم عند تلاوة آيات الله))[2].

ويظهر أن المناسبة هي أنه لما ذكر حكم الأنفال، ذكر بعد ذلك صفات أهل الإيمان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم خشية ورهبة وازدادوا إيمانًا فتركوا الشقاق والتراع. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن ذكر الله تعالى سبب لوجل القلوب منه سبحانه، وخصلة من خصال الإيمان وصفة من صفات كماله، تستدعي طاعة أوامره واجتناب نواهيه.

وبالتأمل في الحديث الصحيح: " لا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هنا ــ وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ــ بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" [3] نجد أن التقوى بحسب الحديث يكون محلها القلب، ومن معاني التقوى الخوف من إتيان ما يُغضب الله تعالى بإتيان نواهيه وترك مراضيه . ونصُّ الحديث ينهى عن ظلم المسلمين، ويدعو للمودة والمحبة بينهم بترك كل ما يضر المسلم وبيّن ﷺ أنه لا باعث على اجتناب تلك المنهيات كالتقوى، وهذا متفق مع معاني الآيات حيث أمر بالتقوى في قضية الأنفال، لأن الشقاق والتراع يضر بالمسلمين وخوف الله بتقواه يكف المسلم عن ذلك.

---

(١) عَنِ ابن عُمَرَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حتى يُعْبَدَ الله لاَ شَرِيكَ له، وَجُعِلَ رزقي تَحْتَ ظِلِّ رمحي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على من خَالَفَ أمري، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منهم". رواه الإمام أحمد في مسنده، (٢/ ٥٠)، رقم: [٥١١٤] وَ [٥١١٥]، وأيضًا (٢/ ٩٢)، رقم: [٥٦٦٧]. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، (٤/ ٢١٢، ٢١٦)، رقم: [١٩٤٩١] وَ [١٩٤٣٧]. وأيضًا في كتاب السير، باب ما قالوا في الفيء يفضل فيه الأهل على الأعزب، (٦/ ٤٧٠)، رقم: [٣٣٠١٠]. وبعد دراسة الإسناد فالحديث حسن يرتقي إلى الحديث الصحيح لتعدد الطرق.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٩).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٦)، في كتاب: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم: (٢٥٦٤).

فقد جاء في الآيات ذكر التقوى عندما اختلفوا في النفل، ثم ذَكَر مكانها وهو القلب وأسند الوجل إليه، وذكر أن من صفات المؤمنين أن يزداد إيمانهم كلما سمعوا ذكر الله وعملوا به، كل ذلك في معرض حديثه عن مسألة الأنفال واختلافهم عليها، مما يدعو إلى التطبيق والالتزام بأوامر الله ورسوله، ويؤكد أن التقوى أول وسائل إصلاح النفس وإصلاح الجماعة وتحقيق الأخوة الإيمانية بين المسلمين فلا ضرر ولا ضرار.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: ((ومناسبة هذا الوصف للغرض: أنهم أمروا بالتخلي عن الأنفال، والرضى بقسمة الرسول ﷺ فيها، فمن كان قد حرم من نفل قتيله يتوكلُ على الله في تعويضه بأحسن منه)) (١).

مما سبق يذكر ابن الطاه ر مناسبة وصف المؤمنين بالتوكل على الله تعالى في الآية مع قصة الأنفال؛ وتتلخص المناسبة في أنهم لما نزلوا على حكم الله تعالى وردوا الأنفال حثهم على التوكل عليه وتفويض الأمر إليه ليعوضهم خيرًا مما تركوا.

ومن خلال السابق تكون مناسبة الطاه ر من تفرداته، والله تعالى أجل وأعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تدعو الآية إلى التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه بالكلية في أمور الدنيا والآخرة.

وأيضًا الحث على عدم الحزن لفوات أمر من الدنيا والرضا بحكمه والتسليم به.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٩).

٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآيةِ لما قبلها: ((وَصْفُهم بأنهم الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله جاءَ بإعادة الموصول، كما أعيد في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ (٢) وذلك للدلالة على الانتقال، في وصفهم، إلى غرض آخر غيرِ الغرض الذي اجتُلبَ الموصول الأول لأجله، وهو هنا غرض محافظتهم على ركني الإيمان: وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلا علاقة للصلة المذكورة هنا بأحكام الأنفال والرضى بقسمها، ولكنه مجرد المدح، وعبر في جانب الصلاة بالإقامة للدلالة على المحافظة عليها ... وجيء بالفعلين المضارعين في ﴿يُقِيمُونَ﴾ و ﴿يُنفِقُونَ﴾ للدلالة على تكرر ذلك وتجدده)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((وهذه أوصاف جميلة وصف الله بها فضلاء المؤمنين فجعلها غاية للأمة يستبق إليها الأفاضل، ثم أتبع ذلك وعدهم ووسمهم بإقامة الصلاة ومدحهم بها حضاً على ذلك)) (٤).

٢_ قال الرازي: ((والصفة الرابعة والخامسة قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ واعلم أن المراتب الثلاثة المتقدمة أحوال معتبرة في القلوب والبواطن ، ثم انتقل منها إلى رعاية أحوال الظاهر؛ ورأس الطاعات المعتبرة في الظاهر ورئيسها بذل النفس في الصلاة ، وبذل المال في مرضاة الله ، ويدخل فيه الزكوات والصدقات والصِّلات، والإنفاق في الجهاد، والإنفاق على المساجد والقناطر))(٥).

٣_ قال أبو حيان: ((الأحسن أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ صفة للذين السابقة حتى تدخل في حيّز الجزئية ، فيكون ذلك إخبارًا عن المؤمنين بثلاث: الصفة القلبية، وعنهم بالصفة البدنية، والصفة المالية، وجمع أفعال القلوب لأنها أشرف، وجمع في أفعال الجوارح بين الصلاة والصدقة لأنهما عمودا أفعال)) (٦).

٤_ قال البقاعي: ((ولما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع لهم الدافع للمانع منها، منتقلاً من عمل الباطن إلى عمل الظاهر مبينً ا أن همتهم إنما هي العبادة والمكارم : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي لا يفترون عن تجديد ذلك؛ ولما كانت صلة بين الخلق والخالق، أتبعها الوصلة بين الخلائق

---

(١) الآية (٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٠).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥٠١).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ٩٧_ ٩٨).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٥٥).

فقال: ﴿ رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أي على عظمتنا وهو لنا دونهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ ولو كانوا مقلين اعتمادًا على ما عندنا فالإنفاق وإهانة الدنيا همتهم، لا الحرص عليها، فحينئذ يكونون كالذين عند ربك في التحلي بالعبادة والتخلي من الدنيا إعراضاً وزهادة، وهو تذكير بوصف المتقين المذكور أول الكتاب بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١))) (٢).

٥_ قال الألوسي: ((وقد مدحهم سبحانه وتعالى أولاً بمكارم الأعمال القلبية من الخشية والإخلاص والتوكل وهذا مدح لهم بمحاسن الأعمال القولبية من الصلاة والصدقة)) (٣).

من خلال ما سبق تتجلى المناسبة التي ذكرها الطاهر في أن هذه الآية جاءت للانتقال من غرض الحديث عن الأنفال وقسمتها إلى غرض آخر هو مديح المؤمنين بركني الإيمان : الصلاة والزكاة ومحافظتهم عليهما.

ولم يختلف ابن عطية عن الطاهر فيما ذكر من مناسبة وإن اختلفت تعابيرهما اللفظية، واتفق الرازي مع أبو حيان والبقاعي والألوسي في أنه انتقال من الأعمال الباطنة إلى الأعمال الظاهرة فجمع بذلك معنى الإيمان بشطريه القلبي والعملي، مع اتفاق بعضهم مع الطاهر في أنه مديح للمؤمنين بهذه الصفات الظاهرة.

وكل ما ذُكر من مناسبات يتخلص في فكرتين، إما أنه انتقال من حادثة الأنفال إلى امتداح المؤمنين بإقامة الصلاة وبذل الصدقة وهو ما ذهب إليه ابن عاشور . أو هو انتقال من الحديث عن أعمال القلوب إلى أعمال الأبدان ومدحهم بها ليحافظوا عليها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الإيمان يشمل الباطن والظاهر من الأفعال والأقوال، وأنه تعالى امتدح المتصفين المحافظين على الصلاة المؤدين الزكاة . وهنا لطيفة جميلة ذكرها البقاعي، ففي أول سورة البقرة امتدح المؤمنين المتقين بالمحافظة على الصلاة والصدقة، وهنا لما ذكر التقوى والإيمان عقب بذكر الصلاة والصدقة.

وقد يكون الإتيان بركني الصلاة والإنفاق في معرض الحديث عن نزاع الأنفال، هو أنه لما ردها لله وللرسول، ذكر لهم ما يقويهم على الرضا بالحكم وهو الاستعانة بالصلاة كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ (٤)، وحثهم على الصدقة لأن الأ نفال كانت أموالاً اختلفوا فيها،

---

(١) الآية (٣) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٣/ ١٨٤_ ١٨٥).

(٣) روح المعاني (٥/ ٤٦٨).

(٤) جزء من الآية (١٥٣) من سورة البقرة.

فكأنه ذكر الصلاة ليتقوا ويتقوّوا، وذكر الصدقة لأن كل ما يملكونه هو من رزق الله وكرمه . والله تعالى أعلم.

٣ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((جملة مؤكدة لمضمون جملة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ (٢) إلى آخرها ولذلك فُصِلت)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أن الله تعالى لما ذكر هذه الصفات الخمس أثبت للموصوفين بها أموراً ثلاثة: الأول: قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله ﴿ حَقًّاۚ ﴾ بماذا يتصل فيه قولان : أحدهما: بقوله ﴿ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي هم المؤمنون بالحقيقة. والثاني: أنه تم الكلام عند قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ثم ابتدأ وقال ﴿ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾)) (٤).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما حققوا إيمانهم بأفعال القلوب والجوارح والأموال، فاستوفوا بذلك جميع شعب الدين، عظّم سبحانه شأنهم بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي العالو الهمم ﴿ هُمُ ﴾ أي خاصة ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأكد مضمون الجملة بقوله: ﴿ حَقًّاۚ ﴾)) (٥).

من خلال النقل السابق يتضح أنهم جميعًا اتفقوا في أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو التأكيد لمضمون سابقتها بإيراد لفظ حقًا في الآية، فهو لما ذكر الإيمان وصفات أهله وحثهم على امتثالها، أكّد بهذه الآية أنّ مَن اتصف بتلك الصفات هم حقًا من أهل الإيمان. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تتناسق الآيات مع بعضها البعض ويتضح ترابطها فقد بدأت بتأنيبهم في شأن الأنفال التي تنازعوا عليها، ثم أمرتهم بثلاثة أو امر لفض ذلك الخلاف، ثم عرجت لذكر صفات المؤمنين التي يجب أن يكونوا عليها، ثم ختمت ذلك كله بالتأكيد على التزام خصال الإيمان المذكورة في الآيات، وأن المؤمن حقًا من

---

(١) الآية (٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٠).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ٩٨).

(٥) نظم الدرر (٣/ ١٨٥).

تعلق بما عند الله تعالى من أجر آخروي وجاهد نفسه على التزام تلك الأوامر والصفات فأولئك لهم درجات عند ربهم ومغفرة على كل تقصير ورزق كريم من رب كريم .

٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((تشبيهُ حال بحال، وهو متصل بما قبله : إما بتقدير مبتدأ محذوف، هو اسم إشارة لما ذكر قبله، تقديرُه: هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع.

وإما بتقدير مصدر لفعل الاستقرار الذي يقتضيه الخبر بالمجرور في قوله ﴿ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ (٢) إذ التقدير: استقرت لله والرسول استقرارًا كما أخرجك ربك، أي فيما يلوح إلى الكراهية و الامتعاض في بادئ الأمر، ثم نوالهم النصرَ والغنيمةَ في نهاية الأمر، فالتشبيه تمثيلي وليس مراعى فيه تشبيهُ بعض أجزاء الهيئة المشبهة ببعض أجزاء الهيئة المشبّه بها، أي أن ما كرهتموه من قسمة الأنفال على خلاف مشتهاكم سيكون فيه خير عظيم لكم، حسب عادة الله تعالى بهم في أمره ونهيه، وقد دل على ما في الكلام من معنى مخالفة مشتهاهم قولُه ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٣) كما تقدم، مع قوله في هذه الجملة ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾.

فجملة: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا ﴾ في موضع الحال والعامل فيها ﴿ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ هذا وجه اتصال كاف التشبيه بما قبلها على ما الأظهر، وللمفسرين وجوه كثيرة بلغت العشرين قد استقصاها ابن عادل ٤، وهي لا تخلو من تكلف، وبعضها متحد المعنى وبعضها مختلفُة، وأحسن الوجوه ما ذكره ابن عطية ومعناه قريب مما ذكرنا وتقديره بعيد منه.

والمقصود من هذا الأسلوب: الانتقالُ إلى تذكيرهم بالخروج إلى بدر وما ظهر فيه من دلائِل عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين)) (٥).

---

(١) الآية (٥) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) عمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي، الإمام العالم الفاضل سراج الدين، قد صنف التفسير المسمى باللباب في علم الكتاب، انظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٤١٨).

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٣_ ٢٦٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((إن هذه الكاف شبهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال كأنهم سألوا عن النفل وتشاجرو ا فأخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الخيرة كما كرهوا في هذه القصة انبعاث النبي ﷺ فأخرجه الله من بيته فكانت في ذلك الخيرة فتشاجرهم في النفل بمثابة كراهيتهم ها هنا للخروج وحكم الله في النفل بأنه لله وللرسول دونهم هو بمثابة إخراجه نبيه ﷺ من بيته ثم كانت الخيرة في القصتين فيما صنع الله))(١).

٢ــ قال الرازي: ((وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: اعلم أن قوله ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ يقتضي تشبيه شيء بهذا الإخراج وذكروا فيه وجوهاً ا: الأول: أن النبي ﷺ لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فلَهُ سلَبُهُ وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فلَهُ كَذَا وَكَذَا" (٢) ليرغبهم في القتال، فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة (٣): يا رسول الله إن جماعة من أصحابك وقومك فدوك بأنفسهم ، ولم يتأخروا عن القتال جبناً ولا بخلاً ببذل مهجهم؛ ولكنهم أشفقوا عليك من أن تغتال، فمتى أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق من المسلمين بغير شيء ، فأنزل الله ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ (٤) يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفي أنفس بعضهم شيء من الكراهية . وأيضاً حين خرج الرسول ﷺ إلى القتال يوم بدر كانوا كارهين لتلك المقاتلة على ما سنشرح حالة تلك الكراهية، فلما قال تعالى ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ كان التقدير أنهم رضوا بهذا الحكم في الأنفال وإن كانوا كارهين له كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى القتال وإن كانوا كارهين له وهذا الوجه أحسن الوجوه المذكورة هنا. الثاني: أن يكون التقدير ثبت الحكم بأن الأنفال لله وإن كرهوه، كما ثبت حكم الله بإخراجك إلى القتال وإن كرهوه . الثالث: لما قال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ (٥) كان التقدير أن الحكم بكونهم مؤمنين حق ، كما أن حكم الله بإخراجك من بيتك للقتال حق . الرابع: قال الكسائي:

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب في النفل، (٣/ ٧٧)، رقم: [٢٧٣٨]، والترمذي في سننه، من كتاب السير، بَاب ما جاء في من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ، (٤/ ١١١)، رقم: [١٥٦٢]، وقال: وهذا حديث حسن صحيح.

(٣) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة، الخزرجي الأنصاري، سيد الخزرج، يكنى أبا ثابت وأبا قيس، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، خرج إلى الشام فمات بحوران سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة. انظر: الإصابة (٣/ ٦٥)، الاستيعاب (٢/ ٥٩٤).

(٤) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (٤) من سورة الأنفال.

(الكاف) متعلق بما بعده وهو قوله ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾(١) والتقدير ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه. والله أعلم)) (٢).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان ترك الدنيا شديدًا على النفس، وترك النزاع بعد الانتساب فيه أشد، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم وأمرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا أثره، ليكون أدعى لتسليمهم لأمره وازدجارهم بزجره، فشبه حال كراهتهم لترك مرادهم في الأنفال بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير، ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة في كلا الأمرين))(٣).

من خلال المنقول السابق نجد تقارب أقوال المفسرين بشكل كبير، فالطاهر يربط هذه الآية بما قبلها من خلال كاف التشبيه، فيذكر أن وجه اتصالها بما قبلها من آيات إما تشبيه حال بحال، فحالهم في بادئ الأمر كراهة بعضهم للخروج كحالهم عند قضية الأنفال وتنازعهم فيها وكراهة بعضهم لتقسيمها.

وإما أنها مصدر لفعل الاستقرار الذي اقتضاه قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (٤) وتقديره: أنه لما استقر حكم الأنفال لله ولرسوله، فكان تقسيم الأنفال مغايرًا لمشتهاهم فيها فكرهوا ذلك والدليل على كراهتهم هذه القسمة ما أُمروا به من التقوى والإصلاح والطاعة، كما كرهوا الخروج للقتال حيث قال تعالى ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴾ ثم كانت النتيجة أن نصرهم الله تعالى.

ليذكر ابن عاشور أخيرًا أن الغرض من استعمال هذا الأسلوب هو تذكير المؤمنين بغزوة بدر وكيف نصرهم الله تعالى فيها بمنّه وكرمه وجنده.

وينوّه الطاهر بما ذكره ابن عطية، ويشير إلى أنه قريب المعنى مما ذكره ولكن تقديره بعيد. فابن عطية يرى أن وجه الاتصال هو تشبيه إخراج الرسول ﷺ من بيته وكراهتهم لذلك، بقصة الأنفال ونزاعهم فيها فأخرجها الله من بين أيديهم، وكان الخير في القصتين هو ما اختاره الله تعالى وكرهوه ابتداءً.

أما الرازي فإنه قد ذكر أربعة أوجه: أحسنها عنده: أنه شبه الإخراج في الآية بما حدث في الغزوة من حث النبي ﷺ لهم على القتال بأن من قتل قتيلاً أو أسيرًا فكل ما عنده هو له، فلما تنازعوا في الأنفال ونزل حكمها بردها لله وللرسول توقفوا عن طلبها ونفوسهم كارهة . وجعل التقدير: كراهتهم لحكم

---

(١) جزء من الآية (٦) من سورة الأنفال.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٠١ ــ ١٠٢).

(٣) نظم الدرر (٣/ ١٨٦).

(٤) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

الأنفال رغم أنهم رضوا بحكم الله ككراهتهم للخروج إلى القتال، وقد رجّح الرازي هذا الوجه واستحسنه.

أما البقاعي فيذكر أن المناسبة هي أنه لما حثهم على ترك الدنيا في قضية الأنفال وكان التعلق بها يعسر التخلص منه، شبّه كراهتهم لانتزاع الأنفال منهم بكراهتهم لخروجهم للقتال وبكراهتهم للنفير دون العير ثم ظهور الخير لهم في كل ما اختاره الله وأمر به وقدّره، فشرع يذكر تلك الكراهية ليحمدوه على عواقبه.

لتكون المناسبة أنه لما ذكر حالهم في قضية الأنفال وكراهتهم الحكم الذي نزل فيها، شرع يحكي وقائع غزوة بدر من البداية حين كرهوا الخروج للقتال ثم نالهم ما نالوه من نصر وتمكين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

عندما ردّ أمر الأنفال لله وللرسول وأمرهم بأمور تُصلح حالهم، وعندما ذكّرهم بأنه هو الذي أخرجهم وقدّر لهم القتال، كل ذلك فيه بيان بأن اتباع أوامره والرضا بقدره فيه حسن العاقبة في كل الشؤون الدنيوية والآخروية.

٥ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ⑦ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((الأحسن أن تكون ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ معطوفًا على ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ ﴾ (٢) عطفَ المفرد على المفرد فيكون المعطوف مشبهًا به التشبيه المفاد بالكاف والمعنى : كإخراجك اللَّهُ من بيتك وكوقتِ يعدكم الله إحدى الطائفتين الآية. واسم الزمان إذا أضيف إلى الجملة كانت الجملة في تأويل المفرد فتُؤَول بمصدر، والتقدير: وكوقت وعد الله إحدى الطائفتين، فـ ﴿ وَإِذْ ﴾ اسم زمان متصرف مجرور بالعطف على مجرور كاف التشبيه، وجعَل صاحب (الكشاف) (٣) ﴿ وَإِذْ ﴾ مفعولاً لفعل اذكر محذوف شأن ﴿ وَإِذْ ﴾ الواقعة في مفتتح القِصص، فيكون عطفُ جملةِ الأمر المقدرِ على جملة ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ ﴾ (٤) والمناسبة هي أن كلا القولين فيه توقيفهم على خطأ رأيهم وأن ما كرهوه هو الخير لهم)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ولما لانوا بهذا الخطاب، وأقبلوا على الملك التواب، أقبل عليهم فقال : ﴿ وَإِذْ ﴾ أي اذكروا هذا الذي ذكره الله لكم وقد كان حالكم فيه ما ذكره، ثم أفضى إلى سعادة عظيمة وعز لا يشبهه عز، واذكروا إذ ﴿ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾)) (٦).

٢ـ قال الألوسي: ((كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله تعالى بالمؤمنين مع ما بهم من الجزع وقلة الحزم)) (٧).

---

(١) الآيتان (٧، ٨) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة الأنفال.

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٠٩).

(٤) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٩).

(٦) نظم الدرر (٣/ ١٨٧).

(٧) روح المعاني (٥/ ٤٧٣).

من خلال ما نُقل سابقًا من أقوال المفسرين، يظهر توافق معنى ما ذكره الطاهر مع ما ذكره البقاعي ، فالمناسبة عندهما ــ على اختلاف لفظيهما ــ أنه لما ذكّرهم بكراهتهم للخروج شرع يذكّرهم بأحداث الغزوة من البداية وبتقديره سبحانه وبوعده لهم ليدركوا أن ما كرهوه هو الخير لهم.

أما الألوسي فذكر أنها مستأنفة لبيان فضل الله ومنته عليهم في تلك المع ركة، وهذا معنى لا يبعُد عن سابقِهِ.

ومما سبق بيانه تكون المناسبة أنه لما ذكّرهم بحالة كراهتهم الخروج للنفير كما كرهوا الحكم في الأنفال، شرع يذكّرهم بتقديره وتدبيره ونعمته عليهم في تلك الغزوة، وبأن ما قدّره كان فيه الخير لهم . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بداية سرد أحداث الغزوة الكبرى، والقصة المعروفة حين فرّت عير قريش فبشّر الرسول ﷺ أصحابه بالفوز ثم استشارهم هل يلحقون بالعير أم يواجهون النفير فكرهوا النفير، جاء ذلك بعد افتتاح السورة بحدث خطير وهو الاختلاف في النفل، وكما ذُكر في مقاصد هذه السورة، بدأ بإصلاح الخلل و بيان سبل معالجته ثم عاد يذكرهم بنعمه وقدره وتدبيره لهم ليرضوا ويسلّموا في كل أمورهم، فالأنفال التي اشتجروا عليها هي نتيجة لما كرهوه من خروج للقتال ساقهم الله إليه.

وهذه دعوة للتوكل والأخذ بالأسباب، وترك النتائج على مسبب الأسباب، والتسليم والرضا بأي نتيجة كانت لأنها الخير لا محالة كما حدث في هذه المعركة، فالخير الذي أراده الله لهم أكمل وأشمل من الخير الذي أرادوه لنظرتهم القاصرة، ورغبتهم في أمر العير والمنفعة اليسيرة منه.

٦ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ (١)

قال الطاهر: ((يتعلق ظرف ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ بفعل (يريد الله) (٢) لأن إرادة الله مستمر تعلقها بأزمنة منها زمانُ استغاثة النبي ﷺ والمسلمينَ ربّهم على عدوهم، حين لقائهم مع عدوهم يومَ بدر، فكانت استجابة الله لهم بإمدادهم بالملائكة، من مظاهر إرادته تحقيقَ الحق فكانت الاستغاثةُ يوم القتال في بدر وإرادة الله أن يُحِق الحق حصلت في المدينة يوم وعَدَهم الله إحدى الطائفتين، ورشح لهم أن تكون إحدى الطائفتين ذات الشوكة، وبيْنَ وقت الإرادة ووقت الاستغاثة مدةَ أيام، ولكن لما كانت الإرادة مستمرة إلى حين النصر يوم بدر صح تعليق ظرف الاستغاثة بفعلها، لأنه اقترن ببعضها في امتدادها، وهذا أحسن من الوجوه التي ذكروها في متعلق هذا الظرف أو موقعه)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية الأولى أنه يحق الحق ويبطل الباطل بيّن أنه تعالى نصرهم عند الاستغاثة)) (٤).

٢ــ قال أبو حيان : ((لما علموا أنه لا بدّ من القتال شرعوا في طلب الغوث من الله تعالى والدعاء بالنصرة)) (٥).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما ذكر في الآيات قبلها إرادته سبحانه إحقاق الحق، بيّن مظاهر ذلك الإحقاق من خلال استجابته لهم بإنزال الملائكة حين استغاثوه. وبمثل هذا المعنى قال الرازي.

وذكر أبو حيان أنه لما تحتم أمر القتال بيّن طلبهم الغوث منه سبحانه، وهو معنى قريب من سابقه، لأن القتال هو إرادة الله تعالى والحق الذي يريد إحقاقه.

ومن خلال ما سبق بيانه تكون المناسبة هي أنه لما وعدهم إحدى الطائفتين وقرر إحقاق الحق ودحض الباطل بلقائهم العدو، عقّب بذكر مظاهر ذلك الحق حيث أمدهم بالملائكة لما طلبوا الغوث منه . والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٩) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٣ ــ ٢٧٤).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٠٤).

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٩٥).

أثر المناسبة:

١ـ بيان تدبير الله تعالى، ورعايته لعباده المسلمين، فلما أراد تحقيق الحق لم يتركهم بل نصرهم وأمدهم لما استعانوا به واستغاثوه وخذل عدوهم.

٢ـ الحث على طلب الغوث من الله للاستعانة على النائبات.

٧_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبةهذه الآية لما قبلها: ((لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائِل عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين، فقَرَنَها، في قَرَن زمانها، وجعل ينتقل من إحداها إلى الأخرى بواسطة إذْ الزمانية، وهذا من أبدع التخلص، وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((القصد أن تعدد نعمة الله تعالى على المؤمنين في يوم بدر)) (٣).

٢_ قال الرازي: ((أنه تعالى لما ذكر أنه استجاب دعاءهم ووعدهم بالنصر فقال ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (٤) ذكر عقيبه وجوه النصر وهي ستة أنواع)) (٥).

٣_ قال البقاعي: ((ولما ذكر البشرى والطمأنينة بالإمداد، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع القول الفعل فألقى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمأنينة والأمن والسكينة بدليل النعاس الذي غشيهم في موضع هو أبعد الأشياء عنه وهو موطن الجلاد ومصاولة الأنداد والتيقظ لمخاتلة(٦) أهل العناد، وكذا المطر وأثره))(٧).

جعل الطاهر مناسبة استخدام (إذ) في الآية: الانتقال والتخلص، وعدّه من مبتكرات القرآن، وذكر أنه مناسب في سرد القصص، فهنا انتقال إلى تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين في المعركة وعنايته بهم . وهذا معنى ما ذهب إليه ابن عطية أيضًا.

أما الرازي فقد ربط الآية بالكلية بما قبلها، فإنه تعالى لما ذكر وعده لهم بالنصر وهو الناصر وحده؛ ذكر لهم وجوه النصر التي نصرهم بها. وما اختلف عنه البقاعي سوى في طريقة التعبير عن المعنى نفسه.

---

(١) الآية (١١) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٧_ ٢٧٨).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٦).

(٤) جزء من الآية (١٠) من سورة الأنفال.

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٠٦).

(٦) الختل: تخادع عن غفلة، والمخاتلة مشي الصياد قليلاً قليلاً في خفية لئلا يسمع الصيد حسه . انظر: لسان العرب، باب ختل، (١٩٩/١١).

(٧) نظم الدرر (٣/ ١٩٢).

ومن خلال السابق بيانه تكون المناسبة أنه لما أنعم عليهم بالإمداد والبشرى بالنصر، أتبع ذلك ببيان بقية ما أنعم به عليهم في تلك المعركة من الأمن بالنعاس ومن المطر، فهو انتقال لتعداد النعم . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان امتداد نعم الله تعالى على المؤمنين في تلك المعركة، وأنه نصرهم بالأسباب المادية والمعنوية.

وبيان أسلوب التخلص الذي عدّه الطاهر من مبتكرات القرآن الكريم، والتخلص هو : أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سببً ا إليه فيكون بعضه آخذًا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ، ويستأنف كلامًا آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغً (١).

---

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (٢/ ٢٤٤).

٨_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾(١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا ذكّرَ الله المسلمين بما أيّدهم يوم بدر بالملائكة والنصر من عنده، وأكرمهم بأن نصر هم على المشركين الذين كانوا أشد منهم وأكثر عددًا وعُددًا، وأعقبه بأن أعلمهم أن ذلك شأنه مع الكافرين به اعترض في خلال ذلك بتحذيرهم من الوهن والفرار، فالجملة معترضة بين جملة: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ ﴾(٢) وبين جملة ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ ﴾(٣) الآية وفي هذا تدريب للمسلمين على الشجاعة والإقدام والثبات عند اللقاء، ...فالجملة استئناف ابتدائي، والمناسبة واضحة))(٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه سيلقي الرّعب في قلوب الكفار وأمر من آمن بضرب فوق أعناقهم وبنانهم، حرضهم على الصبر عند مكافحة العدوّ ونهاهم عن الانهزام))(٥).

٢_ قال البقاعي: ((ولما قرر إهانتهم في الدنيا والآخرة بما حسر عليهم القلوب، حسن أن يتبع ذلك نهي من ادعى الإيمان عن الفرار منهم وتهديد من نكص عنهم بعد هذا البيان وهو يدعي الإيمان فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾))(٦).

٣_ قال الألوسي: ((﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارًا للاعتناء به وحثًّعلى المحافظة عليه))(٧).

مما سبق يذكر الطاه ر أن الجملة معترضة للتحذير من الضعف والفرار، جاءت بين ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ ﴾ وبين جملة ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ ﴾. حثًا لهم على الشجاعة والإقدام، بعد ذِكره تعالى لتأييده ونصره لهم رغم قلة عددهم وعدتهم، وبعد إخباره بشأنه مع الكافرين.

---

(١) الآية (١٥) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (١٢) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٢٨٦).

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٦٩).

(٦) نظم الدرر (٣/ ١٩٥).

(٧) روح المعاني (٥/ ٤٨٤_ ٤٨٥).

أما أبو حيان فذكر أنه تعالى لما ذكر الكافرين وإلقاء الرعب في قلوبهم، حثّ المؤمنين على الثبات أمام العدو وعدم التقهقر والانهزام.

وعند البقاعي أنه تعالى لما جعل الحسرة في قلوب الكفار وأهانهم في الدنيا بالهزيمة وفي الآخرة بالعذاب الشديد، ناسب أن يحذر المؤمنين من الفرار فخاطبهم بنداء الإيمان.

وجعل الألوسي المناسبة هي إيراد حكم من الله يسري في جميع الوقائع من خلال قصة غزوة بدر؛ عناية بهذا الحكم المهم وحثًا على التزامه.

وبعد التأمل في المعاني السابقة، فإنها جميعها متلائمة، وتكون المناسبة أنه لما أمدّ المؤمنين بالمدد وأيّدهم ثم ذكر شأنه مع الكافرين ووعيده لهم، ناسب أن يحذّر المؤمنين من الفرار، وأن يأتي بحكم من أحكام الجهاد ليُقدِموا ويثبتوا. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

يتتابع السياق في إيصال المؤمنين لأعلى درجات الإيمان، وبما أن السورة تحكي وقائع غزوة بدر وأحداثها المتطلبة للإيمان في كل مراحلها، ابتداء من الشقاق حول الأنفال وتذكيرهم بكره اهتهم للقاء النفير ثم تذكيرهم بتأييد الله لهم؛ بيّن هنا حكمًا من أحكام الحروب وهو عدم الفرار أمام العدو، لأن النصر أولاً وأخيرًا من الله تعالى.

٩_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((والتفريع بالفاء تفريع العلة على المعلول، فإن كون قتل المشركين ورميهم حاصلاً من الله لأمن المسلمين يفيد تعليلاً وتوجيهًا لنهيهم عن أن يولوهم الأدبار . ولأَمْرهم الصبر والثبات وهو تعريض بضمان تأييد الله إياهم إن امتثلوا لقوله : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٢) فإنهم إذا امتثلوا ما أمرهم الله كان الله ناصرهم، وذلك يؤكد الوعيد على تولية الأدبار، لأنه يقطع عذر المتولين والفارين، ولذلك قال الله تعالى في وقعة أحد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ ﴾ (٣))) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((لما قال ﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾(٥)، كان امتثال ما أمروا أمروا به سببًاللقتل، فقيل: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أي لستم مستبدين بالقتل لأنّ الأقدار عليه والخالق له إنما هو الله ليس للقاتل فيها شيء لكنه أجرى على يده، فنفى عنهم إيجاد القتل وأثبت لله)) (٦).

٢_ قال البقاعي : (ولما تقدم إليهم في ذلك، علله بتقرير عزته وحكمته، وأن النصر ليس إلا من عنده، فمن صح إيمانه لم يتوقف عن امتثال أوامره، فقال مسبباً عن تحريمه الفرار وإن كان العدو كثيرً ا، تذكيرًا بما صنع لهم في بدر، ليجريهم على مثل ذلك، ومنعًا لهم من الإعجاب بما كان على أيديهم في ذلك اليوم من الخوارق ...)) (٧).

٣_ قال الألوسي: ((ثم إنه تعالى عاد كلامه إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير ما سبق))(٨).

---

(١) الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٥٥) من سورة آل عمران.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٢٩٣_ ٢٩٤).

(٥) جزء من الآية (١٢) من سورة الأنفال.

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٧١) بتصرف.

(٧) نظم الدرر (٣/ ١٩٦).

(٨) روح المعاني (٥/ ٤٩٠).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، فهو لما نهاهم عن تولية الأدبار، علل ذلك بأن كون القتل والرمي الذي تفاخروا به كان حاصلاً منه سبحانه تكريمًا للمسلمين، وفيه أيضًا تعريض بضمان تأييد الله، ليقطع عذر المتولين . ووافق الطاهر في هذا ما ذكره أبو حيان والبقاعي من مناسبة على اختلاف ألفاظهما.

أما الألوسي فذكر أن الآية بيان لبقية أحداث الغزوة، وتقرير لما سبق ذكره.

ومن خلال ما سبق بيانه، يظهر أن المناسبة هي أنه لما أمرهم بالضرب ونهى عن التولي، بيّن لهم أنه الناصر وليس فعلهم، لذا فلا عذر لمن يتولى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لمعجزة من الله تعالى، فيها نصر وتأييد وتكريم للمسلمين. فغزوة بدر في مجملها ليست عادية، بل هي تدبير من الله أولاً وأخيرًا.

١٠ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((جمهور المفسرين جعلوا الخطاب موجهًا إلى المشركين، فيكون الكلام اعتراضًا خوطب به المشركون في خلال خطابات المسلمين بمناسبة قوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢) والخطاب التفات من طريق الغيبة الذي اقتضاه قوله : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وذكر المفسرون في سبب نزولها (٣) أن أبا جهل(٤) وأصحابه لما أزمعوا الخروج الخروج إلى بدر استنصروا الله تجاه الكعبة، وأهم قبل أن يشرعوا في القتال يومَ بدر استنصروا الله أيضًا وقالوا ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه، فخوطبوا بأن قد جاءهم الفتح على سبيل التهكم أي الفتح الذي هو نصر المسلمين عليهم))(٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما تضمن ذلك إيقاع الإهانة بالكفار بهذه الوقعة، والوعد بإلزامهم الإهانة فيما يأتي، كان ذلك مفصلاً للالتفات إلى تهديدهم في قالب استجلائهم والاستهزاء بهم وتفخيم أمر المؤمنين فقال :

---

(١) الآية (١٩) من سورة الأنفال.

(٢) الآية (١٨) من سورة الأنفال.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣٥٧/٢)، في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال، رقم: (٣٢٦٤).عن عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير العذري قال: كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ أَبُو جَهْلٍ فَإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ وَأَتَانَا بِمَا لا نَعْرِف فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ، فَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحُه فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال عكرمة: قال المشركون: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ ﴾ الآية. انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص ١٦٦ـ ١٦٧).

(٤) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأكثرهم أذى له ولأصحابه، وكنيته أبو الحكم، وأما أبو جهل فالمسلمون كنوه به، وهو الذي قتل سمية أم عمار بن ياسر، وقتل ببدر، قتله ابنا عفراء، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٤)، الكامل في التاريخ، ابن الأثير (١/ ٥٩٤).

(٥) التحرير والتنوير (٩ / ٢٩٨).

﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ ﴾ أي تسألوا الفتح أيها الكفار بعد هذا اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند أخذكم أستار الكعبة وقت خروجكم))(١).

من خلال ما نُقل سابقًا يذكر الطاهر ــ في أحد قوليه ــ أن مناسبتها لما قبلها هي أنه لما ذكر إيهان كيد الكافرين، خاطبهم بعده بتذكيرهم بقولهم قبل المعركة وبالفتح الذي استفتحوه، فخوطبوا بأن جاءهم الفتح للمسلمين تهكمًا بهم وتوبيخًا . وهذا الخطاب اعتراض خوطب به المشركون في خلال خطابات المؤمنين. وهذا معنى ما ذكره البقاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾: ((ومن المفسرين من جعل الخطاب بهذه الآية للمسلمين، ... لكون خطاب المشركين بعد الهجرة قد صار نادرًالأنهم أصبحوا بُعداء عن سماع القرآن، الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا فإنهم لما ذُكّروا باستجابة دعائهم بقوله : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ ﴾ (٢) الآيات، وأُمروا بالثبات للمشركين، وذُكّروا بنصر الله تعالى إياهم يوم بدر بقوله : ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ ﴾(٣) إلى قوله ﴿ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٤) كان ذلك كله يثير سؤالاً يختلج في نفوسهم أن أيكون كذلك شأننا كلما جاهدنا أم هذه مزية لوقعة بدر، فكانت هذه الآية مفيدة جواب هذا التساؤل . فالمعنى: إن تستنصروا في المستقبل قوله ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾، والتعبير بالفعل الماضي في جواب الشرط للتنبيه على تحقيق وقوعه، ويكون قوله ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ دليلاً على كلام محذوف، والتقدير: إن تستنصروا في المستقبل ننصركم فقد نصرناكم يوم بدر))(٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((أي ولأن الله تعالى مُعِين المؤمنين كان ذلك أو والأمر أن الله سبحانه معهم وقرأ الأكثر (وإن) بالكسر على الاستئناف قيل وهي أوجه من قراءة الفتح لأن الجملة حينئذ تذييل كأنه قيل القصد

---

(١) نظم الدرر (٣/ ١٩٨).

(٢) جزء من الآية (٩) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (١٨) من سورة الأنفال.

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٠).

إعلاء أمر المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وكيت وكيت وإن سنة الله تعالى جارية في نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وهذا إن أمكن إجراؤه على قراءة الفتح)) [١].

لم يختلف ما تمّ نقله عن الطاهر وعن الألوسي في المعنى، فذكرا أن الجملة مستأنفة لسؤال في دواخل المؤمنين عن شأنهم في الجهاد وعن نصر الله مستقبلاً، وهل اختص بموقعة بدر فقط؟ فهو لما استجاب لهم حينما استغاثوا، وذكّرهم بنصره لهم يوم بدر، وأمرهم بالثبات أمام العدو، وأنه موهن كيد الكافرين، ذيّل الآية بأنه تعالى ناصر المؤمنين كلما جاهدوا في سبيله، وكلما استنصروه، كما حدث معهم في وقعة بدر. وهذه المناسبة هي قول الطاهر الثاني بأنها خطاب للمسلمين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

هذه الآية إما خطاب للكافرين فيكون زيادة لإهانتهم، وإما خطاب للمسلمين، و بشرى للمؤمنين المجاهدين على مرّ الزمان، فإنهم كلما جاهدوا في سبيله تعالى، واستنصروه، فهم منصورون بعونه وتأييده، وأعداؤهم مهزومون، وفي كيدهم مخذولون.

---

[١] روح المعاني (٥/ ٤٩٥).

١١_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لما أراهم الله آيات لطفه وعنايته بهم، ورأوا فوائِد امتثال أمر الرسول ﷺ بالخروج إلى بدر، وقد كانوا كارهين الخروج، أعقب ذلك بأنْ أمَرَهم بطاعة الله ورسوله شكرًا على نعمة النصر، واعتبارًا بأن ما يأمرهم به خيرٌ عواقبه، وحذرهم من مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ)) (٢).

وقال في مناسبة هذه الآية لأول السورة: ((وفي هذا رجوع إلى الأمر بالطاعة الذي افتتحت به السورة في قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٣) رجوع الخطيب إلى مقدمة كلامه ودليلِهِ ليأخذها بعد الاستدلال في صورة نتيجة أسفر عنها احتجاجُه، لأن مطلوب القياس هو عين النتيجة، فإنه لما ابتدأ فأمرهم بطاعة الله ورسوله بقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ في سياق ترجيح ما أمرهم به الرسول عليه الصلاة والسلام على ما تهواه أنفسهم، وضرب لهم مثلاً لذلك بحادثة كراهتهم الخروج إلى بدر في بدء الأمر ومجادلتهم للرغبة في عدمه، ثم حادثة اختيارهم لقاء العير دون لقاء النفير خشية الهزيمة، وما نجم عن طاعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام ومخالفتهم هواهم ذلك من النصر العظيم والغُنم الوفير لهم مع نزارة الرزء، ومن التأييد المبين للرسول ﷺ والتأسيسِ لإقرار دينه ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾ (٤) وكيف أمدهم الله بالنصر العجيب لّما أطاعوه وانخلعوا عن هواهم، وكيف هزَم المشركين؛ لأنهم شاقوا الله ورسوله، والمشاقة ضد الطاعة تعريضًا للمسلمين بوجوب التبرؤ مما فيه شائبة عصيان الرسول ﷺ ثم أمرهم بأمر شديد على النفوس ألا وهو ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ (٥) وأظهر لهم ما كان من عجيب النصر لما ثبتوا كما أمرهم الله ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ ﴾ (٦)، وضمن لهم النصر إن هم أطاعوا الله ورسوله وطلبوا من الله النصر، أعقب ذلك بإعادة أمرهم بأن يطيعوا الله ورسوله ولا يتولوا عنه، فذلكة للمقصود من

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٢).

(٣) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) من الآيات (٧ _ ٨) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (١٥) من سورة الأنفال.

(٦) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

الموعظة الواقعة بطولها عقب قوله : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (١) وذلك كله يقتضي فصل الجملة عما قبلها، ولذلك افتتحت بـــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما خاطب المؤمنين بقوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ ﴾ (٣) أتبعه بتأديبهم فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾(٤) ولم يبين أنهم ماذا يسمعون إلا أن الكلام من أول السورة إلى هنا لما كان واقعًا في الجهاد علم أن المراد وأنتم تسمعون دعاءه إلى الجهاد ، ثم إن الجهاد اشتمل على أمرين : أحدهما: المخاطرة بالنفس. والثاني: الفوز بالأموال، ولما كانت المخاطرة بالنفس شاقة شديدة على كل أحد وكان ترك المال بعد القدرة على أخذه شاقًا شديدًا، لا جرم بالغ الله تعالى في التأديب في هذا الباب فقال ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في الإجابة إلى الجهاد، وفي الإجابة إلى تركه المال إذا أمره الله بتركه؛ والمقصود تقرير ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾(٥)))(٦).

٢ــ قال أبو حيان : ((لما تقدّم قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ وكان الضمير ظاهره العود على المؤمنين ، ناداهم وحرّكهم إلى طاعة الله ورسوله ، والظاهر: أنه نداء، وخطاب للمؤمنين الخلّص، حثّهم بالأمر على طاعة الله ورسوله. ولما كانت الآية قبلها مسوقة في أمر الجهاد. قيل: معنى أطيعوه فيما يدعوكم إليه من الجهاد. وقيل: في امتثال الأمر والنهي ، وأفردهم بالأمر ، رفعاً لأقدارهم وإن كان غيرهم مأمورًا بطاعة الله ورسوله. وهذا قول الجمهور. وأما من قال: إنّ قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ خطاب للكفار. فيرى أن هذه الآية نزلت بسبب اختلافهم في النفل، ومجادلتهم في الحق، وتفاخرهم بقتل الكفار، والنكاية فيهم)) (٧).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان سبب ما أحله بالكفار –من الإعراض عن إجابتهم فيما قصدوا من دعائهم ومن خذلانهم في هذه الوقعة وإيجاب مثل ذلك لهم أبدًا –هو عصيانهم الرسول وتوليهم عن قبول ما

---

(١) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٢ ــ ٣٠٣).

(٣) جزء من الآية (١٩) من سورة الأنفال.

(٤) من الآيتين (١٩ــ ٢٠) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٦) التفسير الكبير (١٥/ ١١٥ــ ١١٦).

(٧) البحر المحيط (٤/ ٤٧٣ــ ٤٧٤).

يسمعونه منه من الروح؛ حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادي في التنازع في الغنيمة أو غيرها فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي ادعوا ذلك ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي الذي له جميع العز والعظمة ﴿ وَرَسُولَهُۥ ﴾ تصديقاً لدعواكم الإيمان)) (١).

من خلال ما سبق نقله، تتلخص مناسبة الطاهر أنه تعالى بعد أن امتنّ على المؤمنين بالجند والنصر، أمرهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ليشكروا نعمته، ويحمدوا فضله على عواقبه، فيحذروا مخالفته لما خَبِروه من فوائد لهذا الامتثال عندما أمرهم بالخروج فكرهوه.

ثم عرج إلى ربط الأمر بالطاعة في هذه الآية مع الأمر بالطاعة في أول السورة، فهذا رجوع إلى مقدمة الكلام وهو أسلوب من أساليب الخطباء، ليسوقهم إلى نتيجة أنّ الأمر بالطاعة في الافتتاح هو لترجيح الطاعة على ما تشتهيه النفوس في الأنفال، ودلل على ذلك بذكره لحادثة كراهتهم الخروج إلى بدر ومجادلتهم في الأمر، ثم نصْر الله لهم في لقاء النفير لّما أطاعوا الرسول ﷺ وتركوا مرادهم ومحابهم، فنالوا حسن العاقبة بطاعتهم وامتثالهم، وخزى الله تعالى الكافرين لعنادهم وشقاقهم، وانتصب أمر الدين، وجاء الأمر المتين بالثبات وعدم الفرار أمام الأعداء، ثقة بنصر الله تعالى الذي ذكّرهم بعجائب قوته وجنده الذي لا يُهزم، ليجيء أخيرًا إعادة الأمر بالطاعة مرة أخرى فذلكة للمقصود من الآيات ابتداء من الافتتاح وحتى هذه الآية.

أما أبو حيان فيذكر أنه لما تقدم قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ وظاهر الخطاب للمؤمنين، ناداهم وحركهم للطاعة في أمر الجهاد والامتثال للأمر والنهي.

أما الرازي فيربط الآية بما قبلها وبأول السورة كذلك، فهو يرجّح أن الخطاب في الآية السابقة للمؤمنين، وأنه تعالى جاء بهذه الآ ية بعدها تأديبًا لهم؛ لأن السياق من أول السورة عن الجهاد، والمقصود هو رد جميع الأمور لله ورسوله، ومن المعلوم أن في الجهاد مشاق بدنية ونوال مالية، فلما أخذوا الأنفال ثم تركوها نزولاً عند حكم الله تعالى، ولما دعاهم للجهاد والخروج فكرهوا ذلك ابتداء، كرر عليهم الأمر بالطاعة ليجيبوا داعي الجهاد، ويزهدوا في مغانم الدنيا والأموال إذا تركوها بأمر الله.

أما البقاعي فذكر في الآية السابقة أن الخطاب للكافرين، فيرى أنه لما كان سبب خذلان الكافرين وما طالهم من الهزيمة والذل هو عصيانهم للرسول ﷺ وإعراضهم عن سماع ما يدعو إليه، حذّر المؤمنين من حالهم سواء في خلافهم حول الأنفال أو غيره لعدم امتثالهم فجاء الأمر بالطاعة هنا.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ١٩٩).

ومن خلال ما سبق بيانه تختلف المناسبات تبعًا للمخاطب في الآية السابقة، والألطف ما ذكره الطاهر، وهو من تفرداته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الطاعة لله وللرسول جزء من الإيمان، ووسيلة لكل خير وحسن عاقبة في الدنيا والآخرة.

فقصة الأنفال من بدايتها لخاتمتها جاءت لتأكيد معنى الطاعة المطلقة، وترسيخ مفهوم الإيمان، وأن الطاعة شكر الله تعالى على ما أنعم به وتفضّل في غزوة بدر.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾: ((ولما كان الأمر بالطاعة كلام يطاع ظهر موقع ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ فلما كان الكلام الصادر من الله ورسوله من شأنه أن يقبله أهل العقول كان مجرد سماعه مقتضيًا عدم التولي عنه)) (١).

من خلال هذا المنقول، يذكر الطاهر مناسبة قوله ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ للآية، فيذكر أنه لما أمر بالطاعة لله ولرسوله، وكان ذلك الأمر كلامًا يُطاع، ويجدر بذوي العقول قبوله، فكيف بمجرد سماعه وتلقيه فذاك يستلزم عدم التولي عنه. وهذا والله أعلم من المناسبات التي تفرّد بذكرها.

أثر المناسبة:

بيان أن من طاعة الله ورسوله قبول كلامهما بمجرد سماعه والالتزام به وعدم التولي عنه، وهو شأن من له عقل.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٣_ ٣٠٤).

١٢_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((وجملة: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾معترضة، وسَوقها في هذا الموضع تعريض بالذين ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾(٢) بأنهم يشبهون دواب صماء بكماء ... وهذه الآية تعريض بتشبيههم بالدواب، فإن الدواب ضعيفة الإدراك، فإذا كانت صماء كانت مثلاً في انتفاء الإدراك، وإذا كا نت مع ذلك بكمًا انعدم منها ما انعدم منها ما يعرف به صاحبها ما بها، فانضم عدم الإفهام إلى عدم الفهم، فقوله : ﴿ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ﴾ خبرَان عن الدواب بمعناهما الحقيقي، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ خبر ثالث، وهذا عدول عن التشبيه إلى التوصيف لأن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مما يناسب المشبّهين إذ هو ا سم موصول بصيغة جمع العقلاء وهذا تخلص إلى أحوال المشبهين)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان : ((لما أخبر تعالى إنّ هؤلاء المشبّه بهم لا يسمعون ، أخبر أنّ شرّ الحيوان الذي يدبّ الصمّ، أو أن شرّ البهائم. فجمع بين هؤلاء وبين جمع الدواب، وأخبر أنهم شرّ الحيوان مطلقاً)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما كانت حال من هذا شأنه مشابهة لحال الأصم في عدم السماع لعدم الانتفاع به، والأبكم في عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع، والعادم للعقل في عدم عقله لعدم انتفاعه به، قال معللاً لهذا النهي معبرًا بأنسب الأشياء لما وصفهم به: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ أي التي تدب على وجه الأرض، جعلهم من جنس الحشرات أو البهائم ثم جعلهم شرها)) (٥).

٣_ قال الألوسي: ((استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرً ا للنهي إثر تقرير)) (٦).

---

(١) الآيتان (٢٢_ ٢٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢١) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٥_ ٣٠٦).

(٤) البحر المحيط (٤/ ٤٧٤).

(٥) نظم الدرر (٣/ ١٩٩).

(٦) روح المعاني (٥/ ٤٩٥).

من خلال النقل السابق تكون هذه الجملة عند الطاهر جملة معترضة، ومناسبتها هنا التعريض بالمشركين الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون بأنهم يشبهون الدواب، بل هم أشر من الدواب الصماء البكماء، فهو تخلص إلى بيان أحوالهم.

وعند أبي حيان لما وصفهم بأنهم لا يسمعون وصفهم بأنهم شر من الحيوانات الصم. أما البقاعي فذكر أنه لما وصفهم بأنهم لا يسمعون ما ينفع، ولا يتكلمون بما ينفع، وبالتالي انعدم عندهم العقل ناسب أن يصفهم بشر الدواب التي لا تعقل.

وعند الألوسي تكون الجملة مستأنفة مسوقة لبيان سوء حالهم، والتحذير منه.

ويتضح مما سبق تشابه معاني المناسبات، وإن تفاوتت الألفاظ، فالكل متفق على أن الآية في ذمّ المشركين الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، فناسب أن يزيد في وصفهم بأنهم شر الدواب . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التشديد على عدم الإعراض عن الحق، وعلى السماع دون الانتفاع، لأن ذلك هو حال أناس شبّههم الله تعالى بأنهم أشر من الدواب التي لا تعقل ولا تعي.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ : ((ولما وصفهم بانتهاء قبول المعقولات والعجز عن النطق بالحجة أتبعه بانتفاء العقل عنهم أي عقل النظر والتأمل ... وقد وصف بهذه الأوصاف في القرآن كل من المشركين والمنافقين في مواضع كثيرة)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((ثم وصفوا بعدم التعقل في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره ويهتدي إلى بعض مطالبه. أما إذا كان فاقدًا للعقل أيضاً فقد بلغ الغاية في الشرية وسوء الحال ، وبذلك يظهر كونهم شر الدواب حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها)) (٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٦).

(٢) روح المعاني (٥/ ٤٩٦).

من خلال المنقول السابق، يُبيّن الطاهر مناسبة وصفهم بانتفاء العقول وهي أنه لما انتفت عنهم الصفات التي يعرفون بها الحق فلم يقبلوه، ناسب أن يصفهم بانتفاء عقولهم وتعطيلهم إياها عن التأمل والفكر، وهذا هو حال الكافرين والمنافقين ودأبهم.

أما الألوسي فذكر أنه ناسب أن يصفهم بهذا الوصف لبيان سوء حالهم في إعراضهم وعدم قبولهم لما يسمعون لأنهم عطلوا الصفة التي تميزهم عن باقي المخلوقات وهي الفهم والإدراك بالعقل فصاروا بالتالي أشر من الدواب.

وكلا المناسبتين المذكورتين تفضيان لمعنى واحد، وهو بيان سوء حالهم فهم شرّ الدواب، وهم أيضًا لا يعقلون لما عطلوه من حواس الإدراك والفهم لديهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن عدم الانتفاع بسماع الحق دليل على تعطيل العقل، فصار الإنسان بذلك أشر من تلك الدواب. فالعقل هو الميزة التي ميّز الله بها بني الإنسان عن باقي المخلوقات من الحيوانات وغيرها.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾: ((معطوفة على جملة: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ أي لأفهمهم ما يسمعون وهو ارتقاء في الأخبار عنهم بانتفاء قابلية الاهتداء عن نفوسهم في أصل جبلتهم . فإنهم لما أخبر عنهم بانتفاء تعلمهم الحكمة والهدى فلذلك انتفى عنهم الاهتداء، ارتقى بالإخبار في هذا المعنى بأنهم لو قبلوا فهم الموعظة والحكمة فيما يسمعونه من القرآن وكلام النبوة لغلب ما في نفوسهم من التخلق بالباطل على ما خالطها من إدراك الخير، فحال ذلك التخلق بينهم وبين العمل بما علموا، فتولوا وأعرضوا)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان ذلك ربما دعا السامع إلى أن يقول : ما للقادر لم يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير؟ أجاب بأنه جبلهم من أول الأمر – وله أن يفعل في مِلكه ومُلكه ما يريد – جبلة عريقة في الفساد، وجعل جواهرهم شريرة كجوهر العقرب التي لا تقبل التأديب بوجه ولا تمر بشيء إلا لسبته، فعلم سبحانه أنه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ أي قبولاً للخير ﴿لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ أي إسماعًا هو الإسماع، وهو ما تعقبه الإجابة المستمرة.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٨).

ولما كان علم الله تعالى محيطاً، وجب أن يعلم كل ما كان حاصلاً، فكان عدم علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه، فلا جرم كان التقدير هنا: ولكنه لم يعلم فيهم خيرًا، بل علم أنه لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الإسماع ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير إسماعًا قسرهم فيه على الإجابة ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ أي بعد إجابتهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي ثابت إعراضهم مرتدين على أعقابهم، ولم يستمروا على إجابتهم لما جبلوا عليه من ملاءمة الشر ومباعدة الخير، فلم يريدوا الإسلام وأهله بعد إقبالهم إلا وهناً)) (١).

من خلال ما سبق نقله، فالمناسبة عند الطاهر هي الارتقاء في الإخبار عن هؤلاء الكافرين وأصل جبلتهم المنتفي عنها الاهتداء، فلما وصفهم بانتفاء الإدراك والفهم والهدى، نفى عنهم الاهتداء والعمل بما يسمعون لأنهم جبلوا على عدم الاهتداء جراء ما خالط نفوسهم وجبلّتهم من باطل.

وجعلها البقاعي جوابًا لسؤال مقدر من قبل السامع لما سبق: ما للقادر لم يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير؟ فأجاب بأنه جبلهم من أول الأمر.

وكلا المناسبات متلائمة. وما جاء به الطاهر يُعدّ من إضافاته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن من جبله الله على الفساد والشر؛ لعلمه سبحانه ذلك في نفوسهم، فإنه لا فائدة مرجوة من إسماعهم ولو قسرًا، فإنهم حتى لو سمعوا لتولوا وهم معرضون.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٠٠).

١٣_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((إعادة لمضمون قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٢) الذي هو بمترلة النتيجة من الدليل أو مقصد الخطبة من مقدمتها كما تقدم هنالك.

ففافتتاح السورة كان بالأمر بالطاعة والتقوى، ثم بيان أن حق المؤمنين الكُمّل أن يخافوا الله ويطيعوه ويمتثلوا أمره وإن كانوا كارهين، وضرب لهم مثلاً بكَراهتهم الخروج إلى بدر، ثم بكراهتهم لقاء النفير وأوقفهم على ما اجتنوه من بركات الامتثال وكيف أيدهم الله بنصره ونصب لهم عليه أمارة الوعد بإمداد الملائكة؛ لتطمئن قلوبهم بالنصر وما لطف بهم من الأحوال، وجعل ذلك كله إقناعًا لهم بوجوب الثبات في وجه المشركين عند الزحف ثم عاد إلى الأمر بالطاعة وحذرهم من أحوال الذين يقولون سمعنا وهم لا يسمعون، وأعقب ذلك بالأمر بالاستجابة للرسول إذا دعاهم إلى شيء، فإن في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان ما مضى من نكال الكافرين مسببًا عن عدم الاستجابة، أمر المؤمنين بها تحذيرًا من الكون الكفرة في مثل حالهم فيحشروا معهم في مآلهم))(٤).

من خلال المنقول السابق يذكر ابن عاشور أن هذه الآية إعادة لمضمون أمر سابق جاء في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، فبعد أن أمرهم بالطاعة وحذّرهم من التولي عن سماع أوامر رسوله ﷺ، خاطبهم مرة أخرى بنداء الإيمان داعيًا إياهم إلى الاستجابة لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم، وبالتالي يظهر وجه ارتباط الآيات من أول السورة مع هذه الآية، فالأوامر في الافتتاح ثم ضرب الأمثال يليه المنن والنعم على المؤمنين كلها أدلة مقنعة ليثبتوا ويطيعوا ويستجيبوا.

---

(١) الآية (٢٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣١١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٠١).

أما المناسبة عند البقاعي فهي أنه لما ذكر ما آل إليه حال الكافرين من ذل وهزيمة وهلاك كان بسبب عدم استجابتهم وإعراضهم ، فجاء هنا محذرًا المؤمنين من أن يكون حالهم كحال هؤلاء الكفار في عدم الاستجابة.

ويتضح أن الطاهر جاء بالمناسبة كالنتيجة للمقدمة وما تبعها، ويظهر جليًا تناسبه مع السياق، واقتصر البقاعي على مناسبة هذه الآية لما قبلها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التأكيد على مفهوم الإيمان والثقة بالله تعالى فإعادة النداء بوصف الإيمان، ودعوتهم للاستجابة الفورية لله ولرسوله ﷺ، في ذلك منتهى الحياة السعيدة والعاقبة الحميدة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة ﴿إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾: ((والمقصود من هذا تحذير المؤمنين من كل خاطر يخطر في النفوس : من التراخي في الاستجابة إلى دعوة الرسول ﷺ والتنصل منها، أو التستر في مخالفته، وهو معنى قوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ (١). وبهذا يظهر وقع قوله : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ عقبه فكان ما قبله تحذيرًا وكان هو تهديدًا وفي (الكشاف) (٢)، و (ابن عطية) (٣): قيل إن المراد الحث على المبادرة بالامتثال وعدم إرجاء ذلك إلى وقت آخر خشية أن تعترض المرءَ موانع من تنفيذ عزمه على الطاعة أي فيكون الكلام على حذف مضاف تقديره : إن أجَل الله يحول بين المرء وقلبه، أي بين عمله وعزمه قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ (٤) الآية)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((وقوله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ يحتمل وجوهًا، ومنها أنه لما أمرهم بالاستجابة في الطاعة حضّهم على المبادرة والاستعجال فقال : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ بالموت والقبض أي فبادروا بالطاعات ، ويلتئم مع هذا التأويل قوله ﴿ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ

---

(١) جزء من الآية (٢٣٥) من سورة البقرة.

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤١٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥١٤).

(٤) جزء من الآية (١٠) من سورة المنافقون.

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٥ــ ٣١٦).

﴿تُحْشَرُونَ﴾ أي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ، ومنها أن يقصد بقوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ إعلامهم أن قدرة الله وإحاطته وعلمه والجة بين المرء وقلبه حاصلة هناك حائلة بينه وبين قلبه)) (١).

٢ــ قال أبو حيان : ((الظاهر: أن الضمير في (أنه) عائد إلى الله . ويحتمل أن يكون ضمير الشأن . ولما أمرهم بأن يعلموا قدرة الله ، وحيلولته بين المرء ومقاصد قلبه ، أعلمهم بأنه تعالى إليه يحشرهم ، فيثيبهم على أعمالهم، فكان في ذلك تذكار لما يؤول إليه أمرهم من البعث، والجزاء. بالثواب والعقاب)) (٢).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان الإنسان إذا كان على حالة يستعبد جداً أن يصبر على غيرها، قال تعالى مرغباً مرهباً ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾... فكنى سبحانه بشدة القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار على تبديل العزائم والمرادات، وهو تحريض على المبادرة إلى اتباع الرسول ﷺ ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفاً من تغييرها. ولما خوفهم عاقبة الحال، حذرهم شأن المآل فقال: ﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾ أي واعلموا أنه تعالى ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾)) (٣).

٤ــ قال الألوسي: ((عطف على استجيبوا،... فالآية نظير قوله سبحانه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (٤) وفيها تنبيه على أنه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما قد يغفل عنه أصحابها، وجوز أن يكون المراد من ذلك الحث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها ، فمعنى يحول بينه وبين قلبه يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليماً كما يريده الله تعالى، فكأنه سبحانه بعد أن أمرهم بإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام أشار لهم إلى اغتنام الفرصة من إخلاص القلوب للطاعة وشبه الموت بالحيلولة بين المرء وقلبه الذي به يعقل في عدم التمكن من علم ما ينفعه علمه)) (٥). وقد ذكر جملة ما ذُكر من أقوال، ويظهر أن هذا القول هو الراجح عنده.

من خلال ما سبق نقله يذكر الطاهر مناسبة هذه الجملة للآية، فإنه لما أمرهم بالاستجابة للرسول ﷺ ، حذّرهم من التراخي عن الاستجابة فورًا ومن كل خاطر قد يمنعهم، وهددهم بأنه إليه المآب ليبتدروا

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥١٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٧٧).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٠٢).

(٤) جزء من الآية (١٦) من سورة ق.

(٥) روح المعاني (٥/ ٤٩٩).

الامتثال قبل أن يحول بينهم وبين ذلك حائل، وقدّم متعلق ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ للدلالة على أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه فاستجيبوا.

وقد اتفق الطاهر مع ابن عطية في معنى المناسبة، فقد ذكر ابن عطية بأن هذا المعنى متلائم مع خاتمة الآية، وذهب إلى هذا المعنى أبو حيان.

وذهب البقاعي والألوسي إلى أن المناسبة، أنه لما دعاهم إلى الاستجابة، أعلمهم أنه قريب يحول بين المرء وقلبه بتغيير الحال أو بالموت، فاغتنموا وفي هذا ترغيب وترهيب . وهذا معنى لم يختلف عن المعنى السابق.

ويمكن القول بأن المناسبة أنه لما أمرهم بالاستجابة، أعلمهم بأنّ الحشر إليه ليبادروا قبل أن يحول بينهم وبين الاستجابة حائل الموت. وهذا أنسب الأقوال وأبعدها عن التكلف. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بحصول المناسبة بين جمل الآية، حصل الترجيح بين الأقوال، وظهر المعنى كاملاً تامًا معجزًا، وفي الآية ترغيب وترهيب، ودعوة للمبادرة والاغتنام قبل تغيّر الأحوال، وحلول الآجال، لأن الحشر والمردّ إلي ه سبحانه.

١٤ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عُقّب تحريضُ جميعهم على الاستجابة، المستلزمُ تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنهم قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم إذا هم لم يُقَوّموا عِوَج قومهم، كَيلا يحسبوا أن امتثالهم كاف إذا عصى دهماؤهم، فحذّرهم فتنة تلحقهم فتعمّ الظالم وغيره.

فإن المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام دبّ بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى كما حذّر الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه ، فكذلك حذّره من الفتن، والمعنى: واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة ، بل تتعدى إليكم جميعًا وتصل إلى الصالح والطالح)) (٣).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان لمجيب ربما قال: ليس عليّ إلا الإجابة في خاصة نفسي، وليس عليّ تعريض نفسي للأذى بالأخذ على يد غيري، نبّه سبحانه على أن ذلك منابذة للدين واجتثاث له من أصله، لأن ترك العاصي على عصيانه كترك الكافر على كفرانه، وذلك موجب لعموم البلاء، ومزيد القضاء فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ ﴾)) (٤).

من خلال السابق يذكر الطاهر أنه تعالى لما دعاهم للاستجابة لله وللرسول، حذّرهم ضمنًا من ضدها، وخاصة من عدم المستجيبين، ليسارع الذين استجابوا لإصلاح خلل المعرضين ولا يكتفوا بصلاحهم وامتثالهم، فإن العذاب إذا جاء عمّ الصالحين والطالحين على حد سواء.

أما الرازي فذكر أنه تعالى لما حذّر أنه يحول بين المرء وقلبه، حذّر كذلك من الفتنة التي تلحق الجميع بلا استثناء صالحهم ومفسدهم.

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٦).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٠).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٠٤).

ووافقهما البقاعي، فذكر أن الله تعالى هنا يُنبه المستجيبين إلى أنه لا تكفي الإجابة في أنفسهم خاصة، بل يجب أن يأخذوا على يد العاصي حتى لا يعمّهم مع العاصين البلاء، وأن تلك قاعدة من قواعد الدين لحمايته وصونه.

ومن خلال ما سبق بيانه فإن جميع المعاني المذكورة متوافقة المعنى، مختلفة اللفظ، فتكون المناسبة أنه لما دعاهم إلى الاستجابة، نبّه إلى أنه لا يكفي أن يستجيبوا وحدهم بل عليهم دعوة غيرهم، لذا أعقبه بتحذيرهم من فتنة تنزل بمن استجابوا ومن لم يستجيبوا على السواء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تحذير المؤمنين من الاكتفاء بالصلاح الذاتي، وتركهم غيرهم في غيّهم وفسادهم، دون أن يأخذوا على يد الظالم فيكفّ عن ظلمه، ولا على يد العاصي فيعود لرشده، فالأمة الإسلامية وحدة واحدة، لا وجود للانفراد والمصلحة الذاتية بين أفرادها؛ لذا وجب اتقاء تلك الفتنة ومجابهتها من قبل الصالحين؛ لأن التهديد جاء بشمولية العذاب للصالح والطالح سواء وهذه سنة إلهية كونية، نظرًا لما تتركه هذه الفتنة من أثر سيء في الأمة على جميع الأصعدة.

والأخذ على يد الظالمين من وسائل حماية المجتمع من العذاب، وهذا تذكير بما جاء أول السورة من وسائل لإصلاح الأمة وقت النزاع، وهنا وسيلة أخرى متممة لما سبق.

١٥_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عُطف على الأمر بالاستجابة لله فيما يدعوهم إليه، وعلى إعلامهم بأن الله لا تخفى عليه نياتُهم، وعلى التحذير من فتنة الخلاف على الرسول ﷺ تذكيرُهم بنعمة الله عليهم بالعزة والنصر، بعد الضعف والقلة والخوف، ليذكروا كيف يسّر الله لهم أسباب النصر من غير مظانها، حتى أوصلهم إلى مكافحة عدوهم وأن يتقيَ أعداؤُهم بأسَهم، فكيف لا يستجيبون لله فيما بعد ذلك، وهم قد كثروا وعزوا وانتصروا، فالخطاب للمؤمنين يومئذٍ، ومجيء هذه الخطابات بعد وصفهم بالذين آمنوا إيماء إلى أن الإيمان هو الذي ساقَ لهم هذه الخيرات كلها، وأنه سيكون هذا أثَرَه فيهم كلما احتفظوا عليه كُفُوه من قبلِ سُؤالهم، ومن قبل تسديد حالهم، فكيف لا يكونون بعد ترفّه حالهم أشد استجابة وأثبت قلوبًا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول، ثم أمرهم باتقاء المعصية، أكد ذلك التكليف بهذه الآية؛ وذلك لأنه تعالى بيّن أنهم كانوا قبل ظهور الرسول ﷺ في غاية القلة والذلة وبعد ظهوره صاروا في غاية العزة والرفعة وذلك يوجب عليهم الطاعة وترك المخالفة)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان من أشد العقاب الإذلال، حذرهموه بالتذكير بما كانوا فيه من الذل، لأنه أبعث على الشكر وأزجر عن الكفر)) (٤).

من خلال النقل السابق، يذكر الطاهر أن المناسبة هي أنه تعالى هنا ذكّرهم بنعمه عليهم، وبالأمن بعد الخوف، وبالعزة بعد الضعف، وبالنصر الذي حظوا به بتدبيره وكرمه، والهدف من هذا التذكير حثهم على الاستجابة التي دعوا إليها في الآيات السابقة، فكيف لا يستجيبون بعد أن كثر عددهم وانتصروا، وجاء هذا الخطاب بعد مخاطبتهم سابقًا بوصف الإيمان عدة مرات؛ ليُبيّن لهم أن كل هذا الخير

---

(١) الآية (٢٦) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٨/ ٣١٩).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٠٥).

حاصل بذلك الإيمان، فيزدادوا ثباتًا واستجابة، فكلما قوي ذلك الإيمان وحوفظ عليه كانت تلك الخيرات ثمارَه ونتائجَه.

وهذا المعنى موافق لما ذكره الرازي، فذكر أنه تعالى لما أمرهم بالطاعة واتقاء الفتنة، أكد ذلك بأن ذكّرهم بحالهم قبل مجيء الرسول ﷺ من الضعف والقلة، ثم لما أطاعوه انتصروا وارتفعوا؛ ليحذروا مخالفته ويلتزموا طاعته.

وحاصل كلام البقاعي أنه لما حذّرهم شديد عقابه في الآية السابقة، وكان من أشد العقاب الذل والمهانة، ولا يخفى ما في العقاب من ذل ومهانة؛ جاء هنا وذكّرهم بحالهم السابقة من الذل والضعف ليطيعوا ويتقوا. وهذا القول شبيه المعنى بما سبق ولكنه من جانب آخر.

ويظهر مما سبق بيانه، أن المناسبة هي: أنه لما دعاهم إلى الاستجابة، وحذّرهم من الفتنة، ناسب أن يذّكرهم بحالهم السابق قبل أن ينصرهم ويُعلي شأنهم، فكيف لا يستجيبون بعد ذلك. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لنتيجة الطاعة واتقاء الفتنة فقد تبدّل حالهم من حال وضيعة إلى حال رفيعة، وتلك سنة إلهية كلما أطاعوا ارتفعوا ونالوا، ثم ختمها بما يحافظ على تلك النعمة وهو الشكر.

١٦_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف خطاب للمؤمنين يحذرهم من العصيان الخفي . بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله ﷺ حذّرهم من أن يظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه، ومناسبته لما قبله ظاهرة وإن لم تسبق من المسلمين خيانة وإنما هو تحذير)) (٢).

ثم قال بعد أن فصّل في كلمة الخون : ((وتشمل الخيانة كل معصية خفية، فهي داخلة في ﴿لَا تَخُونُواْ ﴾ ، لأن الفعل في سياق النهي يعم، فكل معصية خفية فهي مراد من هذا النهي، فتشمل الغلول الذي حاموا حوله في قضية الأنفال، لأنهم لما سأل بعضهم النفل وكانوا قد خرجوا يتتبعون آثار القتلى ليتنفلوا منهم، تعين تحذيرهم من الغلول، فذلك مناسبة وقع هذه الآية من هذه الآيات ...)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه رزقهم من الطيبات، فههنا منعهم من الخيانة)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ختم الآية هو في غاية النصيحة منه تعالى لهم من الإيواء والنصر والرزق الطيب المشار به إلى الامتنان بإحلال المنعم، وختم ذلك بالحث على الشكر؛ نهانا عن تضييع الشكر في ذلك بالخيانة في أوامره بالغلول أو غيره فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تذكيرًا بما ألزموا به أنفسهم من الوفاء)) (٥).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أن الجملة مستأنفة مفتتحة بخطاب الإيمان للتحذير من الخيانة وهي معصية خفية قبيحة، بعد أن حذّرهم سابقًا من العصيان العلني لله ولرسوله.

ثم يذهب الطاهر أبعد من ذلك، فيربط الآية بافتتاح السورة، فقد جاء في الآية نهي عن كل خيانة والتي عرّفها الطاهر بأنها كل معصية خفية، بالتالي يكون النهي شاملاً عامًا لكل فعل خفي، ويكون هذا التحذير داخلاً في قضية الأنفال، فإنهم لما خرجوا يقتفونها حذّرهم من الخيانة فيها وهي الغلول.

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢١ _ ٣٢٢).

(٣) المصدر السابق (٩/ ٣٢٢).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٢١ _ ١٢٢).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٠٦).

أما الرازي فيذكر أنه لما رزقهم من الطيبات في الآية السابقة جاء مناسبًا أن يحذّرهم من خيانة تلك النعم.

ويوافقه البقاعي فيما ذهب إليه من ربط هذه الآية بما قبلها، ففي تلك ذكّرهم بنعمه ونصره المستلزمين للشكر، وفي هذه بيّن أنه ليس من الشكر الخيانة في الأنفال بالغلول، وكذا الخيانة في جميع النعم.

ومن خلال ما سبق بيانه، يتفق معنى ما ذهب إليه الرازي مع البقاعي، ويتممه معنى ما ذهب إليه الطاهر، فتكون المناسبة، أنه لما ذكّرهم بنعمه وأمرهم بشكرها، جاء هنا وحذّرهم من الخيانة في تلك النعم وغيرها، كما حذّرهم سابقًا من عدم الطاعة لله ولرسوله . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التحذير أشد الحذر من كل فعل يؤذي المسلمين ويعود عليهم بالضرر، سواء كان فعلاً ظاهرًا أم خفيًا. والنهي في الآية عن الخيانة يعمّ كل صورها وأشكالها، لما لها من أثر ضار على المجتمع المسلم، وزعزعة لأمنه واستقراره . والخيانة لا تقتصر على خيانة الفرد لأمته فقط، فيدخل من ضمن الخيانات : الخيانة في العبادات، بالتقصير في أدائها على وجهها المطلوب، وكذا الخيانة في العمل الدنيوي، فأداء الأمانات وعدم الخيانة من أوصاف أهل الإيمان.

وبما أن السورة تحكي مسيرة الجهاد الأولى، وتُبيّن وسائل الإصلاح والنهضة، فإن الخيانة هي من فعل قبيح مذموم وهو من وسائل هدم الأمة، والأمانة هي من محاسن الأخلاق ومن مقومات التقدم، وهذان الخُلقان معلومان عند جميع الناس، فمحمود مؤدي الامانة، ومذموم مضيّعها وخائنها .

١٧_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((وابتداء جملة: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ بفعل ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ للاهتمام ... وهذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرءَ حبُ المال وهي خيانة الغلول وغيرها ، فتقديم الأموال لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام.

وعطف الأولاد على الأموال لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة ، فإن غرض جمهور الناس في جمع الأموال أن يتركوها لأبنائهم من بعدهم، وقد كثر قرن الأموال والأولاد في التحذير ، ونجده في القرآن، قيل إن هاته الآية من جملة ما نزل في أبي لبابة.

وجيء في الإخبار عن كون الأموال والأولاد فتنة بطريق القصر قصرًا ادعائيًا لقصد المبالغة في إثبات أنهم فتنة.

وجُعل نفس (الأموال والأولاد) فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما ، مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((لما كان الداعي إلى الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد نبّه تعالى على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ لأنها تشغل القلب بالدنيا وتصير حجاباًعن خدمة المولى)) (٣).

٢_ قال البقاعي : ((ولما كان سبب الخيانة غالباً محبة المال أو الولد، وكان سبب التقاول المسبب عنه إنزال هذه السورة - كما سلف بيانه أولها - الأموال من الأنفال، وكان من أعظم الخيانة في الأنفال الغلول، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع المال إما استلذاذًا به أو لإنفاقه على محبوب، وكان الولد أعز محبوب؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ وهي كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جدًا ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ ﴾ قلّت أو جلّت هانت أو عزّت ﴿ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ ﴾ كذلك ﴿ فِتۡنَةٞ ﴾

---

(١) الآية (٢٨) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٤_ ٣٢٥).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٢).

أي سببها، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر الله فتهلكوا)) (١).

٣ــ قال الألوسي: ((لأنها سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله ﷻ يختبركم بها فلا يحملنكم حبها على الخيانة كأبي لبابة ولعل الفتنة في المال أكثر منها في الولد ولذا قدمت الأموال على الأولاد ولا يخفى ما في الأخبار من المبالغة)) (٢).

من خلال المنقول السابق ، تؤكد المناسبة الذي ذكرها ابن عاشور كون الآية السابقة في قصة أبي لبابة، فذكر هنا أنه لما نهى عن الخيانة، أعقبه بذكر الأموال والأولاد فهما قد يكونان سببًا للخيانة . وبمثل هذا المعنى قال الرازي.

وذكر الطاهر أنه ذكر الأموال لأن حبها قد يدفع المرء للغلول، وذكر الأولاد لأن المرء عادة يجمع الأموال للأبناء، وفي تقديم الأموال على الأولاد لأنها أنسب للمقام وقصة الأنفال.

ثم ذكر الطاهر أن الاقتصار على ذكر هذين الاثنين (الأموال والأولاد) للمبالغة في إثبات فتنتهما، ولكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، فيحذر المسلم تلك الحال.

واتفق الطاهر مع البقاعي في أن افتتاحها بــ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ للتنبيه والاهتمام.

وذكر الألوسي أنه قدّم الأموال على الأولاد لأن الفتنة في المال أكثر.

ومن خلال ما سبق بيانه، تكون مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه لما حذّرهم من الخيانة، حذّرهم من دواعيها وهو حب الأموال والأولاد، فهما فتنة واختبار وسبب للوقوع في الإثم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، في الآية تحذير من الخيانة ببيان داعيها وهو حب الأموال والأولاد والخشية عليهما.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ (٣) ، فالأموال والأولاد متاع وزينة الدنيا، وقد يكونان

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٠٧ــ ٢٠٨).

(٢) روح المعاني (٥/ ٥٠٦).

(٣) الآية (٢٠) من سورة الحديد.

مصدر تلاءٍ وبلاء، فعلى الإنسان أن يتنبه لذلك، وأن يجعلهما سبيلاً لمرضاة الله، فما عند الله أعظم وأبقى من متاع الدنيا الزائل.

١٨_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي متصل بالآيات السابقة ابتداء من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ (٢) الآية وما بعده من الآيات إلى هُنا. وافتتح بالنداء للاهتمام ، كما تقدم آنفًا.

وخوطب المؤمنون بوصف الإيمان تذكيرًا لهم بعهد الإيمان وما يقتضيه كما تقدم آنفًا في نظائِره، وعقّب التحذير من العصيان والتنبيه على سوء عواقبه، بالترغيب في التقوى وبيان حسن عاقبتها وبالوعد بدوام النصر واستقامة الأحوال إن هم داموا على التقوى)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما حذّر عن الفتنة بالأموال والأولاد ، رغّب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكّرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف، وامتنَّ عليهم بما أعزهم به، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة في الردى، وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن الهوى بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع بينهما، وبيّن تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى والنجاة من عذابه في الأخرى)) (٥).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أن هذه الآية تتصل بما قبلها من آيات بأنها استئناف ابتدائي، فإنه لما حذرهم في خطابات سابقة من العصيان وبيّن لهم عاقبته السيئة، وفرض عليهم الطاعة مقابله، خاطبهم هنا مجددًا بوصف الإيمان حاثًا لهم على التقوى ومذكرًا لهم بحسن عاقبتها على الدوام.

ويذهب الطاهر لربط الآية بمجموعة الآيات قبلها، فإنه تعالى لمّا رتب على نهيهم عن المخالفة والخيانة أضرارًا عدة، من وصفهم بشر الدواب ووقوعهم في الفتنة ونزول العذاب، رتّب مقابلها منافع التقوى من نصر ومغفرة وسعة فضل. وأحسبُ أن هذا من تفردات الطاهر على حدّ إطلاعي والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٢٩) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٥).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٣).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٠٧).

وتكون مناسبة هذه الآية لما قبلها عند الرازي أنه لما حذّ رهم من فتنة الأموال وا لأولاد، رغّبهم في التقوى التي تقيهم من كل ميل وهوى في شأنهما. وبمثل هذا المعنى قال البقاعي.

ويظهر مما سبق عموم مناسبة الطاهر وربطه للآية بما قبلها من آيات، واتفاق مناسبتي الرازي والبقاعي في اتصال هذه الآية بما قبلها مباشرة. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاه ر في مناسبة ختام الآية: ((وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ تذييل وتكميل وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جراء التقوى))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ ومن كان كذلك فإنه إذا وعد بشيء وفى به))(٢).

٢ــ قال البقاعي: ((وفي الآية أعظم مناسبة لقصة أبي لبابة ﷺ لأنه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه من العقوبة التقوى، فكفرت عنه خطيئته وغفر له، عقبت بها ترغيباً لغيره في الإسراع بالتوبة عند مواقعة الهفوة، وختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص، إشارة إلى تفضله سبحان ه بما رزق أهل الإسلام من علو المترلة وانتشار الهيبة وفخامة الأمر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد))(٣).

٣ــ قال الألوسي: ((تعليل لما قبله وتنبيه على أن ما وعد لهم على التقوى تفضل منه سبحانه وإحسان وأنها بمعزل عن أن توجب عليه جل شأنه شيئاً، قيل: ومن عظيم فضله تعالى أنه يتفضل من غير واسطة وبدون التماس عوض ولا كذلك غيرهم سبحانه))(٤).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة الختم بسعة فضل الله تعالى، وأنها لبيان منافع أخرى تلحقهم من جراء تقواهم، ففضله تعالى لا حدّ له.

وأما الرازي فذكر أنه لما وعدهم بما جاء في الآية من وعود، ختم بأنه ذو الفضل العظيم الذي يوفي بما وعد ويزيد.

وذكر البقاعي أن هذه الآية مناسبة لقصة أبي لبابة ، فتقواه حملته على عقوبة نفسه، فنال التكفير والمغفرة، لذا تكون هذه الآية دعوة لكل من هفا أو مال حتى يعود ويتقي ، لأن من طبيعة البشر ا لنقص، ولكنّ الله ذو فضل لا يُحدّ لمن أناب.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٧).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٣).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٠٩).

(٤) روح المعاني (٥/ ٥٠٧).

أما الألوسي فيعرض لمناسبة الختام بأنه لما ذكر ثمار التقوى تلك نبههم على أنها من فضله وإحسانه لم يوجبها عليه أحد، ولا يضره شيء على إنعامه، ولا ينقص من ملكه شيئًا.

ويظهر مما سبق تقارب ما ذكروه إلى حد كبير، فالمناسبة هي أنه لما ذكر منافع التقوى في الآية، أخبرهم بأنه واسع الفضل، كثير النعم، ولاسيما لمن اتقى وأناب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

تُجدد الآيات النداء بالإيمان، والأمر بالتقوى، بعد خطابات عدة من أول السورة، وأدلة ساقتها من خلال حوادث غزوة بدر، تَبيّن فيها حسن عاقبة المتقين، ثم تجيء الآية هنا بثمار أخرى للتقوى حثًا على التزامها، وترغيبًا في انتهاجها، ففيها النصر والمغفرة وحسن العاقبة على الدوام، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم.

وبما أن التقوى هي مخافة الله في السر والعلانية، وبما أن الخيانة هي فعل خفي ــ وقد سبق ذكر الخيانة في الآية قبلها ــ ظهر أنه لا علاج أنجع لها من التقوى التي هي دافع الإنسان للامتثال في الخفاء وفي الجهر.

١٩ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((يجوز أن يكون عطف قصة على قصة من قصص تأييد الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ... ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) ... فإن المكر بالرسول عليه الصلاة والسلام مكر بالمسلمين ويكون ما بينهما اعتراضًا. فهذا تعداد لنعم النصر، التي أنعم الله بها على رسوله ﷺ والمؤمنين، في أحوال ما كان يظن الناس أن سيجدوا منها مخلصًا، وهذه نعمة خاصة بالنبي ﷺ والإنعام بحياته وسلامته نعمة تشمل المسلمين كلهم، وهذا تذكير بأيام مُقامهم بمكة، وما لاقاه المسلمون عمومًا وما لاقاه النبي ﷺ خصوصًا وأن سلامة النبي ﷺ سلامة لأمته)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية يشبه أن يكون قوله ﴿ وَإِذْ ﴾ معطوفًا على قوله ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ وهذا تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة، وجميل صنع الله تعالى في جمعها ويحتمل أن يكون ابتداء كلام)) (٤).

٢ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكّر المؤمنين نعمه عليهم بقوله ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ فكذلك ذكّر رسوله نعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين عنه)) (٥).

٣ــ قال أبو حيان: ((لما ذكّر المؤمنين نعمه عليهم ذكّره ﷺ نعمه عليه في خاصة نفسه)) (٦).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم والنبأ الجسيم، ذكّرهم من أحوال داعيهم وقائدهم وهاديهم عليه الصلاة والسلام والتحية والإكرام بما يدعوهم إلى ملازمة أسبابه في سياق المخاطبة

---

(١) الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢٦) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٧).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥١٨).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٤).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٨١).

له ﷺ تذكيرًا بنعمته وإشارة إلى دوام نصرته فقال تعالى عاطفاً على ﴿إِذۡ أَنتُمۡ﴾ ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ﴾)) (١).

٥_ قال الألوسي: ((ثم أنه ﷻ لم ذكر نعمته بقوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ الخ ذكّر نبيه عليه الصلاة والسلام النعمة الخاصة به)) (٢).

من خلال المنقول السابق نجد أن المناسبات التي ذكرها الجميع تتفق في المعنى، وتختلف في العبارة، فبعد أن ذكّر الله تعالى المؤمنين بنعمه عليهم وبحالهم السابق وما آل إليه من تمكين ورفعة، و لم يكونوا يظنون تغّير حالهم، ذكّرهم هنا بنعمة أخرى عليهم وعلى نبيه ﷺ بامتنانه عليه وقت كونه في مكة، وكيف أنجاه من تآمر المشركين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

يتتابع السياق في التذكير بنعم الله تعالى على المؤمنين، ومن أعظم تلك النعم وجود النبي ﷺ بينهم، ونجاته من كيد الكافرين.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٠٩ _ ٢١٠).

(٢) روح المعاني (٥/ ٥٠٧).

٢٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال إلى ذكر بهتان آخر من حجاج هؤلاء المشركين، لم تزل آيات هذه السورة يتخللها أخبار كفرهم من قوله : ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢) وقوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾(٣) وقوله ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾(٤) وقوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾(٥) ثم بقوله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾(٦).

وهذه الجمل عطف على جملة: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾(٧)))(٨).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما حكى مكرهم في ذات محمد حكى مكرهم في دين محمد))(٩).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر مكرهم بالرسول، ذكر مكرهم بما أرسل به، فقال عاطفاً على ﴿إِذْ أَنتُمْ ﴾(١٠): ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ ﴾))(١١).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها انتقال إلى ذكر بهتان آخر عن الكافرين.

واتفق ما ذكره الرازي مع البقاعي، فقد ربطا الآية بما قبلها مباشرة، ور بطها الطاهر بما جاء سابقًا من ذكر الكافرين وحجاجهم من أول السورة. وهو من إضافاته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان مكر الكافرين بالرسول ﷺ وبدينه وبكتابه وبالمؤمنين، وحماية الله لرسوله ﷺ

---

(١) الآية (٣١) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٣) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٥) الآية (٢١) من سورة الأنفال.

(٦) جزء من الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٧) جزء من الآية (٢٣) من سورة الأنفال.

(٨) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٩).

(٩) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٦).

(١٠) جزء من الآية (٢٦) من سورة الأنفال.

(١١) نظم الدرر (٣/ ٢١٠).

٢١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾(٢) وهو ارتقاء في بيان أنهم أحقاء بتعذيب الله إياهم، بيانًا بالصراحة))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ثم بيّن تعالى ما لأجله يعذّبهم، فقال ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وقد ظهرت الأخبار أنهم كيف صدوا عنه عام الحديبية))(٤).

٢ـقال الألوسي: ((إن الآية الأولى متصلة بما قبلها على أنها حكاية عن المشركين فإنهم كانوا يقولون إن الله تعالى لا يعذبنا ونحن نستغفر، ولا يعذب سبحانه أمة ونبيها معها، فقص الله تعالى ذلك على نبيه ﷺ مع قولهم الآخر فكأنه قيل: وإذ قالوا اللهم الخ. وقالوا أيضاً: كيت وكيت، ثم رد عليهم بقوله سبحانه ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ على معنى أنهم يعذبون وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون))(٥).

من خلال ما سبق ذكر الطاهر أنها ارتقاء في بيان استحقاق الكافرين للعذاب صراحة.

وربطها الرازي بالجملة قبلها، فهو هنا ذكر سبب استحقاقهم العذاب وهو صدهم عن المسجد الحرام.

وذكر الألوسي أنها رد على دعوى الكفار في أنهم لا يُعذبون ومعهم نبيهم.

ومن خلال ما سبق نجد أن الطاهر ربطها بالآية التي قبلها، وهي من إضافاته. وكل ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٣٣) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٥).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٧).

(٥) روح المعاني (٥/ ٥١٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وجملة: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ تعيين لأوليائه الحق، وتقرير لمضمون ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ مع زيادة ما أفاده القصر من تعيين أوليائه، فهي بمترلة الدليل على نفي ولاية المشركين، ولذلك فصلت.

وإنما لم يُكتف بجملة القصر مع اقتضائه أن غير المتقين ليسوا أولياء المسجد الحرام، لقصد التصريح بظلم المشركين في صدهم المسلمين عن المسجد الحرام بأهم لا ولاية لهم عليه، فكانت جملة : ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ أشد تعلقًا بجملة: ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ من جملة: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ وكانت جملة: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ كالدليل، فانتظم الاستدلال أبدع انتظام، ولما في إناطة ولاية المسجد الحرام بالمتقين من الإشارة إلى أن المشركين الذين سلبت عنهم ولايته ليسوا من المتقين، فهو مذمة لهم وتحقيق للنفي بحجة))⁽¹⁾.

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ونبّه على أنهم يصدون لادعائهم أنهم أولياؤه ثم بيّن بطلان هذه الدعوى بقوله ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الذين يتحرزون عن المنكرات كالذي كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية والمقصود بيان أن من كانت هذه حاله لم يكن ولياً للمسجد الحرام فهم إذن أهل لأن يقتلوا بالسيف ويحاربوا فقتلهم الله يوم بدر وأعز الإسلام بذلك على ما تقدم شرحه))⁽²⁾.

٢ـ قال أبو حيان: ((استئناف إخبار أي وما استحقوا أن يكونوا ولاة أمره ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾))⁽³⁾.

٣ـ قال البقاعي: ((ولما نفى عنهم الولاية. ذكر أهلها فقال ﴿ إِنْ ﴾ أي ما ﴿ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ ﴾أي بالاستحقاق ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ أي العريقون في هذا الوصف بما يجعلون بينهم وبين سخط الله من وقايات الطاعات، لا كل من آمن بل خاصة المؤمنين، وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر))⁽⁴⁾.

من خلال المنقول السابق، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الجملة، رغم اختلاف ألفاظهم.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٧).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٧).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٤٨٤).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢١٣).

فالمناسبة أنه لما بيّن أنهم ليسوا أولياء للمسجد الحرام، بيّن مَن هم أولياؤه إنكارًا لدعوى المشركين، وتقريرًا لأوليائه الحق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

يتتابع سياق الآيات في تناسق واضح، وبيان جليّ، حيث أخبر عن سبب العذاب بأصرح وأقطع بيان، ثم ردّ على دعواهم بالولاية، ثم أخبر عن المستحقين الجديرين بها قطعًا وتقريرًا.

٢٢_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((معطوفة على جملة ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(٢) فمضمونها سبب ثان لاستحقاقهم العذاب، وموقعها، عقب جملة : ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ ﴾ (٣) يجعلها كالدليل المقرر لانتفاء ولايتهم للمسجد الحرام، لأن من كان يفعل مثل هذا عند مَسجد الله لم يكن من المتقين، فكان حقيقًا بسلب ولاية المسجد عنه، فعطفت الجملة باعتبارها سببًا للعذاب، ولو فصلت باعتبارها مقررة لسلب أهلية الولاية عنهم لصحَ ذلك، ولكن كان الاعتبار الأول أرجح؛ لأن العطف أدل عليه مع كون موقعها يفيد الاعتبار الثاني)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت أمكن أن يعترض معترض بأن يقول : وكيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده ؟ فقطع الله هذا الاعتراض بأن قال وما كان صلاتهم إلا المكاء والتصدية)) (٥).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال في حق الكفار أنهم ما كانوا أولياء البيت الحرام وقال ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٦) بيّن بعده ما به خرجوا من أن يكونوا أولياء البيت وهو أن صلاتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم إنما كان بالمكاء والتصدية)) (٧).

٣_ قال أبو حيان: ((لما نفي عنهم أن يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك وأنّ من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل أن يكونوا أولياءه)) (٨).

---

(١) الآية (٣٥) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٨).

(٥) المحرر الوجيز (٢/ ٥٢٤).

(٦) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٧) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٨).

(٨) البحر المحيط (٤/ ٤٨٥).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما كانوا يفعلون عند البيت ما يُ نزه البيت عنه مما هو غاية في الجهل، قال مبينً ا لجهلهم واستحقاقهم للنكال وبعدهم عن استحقاق ولايته: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾)) [1].

٥ــ قال الألوسي: ((والجملة معطوفة إما على ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ فتكون لتقرير استحقاقهم للعذاب ببيان أنهم صدوا و لم يقوموا مقام من صدوه في تعظيم البيت ، أو على ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ ﴾ [2] فتكون تقريرًا لعدم استحقاقهم لولايته)) [3].

من خلال السابق، يذكر الطاه ر ارتباط هذه الآية بما قبلها، حيث كان الحديث عن المشركين، وعن أسباب استحقاقهم للعذاب، فهم يصدون عن المسجد الحرام أولاً، فعطف في هذه الآية بسبب ثانٍ لاستحقاقهم للعذاب ولنفي ولايتهم للمسجد الحرام وهو ما يقومون به من عبادة وتقرب بطريق المكاء والتصدية.

وقد رجّح الطاهر أنها معطوفة ــ ويجوز فيها الفصل ويستقيم المعنى أيضًا ــ عقب جملة ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ ﴾ التي هي كتقرير ودليل على سلب هذه الولاية.

وذكر ابن عطية أنه لما نفى ولايتهم عن المسجد في الآية السابقة، جاء بهذه الآية لنفي أي اعتراض من معترض منهم بأحقيتهم بتلك ال ولاية لسكناهم فيه، فدلل على انتفاء تلك الأحقية ببطلان عبادتهم وتقربهم.

أما الرازي فقد ذكر أنه لما نفى عن الكفار ولاية المسجد الحرام، جاء بعده بالدليل على سلب هذه الولاية لأن صلاتهم مكاء وتصدية.

وجعلها أبو حيان في سبب نفي ولاية البيت عنهم، وهو قبح فعلهم وعبادتهم عنده.

و لم يختلف ما ذهب إليه البقاعي عن ابن عطية والرازي، فذكر أن ذلك التقرب يتنزه عنه البيت الحرام، وما فعوا ذلك إلا جهلاً منهم، فاستحقوا العذاب ونفي الولاية.

أما الألوسي فقد وافقت عبارته معنى المناسبتين التي ذكرهما ابن عاشور، و لم يرجح.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢١٣).

(٢) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٣) روح المعاني (٥/ ٥١٦).

فيكون ابن عطية والرازي وأبو حيان والبقاعي قد ذهبوا إلى أن المناسبة هي التأكيد على نفي ولاية البيت عنهم بذكر السبب، و ذكرها ابن عاشور و لم يرجحها، والمناسبة الأنسب أنها في ذكر سبب آخر لاستحقاقهم العذاب، وهو ترجيح الطاهر، وأحد قولي الألوسي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام : ((وعبّر هنا بـــ ﴿ تَكۡفُرُونَ ﴾ وفي سورة الأعراف بـــ ﴿ تَكۡسِبُونَ ﴾ (١) لأن العذاب المتحدث عنه هنا لأجل الكُفر . والمتحدث عنه في الأعراف لأجل الكفر والإضلال ومَا يجره الإضلال من الكبرياء والرئاسة)) (٢).

وأحسبُ أن هذا من تفردات الطاهر ــ على حدّ إطلاعي والله أعلم ــ.

أثر المناسبات:

الاستمرار في ذم الكافرين ببيان صورة من صور جهلهم وعبادتهم وكفرهم، وزيادة النكال فيهم بأنهم أبعد ما يكونون عن ولاية البيت.

ويظهر والله أعلم من خاتمة هذه الآية (تكفرون) وقد جيئت في سياق تقرير سبب آخر لاستحقاقهم العذاب؛ يظهر من ذلك تأييد لما جاء في المناسبة السابقة من أن معنى (يستغفرون) يؤمنون ويتوبون عن الشرك، فإذا آمنوا دفعوا العذب وأمِنوا، وإذا بقوا على كفرهم ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾(٣).

---

(١) جزء من الآية (٣٩) من سورة الأعراف.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٠).

(٣) جزء من الآية (٣٥) من سورة الأنفال.

٢٣ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما ذُكر صدهم المسلمين عن المسجد الحرام الموجب لتعذيبهم، عُقب بذكر محاولتهم استئصال المسلمين وصدهم عن الإسلام وهو المعني بـــ ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وجعلت الجملة مستأنفة، غير معطوفة، اهتمامًا بها أي أنهم ينفقون أموالهم وهي أعز الأشياء عليهم للصد عن الإسلام)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية أتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية)) (٣).

٢ــ قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر من شرح أحوالهم في الطاعات البدنية وهي صلاتهم شرح حالهم في الطاعات المالية وهي إنفاقهم أموالهم للصدّ عن سبيل الله والظاهر الإخبار عن الكفار بأنّ إنفاقهم ليس في سبيل الله بل سببه الصدّ عن سبيل الله)) (٤).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما أخبر سبحانه عن أحوال الكفار في الأعمال البدنية، وكان غلبهم مع كثرتهم وقوتهم مستبعدًا، أخبر بما يقربه مبيناً لأعمالهم المالية فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾)) (٥).

٤ــ قال الألوسي: ((وكأن هذا بيان لعبادتهم المالية بعد عبادتهم البدنية)) (٦).

من خلال المنقول السابق ، يذكر الطاهر أن مناسبة هذه الآية لما قبلها تتلخص في أنه تعالى لما ذكر سابقًا صدّ الكفار للمسلمين عن المسجد الحرام، ذكر هنا صدًا آخر وهو صدهم الناس عن دين الله،

---

(١) الآيتان (٣٦ ــ ٣٧) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٠).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٩).

(٤) البحر المحيط (٤/ ٤٨٧).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢١٥).

(٦) روح المعاني (٥/ ٥١٧).

ومحاولتهم زعزعة المسلمين عن سبيل الله، وذلك ببذل أموالهم التي هي من أعز ما يملكون ويحبون . فتكون الآية مستأنفة للاهتمام.

واتفق باقي المفسرين وإن اختلفت ألفاظهم على أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هي ذكر لأحوال الكفار المالية وكيف لا ينقصون جهدًا في بذلها للصد عن سبيل الله، بعد أن ذكر قبلاً أحوالهم البدنية وكيف هي عبادتهم وشعائرهم عند المسجد الحرام.

ويظهر أن ما ذكروه متقارب المعنى مع مناسبة الطاهر وإن كانت عبارته أجزل وأوفق مع السياق . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الكافرين دائمًا في جميع الأزمان لا يدخرون سبيلاً ولا وسيلة إلا ويتخذونها لصدّ المسلمين عن دينهم، ولإبعاد الناس عن الحق والصواب.

وأيضًا بيان لتنوّع وسائلهم الماكرة، فهم يصدون الناس عن الإيمان بأبدانهم وبأموالهم.

٢٤ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((جرى هذا الكلام على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب، والوعيد بالوعد، والعكس، فأنذرهم بما أنذر، وتَوعّدَهم بما توعد ثم ذكّرهم بأنهم متمكنون من التدارك وإصلاح ما أفسدوا، فأمر الله نبيه ﷺ بأن يقول لهم ما يفتح لهم باب الإنابة.

والجملة استئناف يصح جعله بيانيًا لأن ما تقدم بين يديه من الوعيد وقلة الاكتراث بشأنهم، وذكر خيبة مساعيهم، مما يثير في أنفُس بعضَهم والسامعين أن يتساءلوا عما إذا بقي لهم مخلص ينجيهم من ورطهم التي ارتبقوا (٢) فيها، فأمر الرسول بأن يقول لهم هذا المقال ليريهم أن باب التوبة مفتوح، والإقلاع في مكنتهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن صلاتهم في عباداتهم البدنية وعباداتهم المالية أرشدهم إلى طريق الصواب)) (٤).

٢ــ قال أبو حيان: ((لما ذكر ما يحل بهم من حشرهم إلى النار وجعلهم فيها وخسرهم تلطّف بهم وأنهم إذا انتهوا عن الكفر وآمنوا غفرت لهم ذنوبهم السالفة)) (٥).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما بيّن ضلالهم في عبادتهم البدنية والمالية، وكان في كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا بلفظ الماضي بالشقاء، كان ذلك موهمًا لأن يراد من أوقع الكفر في الزمن الماضي وإن تاب، فيكون مؤيسًا من التوبة فيكون موجبًا للثبات على الكفر، قال تعالى متلطفًا بعباده مرشدًا لهم إلى طريق الصواب مبينًا المخلص مما هم فيه من الوبال في جواب من كأنه قال: أما لهم من جبلة يتخلصون بها من الخسارة ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ﴾ أي لأجل الذين ﴿ كَفَرُوٓاْ ﴾ أي أقبل توبة من تاب منهم بمجرد انتهائه عن حاله)) (٦).

---

(١) الآية (٣٨) من سورة الأنفال.

(٢) ارْتَبقَ أَي وَقَعَ فيه. انظر: تاج العروس (٢٥/ ٣٣٠) باب ربق.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٤).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٠).

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٨٨).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢١٦).

من خلال النقل السابق ، يذكر الطاهر أنه تظهر عادة من عادات القرآن الكريم في هذه الآية ، فلما أنذر الكافرين وهددهم وتوعدهم في الآية السابقة، جاء في هذه بفتح باب الرجعة والتوبة لهم ليصلحوا أحوالهم إن تساءل بعضهم عن كيفة الخلاص مما هم فيه، فتكون الجملة مستأنفة بيانيًا. وهو ما ذهب إليه البقاعي أيضًا.

أما الرازي فجعل المناسبة أنه تعالى لما بيّن ضلال وفساد عباداتهم البدنية والمالية، بيّن لهم في هذه طريق الحق والرشاد.

وعند أبي حيان أنه تعالى لما ذكر أنهم يحشرون إلى النار وما يصيبهم من عذاب نتيجة أعمالهم القبيحة، تلطف بهم في هذه بأن فتح لهم سبيلاً للنجاة.

وذكر البقاعي أنه تعالى لما حكى عن فساد عباداتهم البدنية والمالية ، وتكرر الحديث عن الكفار بصيغة الماضي، قد يتوهم واهم أنه كُتب عليهم الشقاء أبد الآبدين فلا سبيل للنجاة ولا مخلص لهم من كفرهم وإن تابوا، فجاء في هذه الآية بإرشادهم إلى الطريق تلطفًا بحالهم، وقاطعًا ليأس من أراد التوبة.

ومما سبق نجد أن الطاهر والبقاعي وأبا حيان قد ربطوا الآية بما ذُكر قبلها من الوعيد والتهديد، أما الرازي فقد تفرد بذكر تلك المناسبة، وجميع ما جاء من مناسبات يُكمّل بعضه بعضًا. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان رحمة الله تعالى بعباده أجمعين، فرغم كفر الكافرين وضلالهم فقد جعل لهم مناصًا ومخرجًا بالعودة والتوبة.

وأيضًا بيان أسلوب القرآن الكريم في ذكر الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فما إن يأتي على ذكر أحدهما حتى يتبعه بالآخر، فهذا الدين لا يقوم إلا على ركائزه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء.

٢٥ـ المناسبات في قوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال لبيان ما أجمل من حكم الأنفال، الذي افتتحته السورة، ناسب الانتقال إليه ما جرى من الأمر بقتال المشركين إن عادوا إلى قتال المسلمين. وافتتاحه بـ (اعلموا) للاهتمام بشأنه ، والتنبيهِ على رعاية العمل به ... فإنّ المقصود بالعلمِ تقرّر الجزم بأنّ ذلك حكم الله، والعمل بذلك المعلوم، فيكون (اعلموا) كناية مراداً به صريحه ولازمه . والخطاب لجميع المسلمين و بالخصوص جيش بدر، وليس هذا نسخًا لحكم الأنفال المذكور أوّل السورة، بل هو بيان لإجمال قوله: ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ (٢)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمر بالمقاتلة في قوله ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾ (٤) وكان من المعلوم أن عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة لا جرم ذكر الله تعالى حكم الغنيمة)) (٥).

٢ـ قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة، اقتضى ذلك وقائع وحروباً فذكر بعض أحكام الغنائم، وكان في ذلك تبشير للمؤمنين بغلبتهم للكفار، وقسم ما تحصّل منهم من الغنائم)) (٦).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان التقدير: فإذا أعانكم مولاكم عليهم وغلبتموهم وغنمتم فيه فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلاً، بل اعلموا أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا في المغنم تنازع من أخذه بقوته وحازه بقدرته، عطف عليه قوله:﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾، ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليبذلوا الجهد في تفريغ أذهانهم لوعيه وتتزيله منازله ورعيه)) (٧).

---

(١) الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠ / ٥).

(٤) جزء من الآية (٣٩) من سورة الأنفال.

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٢).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٩٢).

(٧) نظم الدرر (٣/ ٢١٨).

يذكر الطاهر من خلال ما سبق أن هذه الآية هي الانتقال إلى تفصيل حكم الأنفال المجمل في أول السورة، ومناسبته أنه لما أمر بقتال المشركين إن هم قاتلوا المسلمين، فلا بد من غنائم بعد هذه الحرب فجاء على ذكر الأنفال وأحكامها التفصيلية ، وابتدأ الآية بـــ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ ليهتموا ويراعوا ما سيأتي . وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان أيضًا على اختلاف عباراتهم.

وذكر البقاعي أنه لما أعان المسلمين في القتال فغلَبوا وغنموا، عطف هنا بالأمر ليستمعوا وينتبهوا.

وما ذكره الطاهر ووافق فيه الرازي وأبا حيان هو الأنسب، وهي مناسبة جلية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال بيان المناسبة ظهر أن هذه الآية ليست منسوخة، بل هي بيان و تفصيل الإجمال في حكم الأنفال أول هذه السورة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ عطف على اسم الجلالة، والمعنى : وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، وهذا تخلّص [1] للتذكير بما حصل لهم من النصر يوم بدر، والإيمانُ به يجوز أن يكون الاعتقاد الجازم بحصوله، ويجوز أن يكون العلم به، فيكون على الوجه الثاني من استعمال المشترك في معنييه، أو من عموم المشترك)) [2].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة هذه الجملة للآية، فلما قسّم الغنائم وبيّن حكمها ونبههم إلى وجوب مراعاته، وأن ذلك من الإيمان، ذكّرهم بما حصل لهم يوم بدر، وهذا من بديع التخلص. وتخصيص التذكير بالإيمان بما نزل يوم الفرقان، ذَكَر أنه لذلك المنزّل مزيد تعلق بما جاء في الآية من مأمورات يجب أن يعلموها ويعملوا بها.

فتكون من تفردات الطاهر وإضافاته على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

يظهر من خلال الآية وجه من وجوه المناسبات وهو : التخلص، ولا يخفى ما فيه من الإعجاز، حيث انتقل من الحديث عن تقسيم الغنائم إلى التذكير بأحداث الغزوة بأعجز وأوجز عبارات.

---

(١) انظر: (ص ٨٣) من هذا البحث.

(٢) التحرير والتنوير (١٠ / ١٤).

٢٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((﴿ إِذۡ ﴾ بدل من ﴿ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾(٢) فهو ظرف (لأنزلنا) أي زمن أنتم بالعدوة الدنيا ، وقد أريد من هذا الظرف وما أضيف إليه تذكيرهم بحالة حرجة كان المسلمون فيها، وتنبيههم للطف عظيم حفّهم من الله تعالى ، وهي حالة موقع جيش المسلمين من جيش المشركين، وكيف التقى الجيشان في مكان واحد عن غير ميعاد ، ووجَد المسلمون أنفسهم أمام عدوّ قوي العِدّة والعُدّة والمَكانة من حسن الموقع . ولولا هذا المقصد من وصف هذه الهيئة لما كان من داع لهذا الإطناب (٣) إذ ليس من أغراض القرآن وصف المنازل إذا لم تكن فيه عبرة)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال أبو حيان: ((قال الزمخشري(٥): فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت ، وذكر مراكز الفريقين ، وإن العِير كانت أسفل منهم . قلت: الفائدة فيه الإخبار عن الحالة الدالة على قوّة شأن العدوّ ، وشوكته، وتكامل عدّته وتمهد أسباب الغلبة له ، وضعف شأن المسلمين ، وشتات أمرهم وإن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعًا من الله تعالى ودليل على أن ذلك أمر لم يتيسّر إلا بحوله تعالى ، وقوته وباهر قدرته. وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء ، وكانت أرضًا لا بأس بها ، ولا ماء بالعدوة الدنيا، وهي خبار(٦) تسوخ(١) فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة ، وكانت العِير وراء

---

(١) الآية (٤٢) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٣) الإطناب (في علم المعاني): أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة ، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٦٧). الإطناب: أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة. انظر: التعريفات (١/ ٤٦).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥ـ ١٦).

(٥) الكشاف (٢/ ٤٢٠).

(٦) خبار من الأرض: أي سهلة لينة. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٢٨).

ظهور العدو مع كثرة عددهم ، وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم ، وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم ، وأموالهم ليبعثهم الذبّ عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل تجهيداتهم في القتال ، أن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه ، فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم، ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطئهم، ولا يخلو مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم. وفيه تصوير ما دبّر سبحانه من أمر وقعة بدر. انتهى. وهو كلام حسن)) (٢).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر لهم يوم ملتقاهم، صوّر لهم حالتهم الموضحة للأمر المبينة لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرًا لهم بذلك ردعًا عن المنازعة وردًا إلى المطاوعة فقال مبدلاً من ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ ﴿إِذْ أَنتُم﴾ نزول ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي القربى من المدينة ﴿وَهُم﴾ أي المشركون نزول ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أي البعدى منها القريبة إلى البحر ... وهو كان قصدكم وسؤلكم، فلو كانت لكم قوة على طرقه لبادرتم إلى الطرف وغالبتم عليه الحتف، ولكن منعكم من إدراك مأمولكم منه من كان جاثمًا بتلك العدوة جثوم الأسد واثقًا بما هو فيه من القوى والعدد ... مع استضعافكم لأنفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم وجنودنا تثبتكم، وإلى مثل هذه المعاني أشار تصوير مكانهم ومكان الركب إيماء إلى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة وتكامل العدة وتمهد أسباب الغلبة وضعف حال المسلمين وأن ظفرهم في مثل هذا الحال ليس إلا صنعًا من الله)) (٣).

٣ــ قال الألوسي: ((ووجه الإطناب في الآية مع حصول المقصود بأن يقال : يوم الفرقان يوم النصر والظفر على الأعداء مثلا تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر والإمتنان والدلالة على أنه من الآيات الغر المحجلة وغير ذلك وهذا مراد الزمخشري بقوله ما فائدة هذا التوقيت...)) (٤).

مما سبق يظهر توافق معنى ما ذكره المفسرون على اختلاف عباراتهم، وهو موافق لما جاء في السيرة عن هذه الغزوة، فالمناسبة أنه لما ذكّرهم بوقعة بدر، أطنب في الحديث عنها مصورًا حالهم وحال عدوهم، ومنازلهم، وضعف المسلمين، وقوة العدو عدة وعتادًا، ثم كيف قلب كل ذلك لصالح المسلمين، ليذكروا نعم الله تعالى ولطفه وأن كل ذلك من تدبيره وصنعه.

ولقد كانت عبارة الطاهر أجزل. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) تسوخ في الأرض: تدخل فيها وتغيب. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٧).

(٢) البحر المحيط (٤/ ٤٩٦).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٢٠).

(٤) روح المعاني (٦/ ١٠).

بيان لعظيم صنع الله وتدبيره، فقد تبدو الأمور لأول وهلة عصيبة لا مخرج فيها، ولا مخلص منها، فيغتم الإنسان ويحزن، ولكن وراء كل أمر لطف من الله، وحكمة قد تخفى حينها ثم قد تظهر، لذا فليُسلّم المؤمن لتقدير ربه وتدبيره، فهو بلا شك الخير في كلا الحالات.

٢٧_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر: ((لّما عرّفهم الله بنعمه ودلائل عنايته، وكشف لهم عن سرّ من أسرار نصره إيّاهم، وكيف خذل أعداءهم، وصرفهم عن أذاهم، فاستتبَّ لهم النصر مع قلتهم وكثرة أعدائهم، أقبل في هذه الآية على أن يأمرهم بما يهيءّ لهم النصر في المواقع كلّها، ويستدعي عناية الله بهم وتأييدَه إيّاهم، فجمع لهم في هذه الآية ما به قِوام النصر في الحروب. وهذه الجمل معترضة بين جملة: ﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ ﴾ (٢) وجملة: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (٣)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((هذا أمر بما فيه داعية النصر وسبب العز وهي وصية من الله متوجهة بحسب التقييد التي في آية الضعف ويجري مع معنى الآية قول النبي ﷺ: "لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا " (٥))(٦).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر ، علّمهم إذا التقوا بالفئة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الأدب : الأول: الثبات وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي. والثاني: أن يذكروا الله كثيرًا)) (١).

---

(١) الآيتان (٤٥_ ٤٦) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٤) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠ / ٢٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حتى تَزُولَ الشَّمْسُ، (٣/ ١٠٨٢)، رقم: [٢٨٠٤].

(٦) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٦).

من خلال ما نُقل سابقًا يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، فيذكر أنه تعالى لما بيّن لهم إنعامه وإكرامه باعتنائه بهم، وأخبرهم كيف نصرهم بفضله ومنّه، رغم قلة عددهم وعدتهم، وكثرة عدوهم، وكشف سرّ ذلك النصر وهو ما كان من منام أراه لنبيه ﷺ، وما أراهم إياه عند اللقاء من قلة عدوهم، وهو وحده الناصر المهيأ لأسباب النصر جميعها، جاء في هذه بمأمور عظيم يضمن لهم النصر في جميع المواجهات، ويجلب لهم تأييد ربهم ورعايته، ويجمع لهم قوام النصر وسببه الرئيس آلا وهو ذكر الله تعالى عند اللقاء.

واختصر ابن عطية فذكر أنه جاء بمأمورات هي أسباب النصر والرفعة . ولم يختلف الرازي عن ابن عاشور سوى في عبارته، فذكر أنه تعالى لما أخبرهم بإنعامه على رسوله وعلى المؤمنين، أقبل يبيّن لهم أدبان مهمان عند اللقاء، آلا وهما: الثبات وذكر الله.

ومن خلال ما سبق بيانه، تتوافق معاني المناسبات التي ذكروها، ويظهر أن المناسبة هي أنه لما ذكر نعمه عليهم لّما لاقوا عدوّهم، شرع يُبيّن لهم أسباب النصر وآداب اللقاء. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ((وهذان أمران أمروا بهما وهما يَخصّان المجاهد في نفسه، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فهما لإصلاح الأفراد))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ثم قال ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وذلك لأن مقاتلة الكافر إن كانت لأجل طاعة الله تعالى كان ذلك جاريًا مجرى بذل الروح في طلب مرضاة الله تعالى، وهذا هو أعظم مقامات العبودية فإن غلب الخصم فاز بالثواب والغنيمة، وإن صار مغلوبًا فاز بالشهادة والدرجات العالية، أما إن كانت المقاتلة لا لله بل لأجل الثناء في الدنيا وطلب المال لم يكن ذلك وسيلة إلى الفلاح والنجاح))(٣).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما أمر بذلك، علله بأداة الترجي، ليكون أدل على أنه سبحانه لا يجب عليه شيء فيكون للإيمان فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لتكونوا على رجاء من الفلاح وهو الظفر بالمراد من النصر والأجر وكما كنتم إذ ذاك))(٤).

---

(١) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٠).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٧).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٤).

من خلال ما سبق يربط الطاهر ختام الآية بما جاء فيها من أسرار النصر، فالثبات وذكر الله عند اللقاء سببان للفلاح وصلاح الأفراد.

أما الرازي فانبرى لبيان مناسبة الختام ولما بعد هذه الآية ، فذكر الله يُبقي الإنسان متذكرًا هدفه من الجهاد، فهو في كلا الحالات رابح، لأن البيع مع الله تعالى ، فإن انتصر فاز بالأجر الجزيل وبالغنيمة، وإن قُتل فاز بالجنان ومنزلة الشهداء، فذلك هو الفلاح والفوز العظيم. وبمثل هذا المعنى قال البقاعي.

ويظهر مما سبق أن الطاهر يستنبط من الآيات قواعد النصر الأساسية، وقوام الأمة الإسلامية، فجاءت المناسبات التي ذكرها منطلقة من ذلك. وهي مناسبات جليلة، والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ ﴾ لما قبلها: ((ثم أمرهم بأعمال راجعة إلى انتظام جيشهم وجماعتهم، وهي علائق بعضهم مع بعض، وهي الطاعة وترك التنازع))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية استمرار على الوصية لهم والأخذ على أيديهم في اختلافهم في أمر بدر وتنازعهم))(٢).

٢ــ قال الرازي: ((ثم قال تعالى مؤكدًا لذلك ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في سائر ما يأمر به لأن الجهاد لا ينفع إلا مع التمسك بسائر الطاعات))(٣).

من خلال ما سبق يعرج الطاهر إلى وجه اتصال الآية بما قبلها فهنا الأمر بالطاعة وترك التنازع، فهما سببان لصلاح الجماعة واستقامة أمرهم، بعد أن ذكر أسباب صلاح الأفراد .

وربط ابن عطية الآية بأنها استمرار لما أمرهم به من الثبات والذكر، فأمر مجددًا بالطاعة أخذًا على أيديهم في نزاع الأنفال.

أما الرازي فذكر أن الأمر بالطاعة جاء لأن الجهاد لا ينفع دون امتثال لجميع الطاعات .

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم، وما ذكره الطاهر أنسب فيما يتعلق بالجهاد وصلاح الأمة . والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٠).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٦).

(٣) المصدر السابق (١٥/ ١٣٧).

المناسبة الرابعة: قال الطاهر: ((ولّما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسَطَ القرآن القولَ فيه ببيان سيّيءِ آثاره، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: ﴿فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ فحذّرهم أمرين معلومًا سوءُ مَغبتهما: وهما الفشلَ وذهاب الريح)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((بيّن تعالى أن النزاع يوجب أمرين : أحدهما: أنه يوجب حصول الفشل والضعف . والثاني: قوله ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾)) (٢).

٢ــ قال أبو حيان: ((أمرهم تعالى بالطاعة لله ولرسوله ونهاهم عن التنازع وهو تجاذب الآراء وافتراقها والأظهر أن يكون ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ جوابًا للنهي فهو منصوب ولذلك عطف عليه منصوب لأنه يتسبب عن التنازع الفشل وهو الخور والجبن عن لقاء العدو وذهاب الدولة باستيلاء العدو)) (٣).

٤ــ قال البقاعي: ((وأشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال؛ ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ أي تضعفوا؛ ... ولما كان الفشل ربما كان معه الظفر لفشل في العدو أكثر منه أو غير ذلك، عطف ما يلزمه غالبًا بالواو دون الفاء فقال: ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ أي غلبتكم وقوتكم)) (٤).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة التعقيب بنتائج التنازع هنا، فلما نهاهم عن الاختلاف وهو سنة فطرية بشرية، بيّن لهم عواقبه الوخيمة، ففيه الضعف والفشل وذهاب القوة والنصر.

وذكر الرازي أنه لما ذكر النزاع، ذكر أنه بعده لا يكون سوى الفشل وذهاب القوة.

أما أبو حيان فذكر أنه لما أمرهم بالطاعة ونهاهم عن التنازع، بيّن لهم عواقب التنازع . وذهب البقاعي إلى هذا المعنى أيضًا.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠ / ٣١).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٨).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٤٩٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٤).

ومن خلال ما سبق بيانه تتفق المناسبات المذكورة في المعنى، فتكون المناسبة أنه لما أمرهم بالأوامر الأربعة، بيّن لهم نتائج مخالفتها. والله تعالى أعلم.

المناسبة الخامسة: قال الطاهر: ((ثم أمرهم الله بشيء يعمّ نفعه المرء في نفسه وفي علاقته مع أصحابه، ويسهل عليهم الأمور الأربعة، التي أمروا بها آنفًا في قوله: ﴿فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وفي قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ الآية. ألاَ وهو الصبر، فقال: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ لأنّ الصبر هو تحمّل المكروه، وما هو شديد على النفس، وتلك المأمورات كلّها تحتاج إلى تحمّل المكاره، فالصبر يجمع تحمّل الشدائد والمصاعب، ولذلك كان قوله: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ بمنزلة التذييل.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إيماء إلى منفعة للصبرِ إلهيةٍ، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالاً لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ إلى آخر الآية تتميم في الوصية وعدة مؤنسة)) (٢).

٢ــ قال الرازي: ((ثم قال تعالى ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ والمقصود أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر فأمرهم بالصبر)) (٣).

٣ــ قال البقاعي: ((ثم ختم هذه الأسباب بالجامع لشملها الناظم لمقاصد أهلها فقال؛ ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ أي على ما يكون من تلك المشاق فإنكم إن تكونوا تألمون فإن أعداءكم كذلك، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجون؛ ثم علله بما يكون النصر في الحقيقة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي المحيط بصفات الكمال ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾)) (٤).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة الختام، فيذكر أنه لما أمرهم بأوامر أربعة هي: الثبات، وذكر الله، والطاعة، وعدم التنازع، أخبرهم بما يعينهم على ذلك وهو الصبر، ففي تلك الأوامر مشاق

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٢).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٧).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٤).

وشدائد فناسب أن يذيلها بالأمر بالصبر وبأنه مع الصابرين لأن منفعة الصبر ظاهرة في كل أمور الحياة، وهي الإعانة من رب العالمين.

وذكر ابن عطية بأنه إتمام لما أوصاهم به قبلاً من الثبات والذكر والطاعة وعدم الاختلاف، وإيناسًا لنفوسهم بأنه معهم.

وذكر الرازي أنه أمر بالصبر لأن كمال الجهاد يكون بالصبر.

وعند البقاعي أنه لما ذكر لهم أسباب النصر الأربعة، جاء بجماع ذلك كله وهو الصبر، فالصبر يجلب النصر، والنصر حقيقة لا يكون إلا من عند الله فهو مع الصابرين.

ومن خلال ما سبق بيانه تتفق المناسبات المذكورة في المعنى، فتكون المناسبة أنه لما أمرهم بالأوامر الأربعة، وبيّن لهم نتائج مخالفتها، أخبرهم بما يعينهم على التزامها وهو الصبر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان ما يحصل للمؤمن بذكره لله ﷻ من الاطمئنان والثبات والنصر عند اللقاء، فبذكره تعالى تجدد النيات، وتضمحل الشهوات، فتعظم النفوس على الدنيا، وتهون في سبيل الله، ويحصل الثبات، وتتبدد المخاوف؛ لأن الناصر وحده هو الله . وفيه دلالة على أهمية ذكر الله في الشدائد كلها، قال الألوسي : ((وذكره جل شأنه في مثل ذلك الموطن من أقوى أدلة محبته جل شأنه ، ألا ترى من أحب مخلوقًا مثله كيف يقول:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَشْرَبُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا بَرَقَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ(١)))(٢).

وتُقعّد الآيات أساسيات في الجهاد يحصل بها النصر والفلاح، وهي:

١ــ أسباب فردية معنوية وعملية: الثبات وعدم التولي، وذكر الله تعالى باللسان والقلب.

٢ــ أسباب جماعية: الطاعة لله ورسوله، ترك النزاع والاختلاف.

٣ــ الصبر في كل الأحوال، لأن جميع الأسباب الفردية والجماعية، فيها نوع من المشقة، يحتاج إلى صبر.

---

(١) ديوان عنترة بن شداد (١/ ١٧٦).

(٢) روح المعاني (٦/ ١٩).

٢٨ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((جملة: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ معطوفة على ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ ﴾ (٢) عطف نهي على نهي.

ويصحّ أن تكون معطوفة على جملة ﴿ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ (٣) عطف نهي على أمر، إكمالاً لأسباب النجاح والفوز عند اللقاء، بأن يتلبسوا بما يدنيهم من النصر، وأن يتجنّبوا ما يفسد إخلاصهم في الجهاد.

وجِيء في نهيهم عن البطَر والرئاء بطريقة النهي عن التشبّه بالمشركين إدماجًا للتشنيع بالمشركين وأحوالِهم، وتَكريهًا للمسلمين تلكَ الأحوالَ، لأنّ الأحوال الذميمة تتّضح مذمتها، وتنكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكشف لقُبْح المنهي عنه)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما ذكّرهم سبحانه ما أوجب نصرهم آمراً لهم بالثبات عليه، ذكر لهم حال أعدائهم الذي أوجب قهرهم ناهياً عنه تعريضاً بحال المنازعة في الأنفال وأنها حال من يريد الدنيا، ويوشك – إن تمادت – أن تجر إلى مثل حال هؤلاء الذي محط نظرهم الدنيا فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ أي يا معشر المؤمنين ﴿كَٱلَّذِينَ ﴾ وصوّر قبح عملهم من أوله إلى آخره)) (٥).

---

(١) الآية (٤٧) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٥) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٢٥).

من خلال ما سبق يربط الطاهر هذه الآية بما قبلها بأنها إكمال لما سيق سابقًا من أسباب النصر، ففي هذه الآية دعاهم إلى اجتناب ما يشوب إخلاصهم في الجهاد؛ فنهاهم عن البطر والرئاء الذي هو حال الكفار في غزوة بدر.

وذكر البقاعي أنه تعالى لما بيّن لهم أسباب النصر وأمرهم بالثبات، ساق لهم حال عدوهم في غزوة بدر مذكرًا إياهم بحالهم عند تنازعهم في الأنفال، فتلك الحال حال من شاب إخلاصه دنيا وشهوات ويكاد يشابه حال هؤلاء الكفار.

ومما سبق بيانه تتقارب المعاني السابقة، ويمكن القول بأنه لما بيّن أسباب النصر، شرع يدعو إلى الابتعاد عن كل ما يشوب الإخلاص في الجهاد، من البطر والرياء الذي هو حال الكفار يومئذ. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾: ((تذكير للمسلمين بصريحه، ووعيد للمشركين بالمعنى الكنائي، لأنّ إحاطة العلم بما يعملون مجاز في عدم خفاء شيء من عملهم عن علم الله تعالى، ويلزمه أنّه مجازيهم عن عملهم بما يجازي به العليمُ القدير مَن اعتدى على حُرمه))⁽¹⁾.

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: ((ثم ختم هذه الآية بقوله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ والمقصود أن الإنسان ربما أظهر من نفسه أن الحامل له والداعي إلى الفعل المخصوص طلب مرضاة الله تعالى مع أنه لا يكون الأمر كذلك في الحقيقة فبيّن تعالى كونه عالمًا بما في دواخل القلوب وذلك كالتهديد والزجر عن الرئاء والتصنع))⁽²⁾.

ومما سبق نقله، تتلخص مناسبة كليهما في أنه تعالى لما حذّرهم من حال هؤلاء الكفار وما فيه من المراءاة والمفاخرة ناسب أن يختم هذه الآية بعلمه المحيط، فيخلُص عملهم، وتسلم نياتهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

ضرورة إخلاص جميع الأعمال لله تعالى، وأن ذلك سبب من أسباب النصر، فلا خروج لسمعة، ولا لرياء، ولا لمفخرة، ولا لأي نوال دنيوي، فالله تعالى مطلع على ما في النفوس، محيط بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء.

---

(1) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٤).

(2) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٩).

٢٩ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((﴿ وَإِذْ زَيَّنَ ﴾ عطف على ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ (٢) الآية. وما بينهما اعتراض، رُتّب نظمه على أسلوبه العجيب؛ ليقع هذا الظرف عقب تلك الجمل المعتَرضة، فيكون له إتمام المناسبة بحكاية خروجهم وأحوالِه، فإنّه من عجيب صنع الله فيما عرض للمشركين من الأحوال في خروجهم إلى بدر، ممّا كان فيه سبب نصر المسلمين، وليقع قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ (٣) عَقِب أمر المسلمين بما ينبغي لهم عند اللقاء، ليجمع لهم بين الأمر بما ينبغي والتحذير ممّا لا ينبغي، وترك التشبه بمن لا يرتضَى، فيتمّ هذا الأسلوب البديع المحكمُ الانتظام)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن هذا من جملة النعم التي خص أهل بدر بها)) (٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان بيّن لهم فساد أعمالهم لفساد نياتهم تنفيرًا منها، زاد في التنفير بالإشارة إلى الأمر بدوام تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال؛ ﴿ وَإِذْ ﴾ فعلم أن التقدير قطعًا:

---

(١) الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٤) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٧) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٤).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٩).

اذكروا ذلك واذكروا إذ، وزاد في التنفير بذكر ا لعدو المبين والتنبيه على أن كل ما يأمر به إنما هو خيال لا حقيقة له كما كان ما سوّل لهم في هذا الأمر)) (١).

ذكر الطاه ر أن هذه الجملة معطوفة على ﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ ﴾(٢) وأن كل الآيات بعد ذلك معترضة بينهما، فإنه سبحانه ذكر سابقًا عجيب أحوال تلك الموقعة، ثم ذكر ما أمرهم به وما نهاهم عنه لينالوا النصر، ثم حذّرهم من مشابهة حال الكفار في البطر والرياء، ثم هنا أتمّ بيان حالة خروج الكفار وعجائب ما حدث فيها من قصة الشيطان، ليظهر أن كل ذلك كان بتدبيره تعالى لنصر المسلمين.

ويذكر الرازي أن هذه الآية تتمة لذكر نعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر.

أما البقاعي فيذكر أنه لما نفّر المؤمنين من حالة هؤلاء الكفار عند خروجهم للمعركة، أقبل هنا يزيد في تنفيرهم بذكر من كان عونًا لهؤلاء الكفار ومسولاً لهم وهو الشيطان عدو المؤمنين، وكأنّ البقاعي يشير إلى أحد مفسدات الإخلاص في الجهاد وهو الشيطان العدو المبين.

ومما سبق يربط ابن عاشور الآية بما تدور حوله السورة من التذكير بالله الناصر المعين، وهي من إضافاته.

ويربطها البقاعي بأسباب النصر التي جاءت في آيات تسبقها في السورة، فإنه لما ذكر أسباب النصر شرع يذكر أعداءه ومثبطاته، خاصة وأنه جاء في أول السورة إنعامه تعالى عن المؤمنين بصر ف الشيطان عنهم، وهو ما يبدو أوفق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

عجيب صنع الله تعالى وقدرته المطلقة في تهيئة النصر، والتأكيد على أنه بيده أسباب النصر كلها.

وأيضًا الإشارة إلى أحد أعداء الإخلاص، وأسباب عدم النصر: وهو الشيطان بما يوسوس في صدور بني آدم من تثبيط وتخذيل.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٢٦ _ ٢٢٧).

(٢) جزء من الآية (٤٤) من سورة الأنفال.

٣٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((وإنّما تُطلب المناسبة لذكر هذا الخبر عقب الذي وَليه هو، وتلك هي أنّ كلا الخبرين يتضمّن قوّة جيش المشركين، وضعف جيش المسلمين، ويقينَ أولياء الشيطان بأنّ النصر سيكون للمشركين على المسلمين . فالخبر الأول عن طائفة أعانت المشركين بتأمينهم من عدوّ يخشونه فانحازت إليهم علنًا، وذلك يستلزم تقبيح ما أقحم المسلمون فيه أنفسهم إذ عمدوا إلى قتال قوم أقوياء . والخبر الثاني: عن طائفتين شوَّهتا صنيع المسلمين حَمَّقتَاهُم ونَسَبَتاهم إلى الغرور فأسرّوا ذلك ولم يبوحوا به، وتحدّثوا به فيما بينهم، أو أسرّوه في نفوسهم.

فنَظْم الكلام هكذا: وزيَّن الشيطان للمشركين أعمالهم حين كان المنافقون يقبحون أعمال المسلمين ويصفونهم بالغرور وقلّة التدبير من اعتقادهم في دينهم الذي أوقعهم في هذا الغرور ويجول في نفوس الذين في قلوبهم مرض مثل هذا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ليس فيه عطف لهذا الكلام على ما قبله، بل هو كلام مبتدأ منقطع عما قبله))(٣).

---

(١) الآية (٤٩) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٧).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤١).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما استوفى ما كان يقطع به في حق أولئك مما هو من أنفسهم ومما هو من تزيين الشيطان، أبدل منه ما كان يقطع به في حقهم من أهل الجهل بالله وبأيامه الماضية وآثاره عند أوليائه وأعدائه)) (١).

من المنقول السابق، تعرض الطاهر لمناسبة هذه الآية ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٢) ووجه اتصالها بها أن في كلتا الآيتين إشعار بقوة جيش المشركين ، ويقينهم بأن النصر حليفهم لقلة جيش المسلمين. ففي الآية الأولى إخبار عن الحلفاء والمعاونين لقريش في العلن وبالتالي يظهر أن المسلمين أوقعوا أنفسهم في مأزق وهو قتال جيش قوي لا يقدرون على مجابهته، وفي الآية الثانية إخبار عن فئتين حليفتين في الخفاء، هما: المنافقون والذين في قلوبهم مرض، وإسرارهم في تقبيح خروج المسلمين للقتال.

وذكر الرازي أنه ابتداء كلام . أما البقاعي فيذكر أنه لما ذكر حال هؤلاء الكفار وما جزموا به من انتصارهم لا محالة وما زيّنه لهم الشيطان، ذكر طائفتين شبيهتين بحالهم هما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فهذين شابهوا قريشًا في جهلهم بالله تعالى وسنته في نصر أوليائه وخذلان أعدائه .

وما ذكره الطاهر أقرب لواقع المعركة، حيث تصوّر الآيات حال هؤلاء الكفار مع حلفائهم ثم انهزامهم شرّ هزيمة رغم تحالفهم وتضافر كل القوى معهم. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: ((معطوفة على جملة: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٣) لأنّها من جملة الأخبار المسوقة ؛ لبيان عناية الله تعالى بالمسلمين، وللامتنان عليهم ، فالمناسبة بينها وبين الجملة التي قبلها : أنها كالعلّة لخيبة ظنون المشركين ونصرائهم، أي أنّ الله خيّب ظنونهم لأنّ المسلمين توكّلوا عليه وهو عزيز لا يغلب، فمن تمسك بالاعتماد عليه نصره، وهو حكيم يكوّن أسباب النصر من حيث يجهلها البشر)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقد يحتمل أن يكون منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش في قوة عظيمة قالوا عن المسلمين هذه المقالة، فأخبر الله بها نبيه في هذه الآية ، ثم أخبر الله عَزَّوَجَلَّ من توكل على الله واستند إليه

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٢٨).

(٢) جزء من الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٨).

فإن عزة الله تعالى وحكمته كفيلة بنصره ، وشد أعضاده ، وخرجت العبارة عن هذا المعنى بأوجز لفظ وأبلغه)) (١).

٢ـ قال أبو حيان : ((هذا يتضمن الردّ على من قال ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ ﴾ فكأنه قيل: هؤلاء في لقاء عدوّهم هم متوكلون على الله، فهم الغالبون، ومن يتوكل على الله ينصره، ويعزّه فإن الله عزيز لا يغالب بقوة ولا بكثرة ، حكيم يضع الأشياء مواضعها أو حاكم بنصره من يتوكل عليه ، فيديل القليل على الكثير)) (٢).

٣ـ قال الألوسي: ((﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ جواب لهم ورد لمقالتهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب لا يذل من توكل عليه ولا يخذل من استجار به وإن قلّ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفحول)) (٣).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة هذه الجملة لما قبلها، فهو لما بيّن تزيين وإغراء الشيطان للمشركين، ومقولة المنافقين المستهزئة، جاء على ذكر التوكل لبيان عنايته بالمسلمين، وتخييب ظن المشركين وأعوانهم.

واتفق معنى ما ذكره ابن عطية مع ما ذكره الطاهر، ولم تختلف المناسبات التي ذكرها المفسرون إلا قليلاً، فذكروا أنها جواب لمقولة المنافقين، ولم يصرحوا بذكر المناسبة، أما الطاهر فقد تفرد بذكر المناسبة والنص عليها صراحة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

الإشارة إلى أعداء الأمة الإسلامية في الخفاء، وهما : المنافقون والذين في قلوبهم مرض . ولو تحالفت قوى الشرّ جميعها فإن الله ناصر عباده وأوليائه فليتوكلوا عليه حق التوكل.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٩).

(٢) البحر المحيط (٤/ ٥٠١).

(٣) روح المعاني (٦/ ٢٢).

٣١_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لَمّا وُفِّيَ وصفُ حال المشركين حقَّه، وفصّلت أحوال هزيمتهم ببدر، وكيف أمكن الله منهم المسلمين، على ضُعف هؤلاء وقوة أولئك، بما شاهده كلّ حاضر حتّى ليوقن السامع أنّ ما نال المشركين يومئذ إنّما هو خذلان من الله إيّاهم، وإيذان بأنّهم لاقون هلاكهم ما داموا مناوئين لله ورسوله، انتُقِل إلى وصف ما لقيه من العذاب مَنْ قُتل منهم يوم بدر، ممّا هو مغيب عن الناس، ليعلم المؤمنون ويرتدع الكافرون، والمراد بالذين كفروا هنا الذين قتلوا يوم بدر، وتكون هذه الآية من تمام الخبر عن قوم بدر.

ويجوز أن يكون المراد بالذين كفروا جميع الكافرين حملاً للموصول على معنى العموم فتكون الآية اعتراضًا مستطردًا في خلال القصّة بمناسبة وَصف ما لقيه المشركون في ذلك اليوم، الذي عجّل لهم فيه عذاب الموت)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار، شرح أحوال موتهم والعذاب الذي يصل إليهم في ذلك الوقت)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر ما سرّهم من حال أعدائهم المجاهرين والمساترين في الدنيا مرصعًا ذلك بجواهر الحكم وبدائع الكلم التي بملازمتها تكون السعادة وبالإخلال بها تحل الشقاوة، أتبعه ما يسرّهم من حال أعدائهم عند الموت وبعده)) (٤).

من خلال السابق يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، فإنه تعالى لما استوفى وصف أحوال الكافرين، وخذلانهم يوم بدر، انتقل إلى ذكر أحوالهم بعد موتهم والعذاب الذي يلاقونه. وهذه من تفرداته.

وذكر الطاهر في قوله الثاني أنها اعتراض مستطرد خلال القصة بمناسبة وصف المشركين.

---

(١) الآية (٥٠) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٩).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٢).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٨).

والقول الأول أنسب للسياق دون الثاني، ووافقه الرازي والبقاعي في قوله الثاني بعبارتهما. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لجزاء الكافرين في الآخرة بعد بيانه لجزائهم في الدنيا، وفيه الكشف عن أمور غيبية ، تزيد من يقين المؤمنين، ونكاية في المشركين.

٣٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف بياني. والإشارة إلى مضمون قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (٢) أي ذلك المذكور بسبب أنّ الله لم يك مغيّرًا إلخ أي ذلك الأخذ بسبب أعمالهم التي تسببوا بها في زوال نعمتهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل : فما له يمهلهم ولا يعالجهم بالأخذ قبل النكاية في أوليائه وأهل وده وأصفيائه؟ قال : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي الأخذ على هذه الحالة ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي بسبب أنهم غيروا ما في أنفسهم، وقد كان له سبحانه أن يأخذهم قبل أن يغيروا لعلمه بما في ضمائرهم، ولكنه تعالى أجرى سنته الإلهية لتمام علمه وكمال قدرته وإحاطته بجميع صفات الكمال...)) (٤).

٢_ قال الألوسي: ((﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما يفيده النظم الكريم من كون ما حلّ بهم من العذاب منوطًا بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه)) (٥).

من خلال السابق يظهر توافق معنى ما ذهب إليه المفسرون في مناسبة هذه الآية لما قبلها، فقد ذكر الطاهر أن الآية مستأنفة لبيان سنة إلهية، فقد جرت سنته سبحانه أنه لا يغير على قوم نعمة ومنحة حتى يغيروا ما في أنفسهم وما يكسبوه بأعمالهم التي توجب أخذهم.

وحملت مقالات البقية المعنى نفسه، فتكون المناسبة أنه لما ذكر قوم فرعون وما كانوا فيه من نعم غيّرها الله بالنقم، بيّن هنا سبب ذلك وهو أنه تعالى أنعم عليهم فقابلوا ذلك الإنعام بالكفر والفسق، فغيّر الله حالهم لما غيروا ما بأنفسهم . وهذا إنذار لقوم قريش الذين قابلوا نعمة وجود محمد ﷺ بينهم بالكفر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٤٤).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣١).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٦).

تقرير سنة إلهية مهمة، وقاعدة ربانية جارية، أن التغيير إما سبب للنجاة وإما سبيل للهلاك . وأنه تعالى لا يأخذ بشديد العقاب حتى يظهر من الإنسان ما يدعو لذلك.

٣٣_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((تكرير لقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ ﴾ (٢) المذكور قبله لقصد التأكيد والتسميع، تقرير للإنذار والتهديد، وخولف بين الجملتين تفنّنًا في الأسلوب، وزيادة للفائدة، بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك، وهما سببان للأخذ والإهلاك كما قدّمناه آنفًا.

وذكر وصف الربوبية هنا دون الاسم العلم لزيادة تفظيع تكذيبهم، لأنّ الاجتراء على الله مع ملاحظة كونه ربًّا للمجترىء، يزيد جرَاءته قبحًا لإشعاره بأنّها جراءة في موضع الشكر، لأنّ الربّ يستحقّ الشكر. وعبّر بالإهلاك عوض الأخذ المتقدّم ذكره ليفسّر الأخذ بأنّه آل إلى الإهلاك، وزيد الإهلاك بيانًا بالنسبة إلى آل فرعون بأنّه إهلاك الغرق)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((وهذا التكرير هو لمعنى ليس للأول إذ الأول دأب في أن هلكوا لما كفروا وهذا الثاني دأب في أن لم تغير نعمتهم حتى غيروا ما بأنفسهم)) (٤).

٢_ قال الرازي: ((أنه تعالى ذكر مرة أخرى قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ ﴾ ذكروا فيه وجوهًا كثيرة: الأول: أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول ، لأن الكلام الأول فيه ذكر أخذهم، وفي الثاني ذكر إغراقهم وذلك تفصيل.

والثاني: أنه أريد بالأول ما نزل هم من العقوبة في حال الموت ، وبالثاني ما يترل هم في القبر في الآخرة.

الثالث: أن الكلام الأول هو قوله ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ والكلام الثاني هو قوله ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فالأول إشارة إلى أهم أنكروا الدلائل الإلهية ، والثاني إشارة إلى أنه سبحانه رباهم وأنعم عليهم بالوجوه الكثيرة، فأنكروا دلائل التربية والإحسان مع كثرها وتواليها عليهم ، فكان الأثر اللازم من الأول

---

(١) الآية (٥٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٤٦).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥٤١).

هو الأخذ والأثر اللازم من الثاني هو الإهلاك والإغراق، وذلك يدل على أن لكفران النعمة أثرًا عظيمًا في حصول الهلاك والبوار)) (١). وذكر أبو حيان كلامًا شبيهًا فلينظر(٢).

٣ــ قال البقاعي: ((ثم كرر قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾... لدقيقة، وهي أنه قد تقدم أنه ما من أمة إلا ابتليت بالضراء والسراء، فالأولى ينظر إليها مقام الإلهية الناظر إلى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام، والثانية ثمرة مقام الربوبية الناشيء عنه التودد والرحمة والرأفه والإكرام، لذا عبّر في الأولى باسم الذات الجامع لجميع الصفات الذي لفظه - عند من يقول باشتقاقه - موضوع لمعنى الإلهية إشارة إلى أنهم أعرضوا في حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجلد والإصرار، ولذا عبّر في هذه الثانية باسم الرب فقال: ﴿كَذَّبُواْ﴾ أي عنادًا زيادة على تغطية ما دلّ عليه العقل بالتكذيب بالنقل ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم وتكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل.

ولما أشار بالتعبير به إلى أنه غرّهم معاملته بالعطف والإحسان، قال: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ أي جميعًا ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ فأتى بنون العظمة إشارة إلى أنه أتاهم بما أنساهم ذلك البر ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وإشارة إلى أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة والنقمة وإلا لم تتم ربوبيته)) (٣).

٤ــ قال الألوسي: ((استئناف آخر على ما ذكره بعض المحققين مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذًا مما نطق به قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾ الخ أي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب أولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله سبحانه: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم، وأشير بلفظ الرب إلى أن ذلك التغيير كان بكفران نعمه تعالى لما فيه من الدلالة على أنه مربيهم المنعم عليهم وقوله سبحانه: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته جل شأنه.

---

(١) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٥).

(٢) البحر المحيط (٤/ ٥٠٣).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٣١ ــ ٢٣٢).

وفي الإهلاك رمز إلى التغيير ولذا عبّر به دون الأخذ المعبر به أولاً وليس الأخذ مثله في ذلك ألا ترى أنه كثيرًا ما يطلق الإهلاك على إخراج الشيء عن نظامه الذي هو عليه ولم نر إطلاق الأخذ على ذلك ، وقيل: إنما عبر أولاً بالأخذ وهنا بالإهلاك لأن جنايتهم هنا الكفران وهو يقتضي أعظم النكال)) (١).

من خلال المنقول السابق من مناسبات، نجد الطاهر يذكر مناسبةَ تكرير الآية بنظم مختلف عن أختها، فذكر أن سبب هذا التكرير هو التأكيد، والإسماع لمن لم يعي بعد، والتقرير والتهديد بأن الكفر والتكذيب سببان للأخذ والهلاك.

وفي مقارنة بين نظم هذه الآية والتي تكررت عنها قبلاً، يذكر الطاهر أنه عبّر هنا بالربوبية على عكس الأولى بالاسم العلم؛ لزيادة فظاعة تكذيبهم، واجترائهم على مربيهم بنعمه الذي يستحق الشكر، فكفروا نعمته بدل أن يشكروها.

وفي تعبيره بالهلاك في هذه وفي الأولى بالأخذ؛ ذكر الطاهر أنه لإيضاح مآل ذلك الأخذ وهو الإهلاك، ثم بيّن أن ذلك الإهلاك في حق آل فرعون هو الإغراق.

وذكر ابن عطية أن فائدة التكرير معنى غير المعنى الأول، فالأول حال مَن أُهلكوا لكفرهم، والثاني حال مَن لم تُغيّر نعمتهم حتى غيرّوا ما بأنفسهم.

وذكر الرازي عدة وجوه للتكرير، أولها : أن الآية الثانية جاءت بتفصيل الأخذ الذي جاء في الآية الأولى وهو الإغراق. وفي هذه اتفق معه الطاهر.

ثانيها: أن الآية الأولى بيان لعقوبتهم حال الموت، والثانية حال القبر في الآخرة.

ثالثها: أنه في الأولى ذكر الأولوهية فأنكروا دلائلها، وفي الثانية ذكر الربوبية فأنكروا نعمه وإحسانه وتوالي خيراته. فأخذهم في الأولى لمناسبته، وأهلكهم وأغرقهم في الثانية. وأيضًا وافقه الطاهر في هذه.

ويربطها البقاعي بأن في الآية الأولى مقام الإلهية وهو مقام العظمة والقهر والانتقام، وفي الثانية مقام الربوبية وهو مقام الإنعام والإحسان والرحمة، لذا في الأولى جاء بلفظ الجلالة (الله) الجامع لجميع الصفات مشيرًا بذلك لإعراضهم وعدم تصديقهم بالآيات، وفي الثانية عبّر باسم الرب لما كذبوا بما جاء به الرسل وعاندوا وبطروا بالنعم. وكلامه قريب جدًا من معنى كلام ابن عاشور والرازي.

وجعلها الألوسي استئنافًا مسوقًا لتقرير الاستئناف في الآية الأولى بتشبيه حال الكفار بحال آل فرعون، فلما غيروا حالهم بالتكذيب غيّر الله نعمته عليهم، والتعبير بلفظ الرب دلالة على كفرانهم لتلك النعم،

---

(١) التحرير والتنوير (٦/ ٢٧ ــ ٢٨).

فالرب هو الذي يربي عباده بنعمه . وتعبيره بالإهلاك هنا لأن فعلهم وهو كفر النعمة يستحق أشد العذاب.

ومما سبق لا تختلف المناسبات المذكورة إلا في يسير العبارات، وتكون المناس بة أنه كرر هنا هذه الآية للتأكيد والتقرير على أن الكفر والتكذيب من أسباب الأخذ والهلاك، وأنه عبّر هنا بالربوبية لأنه في سياق نكران النعمة للرب المربي المنعم وناسبه أن يكون عقابه هو الإهلاك، وعبّر في الأولى بالألوهية لأنه في مقام ذكر كفرهم وناسبه أن يكون عقابه هو الأخذ. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الله تعالى هو مربي عباده بالنعم والإحسان، ووجوب شكر الله تعالى على هذه النعم، وأن جحدها وكفرها يستوجب الهلاك والعذاب الشديد من الله تعالى.

٣٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي انتقل به من الكلام على عموم المشركين إلى ذكر كفّار آخرين هم الذين بينّهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾ الآية.

وهؤلاء عاهدوا النبي ﷺ وهم على كفرهم، ثم نقضوا عهدهم، وهم مستمرّون على الكفر، وإنّما وصَفَهم بـــ ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ لأنّ دعوة الإسلام أظهر من دعوة الأديان السابقة، ومعجزةَ الرسول ﷺ أسطع، ولأنّ الدلالة على أحَقّية الإسلام دلالة عقلية بيّنة، فمَن يجحده فهو أشبَه بما لا عقلَ له ، وقد اندرج الفريقان من الكفّار في جنس ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما وصف كل الكفار بقوله ﴿وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ (٣) أفرد بعضهم بمزية في الشر والعناد فقال ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حكمه وعلمه من حصلت له صفتان، الصفة الأولى: الكافر الذي يكون مستمرًا على كفره مصرًا عليه لا يتغير عنه البتة . الصفة الثانية: أن يكون ناقضاً للعهد على الدوام)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما أخبر سبحانه بهلاكهم، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك فقال : ﴿وَكُلّٞ﴾ أي من هؤلاء ومن تقدمهم من آل فرعون ومن قبلهم ﴿كَانُواْ﴾ أي جبلة وطبعاً ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ أي لأنفسهم

---

(١) الآيتان (٥٥_ ٥٦) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٤٦ _ ٤٧).

(٣) جزء من الآية (٥٤) من سورة الأنفال.

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٥ _ ١٤٦).

وغيرهم واضعين الآيات في غير مواضعها وهم يظنون بأنفسهم العدل؛ ثم علل اتصافهم بالظلم أو استأنف بياناً له بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾)) (١).

٣ــ قال الألوسي: ((وهذا شروع في بيان أحوال سائر الكفرة بعد بيان أحوال المهلكين منهم)) (٢).

ومما سبق يذكر الطاهر مناسبة هذه الآيات لما قبلها، فالكلام هنا مستأنف للابتداء، انتقل به من الحديث عن عموم الكافرين إلى طائفة منهم معينة وهم الكفار الذين نقضوا العهد (بنو قريظة(٣))(٤). وذكر أنه وصفهم بشر الدواب لانتفاء العقل عنهم لجحودهم رغم جميع الدلائل العقلية على أحقية الإسلام، بالتالي اندرج فريقا الكفار في وصف شر الدواب.

ويذكر الرازي مناسبة بديعة، فإنه تعالى لما ختم الآية السابقة بوصف جميع الكفار بالظلم، أتبع ذلك بأن وصف طائفة منهم بشر الدواب في هذه، لأنهم بعد كل الآيات والدلائل فهم مستمرون على كفرهم معاندون، ناكثون لعهودهم دائمين.

وذكر البقاعي أنه لما وصفهم في الآية السابقة بالظلم علل اتصافهم به أنهم شر الدواب، أو أنه استأنف مبينًا صفة أخرى وهي أنهم شر الدواب.

أما الألوسي فذكر أنه لما بيّن حال المهلكين من الكافرين، شرع هنا في بيان حال سائر الكفار.

ومن خلال ما سبق، جعلها الطاهر مستأنفة للابتداء، واتفق الرازي والبقاعي في قوله الثاني أنها تتمة لما ذُكر من أوصاف فيما سبق، وتعليل لوصفهم بالظلم، وذكر البقاعي أيضًا أنها مستأنفة بيانيًا.

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٣٢).

(٢) روح المعاني (٦/ ٢٩ــ ٣٠).

(٣) من قبائل اليهود التي سكنت المدينة، وقد خانوا العهد مع المسلمين لما تحالفوا مع الأحزاب في غزوة الخندق . انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢٥٧/٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٢)، التفسير الكبير (١٥/ ١٤٦)، البحر المحيط (٤/ ٥٠٣ ــ ٥٠٤)، روح المعاني (٦/ ٣٠)، التحرير والتنوير (١٠/ ٤٧ــ ٤٨).

تكرار ذمّ المشركين ومن شاكلهم خلال السورة تنبيهًا لقبح حالهم وسوء مآلهم، وأن من صفاقم الدائمة عنادهم وإصرارهم على الكفر ونقضهم للعهد، لتحذر الأمة الإسلامية من أن تأمنهم.

٣٥_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف حكم عام لمعاملة جميع الأقوام الخائنين بعد الحكم الخاصّ بقوم معينين الذين تلوح منهم بوارق الغدر والخيانة، بحيث يبدو من أعمالهم ما فيه مخيلة بعدم وفائهم، فأمَره الله أن يردّ إليهم عهدهم، إذ لا فائدة فيه وإذ هم ينتفعون من مسالمة المؤمنين لهم، ولا ينتفع المؤمنون من مسالمتهم عند الحاجة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((والذي يظهر من ألفاظ القرآن أن أمر بني قريظة قد انقضى عند قوله ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ (٣) ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية بأمره بما يصنعه في المستقبل مع من يخاف منه خيانة إلى سالف الدهر)) (٤).

---

(١) الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٥١).

(٣) جزء من الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٣).

٢ــ قال أبو حيان: ((الظاهر أنّ هذا استئناف كلام أخبره الله تعالى بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة إلى سالف الدهر))(١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه، أرشده إلى ما يفعل بمن خاف غدره))(٢).

٤ــ قال الألوسي: ((بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل))(٣).

من خلال ما نُقل سابقًا، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فالمناسبة هي أنه لما ذكر ما كان من بني قريظة ونقضهم للعهد، والحكم الذي نزل فيهم جراء فعلتهم، عطف عليه هنا أحكامًا عامة يُعمل بها مع جميع الخائنين إذا لاحت بادرة خيانة للمسلمين . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تحذير الأمة من الأقوام المتوقع خيانتها ونبذها للعهود، وبيان الأحكام الإلهية في التعامل مع هكذا موقف.

وبيان إحاطة الإسلام الشاملة بكل أمور الأمة، ومنها وضعه قواعد للحرب كفيلة بحفاظ مصالح الأمة الإسلامية، ورعاية لها من أن تُؤخذ على حين غرة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾: ((تذييل لما اقتضته جملة ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ إلخ تصريحًا واستلزامًا. والمعنى: لأنّ الله لا يحبّهم، لأنّهم متّصفون بالخيانة فلا تستمرَّ على عهدهم فتكون معاهدًا لمن لا يحبّهم الله؛ ولأنّ الله لا يحبّ أن تكون أنت من الخائنين كما قال تعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾(٤) في سورة

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٥٠٤).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٥).

(٣) روح المعاني (٦/ ٣١).

(٤) الآية (١٠٧) من سورة النساء.

النساء. وذكر القرطبي عن النحّاس(١) أنّه قال: هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه (٢).

قلت: وموقع (إنّ) فيه موقع التعليل للأمر برد عهدهم ونبذه إليهم فهي مغنية غناء فاء التفريع كما قال عبد القاهر، وتقدّم في غير موضع وهذا من نكت الإعجاز)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((وظاهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أن يكون تعليلاً لقوله ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾ أي: فانبذ إليهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ على تبعد من الخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ ويحتمل أن يكون طعنًا على الخائنين الذين عاهدهم الرسول)) (٤).

٢ــ قال الألوسي: ((تعليل للأمر بالنبذ باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرًا للنبي ﷺ منها.

وجوز أن يكون تعليلاً لذلك باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فتكون حثًا له ﷺ على النبذ أولاً وعلى قتالهم ثانياً، كأنه قيل: وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم ثم قاتلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم، والأول هو المتبادر، وعلى كلا التقديرين المراد من نفي الحب إثبات البغض إذ لا واسطة بين الحب والبغض بالنسبة إليه تعالى)) (٥).

يذكر الطاهر من خلال المنقول سابقًا مناسبة هذا التذييل للآية، فبعد أن بيّن تعالى أحكام مَن يُخشى خيانته، عقّب بنفيه حب الخائنين، وجاء ذاك التعقيب صريحًا لأن الله لا يحب أن يكون الرسول ﷺ معاهدًا لمن لا يحبهم الله لخيانتهم عهدهم، فيستلزم ذلك أن يُنهي الرسول ﷺ العهد معهم، ولكي لا يكون من الخائنين أيضًا.

---

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري أبو جعفر ، كان من الفضلاء، له تصانيف مفيدة منها : تفسير القرآن الكريم، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، (ت ٣٣٨هــ). انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣٧)، طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٧٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٨/ ٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٠ / ٥٣).

(٤) البحر المحيط (٤/ ٥٠٥).

(٥) روح المعاني (٦/ ٣١).

ويذكر أبو حيان أن مناسبة الختم إما التعليل لردّ النبي ﷺ عليهم عهودهم لأنهم خائنون، وإما للطعن والذم في هؤلاء الخائنين . وذهب الألوسي لما ذكره أبو حيان بعبارته . والمراسبات التي ذكروها جميعًا متقاربة المعنى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان كرهه تعالى للخائنين في جميع الأمور، والتحذير من أن يكون المسلم منهم.

٣٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((تسلية النبي ﷺ على ما بدأه به أعداؤه من الخيانة مثل ما فعلت قريظة، وما فعل عبد الله بن أبي سلول (١) وغيرهم من فلول المشركين الذين نجوا يوم بدر، وطمأنة

---

(١) الآية (٥٩) من سورة الأنفال.

له وللمسلمين بأنّهم سيدالون منهم، ويأتون على بقيتهم، وتهديد للعدوّ بأنّ الله سيمكّن م نهم المسلمين)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن ما يفعل الرسول في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه وذكر أيضاً ما يجب أن يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد ، بيّن أيضاً حال من فاته في يوم بدر وغيره ، لئلا يبقى حسرة في قلبه، فقد كان فيهم من بلغ في أذية الرسول عليه الصلاة والسلام مبلغًا عظيمًا)) [٣].

٢ـ قال البقاعي : ((ولما كان نبذ العهد مظنة الخوف من تكثير العدو وإيقاظه، وكان الإيقاع أولى بالخوف، أتبع سبحانه ذلك ما يجري عليه ويسلي عن فوت من هرب من الكفار في غزوة بدر فلم ي قتل و لم يؤسر)) [٤].

من خلال السابق تتفق معاني المناسبات التي ذكرها المفسرون في هذه الآية على اختلاف ألفاظهم ، فيذكر الطاه ر أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو التسرية عن قلب النبي ﷺ وتسلية فؤاده، وطمأنة له وللمؤمنين من بعده، وتهديد للكافرين وأعوانهم، فهو لم ا ذكر خيانتهم وما فعلوه من فظاعات، بيّن أنهم لن يفروا وينجوا بفعلتهم، فمن من نجا منهم يوم بدر فلا يظنن أنه غير مدرك هالك.

وقد وافق الطاهرُ الرازي، حيث ذكر الأخير أنه تعالى لما فصّل لرسوله ﷺ ما يفعله بالذين يحاربونه فيتمكن منهم ثم فيمن ينقضون العهد، جاء في هذه بذكر من لم يتمكن منهم المسلمون بأنهم مدركون لا يفوتون رب العزة والجلالة، وكل ذلك حتى لا يحزن رسوله ﷺ وتبقى حسرة في قلبه لفواتهم، لما ناله منهم من أذى وسوء. وذكر مثلهما البقاعيُّ بعبارة موجزة.

وتكون المناسبة جلية وهي ما ذهب إليه الطاهر ومن اتفق معهم في المعنى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لرحمة الله تعالى برسوله ﷺ وتسليته له ولعباده المؤمنين، ورفعته لشأنهم بأنه مدرك عدوهم ومتمكن منهم لا مفرّ، فلا يحزنون ولا يضيقون.

وتهديد للكافرين والخائنين على مرّ العصور، وإعلام لهم بعجزهم وانعدام حيلتهم في النجاة والفرار.

---

(١) عبد الله بن أبي ابن سلول، من بني عوف بن الخزرج، وكان رأس المنافقين، وإليه يجتمعون، قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره، وهو منافق من أحبار يهود. انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٣).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٧).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣٥).

٣٧_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر: ((عطف جملة: ﴿ وَأَعِدُّواْ ﴾ على جملة: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ ﴾ (١) أو على جملة: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ ﴾ (٢)، فتفيد مفاد الاحتراس (٣) عن مُفادها، لأنّ قوله: ﴿ وَلَا

---

(١) الآية (٦٠) من سورة الأنفال.

يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ يُفيد توهينًا لشأن المشركين، فتعقيبه بالأمر بالاستعداد لهم : لئلا يحسب المسلمون أنّ المشركين قد صاروا في مكنتهم، ويلزم من ذلك الاحتِراس أنّ الاس تعداد لهم هو سبب جعْل اللَّهِ إيّاهم لا يُعجزون اللَّهَ ورسوله، لأنّ الله هيّأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرّ د من صدر منه نقض العهد ، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار)) (٥).

٢ــ قال أبو حيان : ((لما اتفق في قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا تكميل آلة ، ولا عدة، وأمره تعالى بالتشريد، وبنبذ العهد للناقضين. كان ذلك سببًا للأخذ في قتاله ، والتمالؤ عليه، فأمره تعالى للمؤمنين بإعداد ما قدروا عليه من القوة للجهاد)) (٦). وذكر الرازي أيضًا هذا القول(٧).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتمادً ا على الوعد الصادق المؤيد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص دعوى العِدة والعُدة، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها، وليتبين الصادق في دعوى الإيمان من غيره)) (٨).

من خلال السابق يتعرض المفسرون لمناسبة هذه الآية لما قبلها، فيذكر ابن عاشور أنها معطوفة إما على ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ ﴾ (٩) أو على ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ (١٠)، وبذلك تفيد الاحتراس، فلما هوّن من شأن الكافرين وقلّل، أتبعه بأن أمر المؤمنين بالاستعداد لهم بكل ما عندهم، منبهًا إياهم على الأخذ بالأسباب ظاهرًا وباطنًا، فالاستعداد هو سبب جعل الله إياهم لا يعجزون .

---

(١) جزء من الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥٩) من سورة الأنفال.

(٣)الاحتراس هو: أن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام. انظر: التعريفات (١/ ٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٤ ــ ٥٥).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٨).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٥٠٦ــ ٥٠٧).

(٧) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٨).

(٨) نظم الدرر (٣/ ٢٣٥).

(٩) جزء من الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(١٠) جزء من الآية (٥٩) من سورة الأنفال.

وذكر الرازي أنه تعالى لما بيّن أحكام مَن نقضوا العهد ومِن ثم مَن خيف نقضهم ل ه، جاء في هذه بالأمر بالاعداد لهم.

أما أبو حيان فذكر أنهم لما خرجوا في غزوة بدر بدون عدة، ثم أمره بطرد الناقضين للعهد، كان ذلك مدعاة للكفار أن يقاتلوه ويتآلبوا عليه، فجاء في الآية بالأمر بالاستعداد لهم.

و لم يختلف معنى ما ذكره البقاعي عن معنى ما ذكر ه الطاهر ، فيذكر أنه تعالى لما وعدهم بالتمكن من الكافرين، ربما أدى هذا إلى اعتماد المؤمنين على الوعد وتركهم للمحاربة والمغالبة، خاصة ما وقع لهم يوم بدر من النصر على قلة عدتهم وعتادهم، فجاء في هذه بالأمر بالإعداد بكل ما يستطيعون، متخذين بذلك جميع أسباب النصر.

وقد اتفقت أقوالهم على معنيين قريبين، الأول ما ذهب إليه الطاهر ووافق في ذلك قول الرازي والبقاعي، والثاني ما ذهب إليه أبو حيان، وتكون مناسبة الفريق الأول أقرب لتعلقها المباشر بالآية السابقة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

الحث على الأخد بالأسباب، وعدم الاتكاء على الوعد، لأن هذا الوعد الرباني لن يتحقق بدون عمل بالأسباب.

وفيه تنبيه على ضرورة اتخاذ كافة الأسباب المعنوية والمادية في الجهاد، وعدم اقصاء أي جهد متوفر في الاستعداد.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وإذ قد كان إعداد القوَّةِ يستدعي إنفاقًا، وكانت النفوس شحيحة بالمال ، تكفّل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ ﴾ فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((ثم حضّ تعالى على النفقة في سبيل الله من جهاد وغيره)) (١).

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٧).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان أغلب معاني هذه الآية الإنفاق، لأن مبنى إعداد القوة عليه، رغب فيه بقوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ ﴾ أي من الأشياء وإن قلّ ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي طريق من له صفات الكمال من الجهاد وغيره ﴿ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ ﴾ أي أجره كاملاً في الدنيا والآخرة أوفى ما يكون مضاعفًا أحوج ما تكونون إليه)) (٢).

من خلال ما سبق نقله يتحد معنى ما ذهب إليه المفسرون، ويظهر أن عبارة الطاهر والبقاعي أنسب كونها في تحديد المناسبة. أما عبارة أبي حيان فليست تذكر المناسبة صراحة، ولكنها في المعنى نفسه.

وتكون المناسبة أنه لما أمر بالإعداد، كان ذلك يتطلب نفقة وأموالاً، لذا حثّ على الإنفاق وبيّن أنه يخلفه ويوفيه لمن أنفقه في سبيل الله. لذا رجح ابن عاشور أن معنى (سبيل الله) هو الجهاد. وذكر البقية أنه يدخل فيه الجهاد وغيره، وهذا القول أولى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

الحث على الإنفاق في سبيل الله، وأن الجهاد جهاد النفس والمال، فكان من أعظم الإنفاق الإعداد لإعلاء كلمة الله، ولا يقتصر ذلك على إعداد الجيوش فقط، بل يدخل فيه كل عمل إسلامي ومشروع يُقصد به وجه الله ونشر دينه، فالله تعالى يوفّي للمنفقين ما أنفقوه.

٣٨ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٣)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((انتقال من بيان أحوال معاملة العدوّ في الحرب: من وفائهم بالعهد، وخيانتهم، وكيف يحلّ المسلمون العهد معهم إن خافوا خيانتهم، ومعاملتهم إذا ظفروا بالخائنين،

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٥٠٩).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٦).

(٣) الآية (٦١) من سورة الأنفال.

والأمر بالاستعداد لهم؛ إلى بيان أحكام السلم إن طلبوا السلم والمهادنة، وكفّوا عن حالة الحرب. فأمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من السلم وأن يوافقوا من سأله منهم)) (١).

ثم قال في مناسبة ذكر التوكل في الآية : ((والأمر بالتوكّل على الله، بعد الأمر بالجنوح إلى السلم، ليكون النبي ﷺ معتمدًا في جميع شأنه على الله تعالى، ومفوّضًا إليه تسيير أموره، لتكون مدّة السلم مدّة تقوّ واستعداد، وليكفيه الله شرّ عدوّه إذا نقضوا العهد، ولذلك عُقب الأمر بالتوكّل بتذكيره بأنّ الله السميع العليم، أي السميع لكلامهم في العهد، العليمُ بضمائرهم، فهو يعاملهم على ما يعلم منهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أنه لما بيّن ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار ، بيّن بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح فالحكم قبول الصلح)) (٣).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان ضمان النصر والخلف في النفقة موجبًا لدوام المصادمة والبعد من المسالمة، أتبعه قوله أمرًا بالاقتصاد: ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾)) (٤).

ثم قال: ((ولما كان ذلك مظنة أن يقال: إنه قد عهد منهم من الخداع ما أعلم أنهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه فمسالمتهم خطر بغير نفع، لوح إلى ما ينافي ذلك بقوله : ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي الذي له مجامع العظمة فيما تعهده من خداعهم فإنه يكفيك أمره ويجعله سببًا لدمارهم ... ثم علل الأمر بالتوكل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم في ذلك بقوله : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ أي البالغ السمع، فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وغيره سرًّا كما يسمعه علانية ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم ما أعلنوه)) (٥).

من خلال السابق يتضح أن المناسبة التي ذكرها الجميع واحدة، فلما ذكر أحكام الحرب ناسب أن ينتقل إلى ذكر أحكام السلم.

وتعرّض الطاهر والبقاعي لمناسبة الأمر بالتوكل في هذه الآية، وهي أنه لما أمرهم بمسالمة من يطلب السلم، ناسب أن يعزز الاعتماد عليه سبحانه، بأن يتوكلوا على الله تعالى السميع العليم بكل ما يُدبّر في الخفايا، وما يمكن أن يكون وراء طلب السلم، فهو المعين الناصر على كل خداع وغدر. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٨).

(٢) المصدر السابق (١٠ / ٥٩).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣٧).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٣٧).

أثر المناسبة:

١_ شمولية أحكام الإسلام لشؤون السلم والحرب.

٢_ الإسلام دين السلام والعدل، فمن طلب من الكفار المسالمة سالمهم.

٣_ الأمر بالتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب.

٤_ بيان لفائدة السلم فهو فرصة للمسلمين للتقوّي والاستعداد.

٣٩_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا كان طلب السلم والهدنة من العدوّ قد يكون خديعة حربية، ليَغرُّوا المسلمين بالمصالحة ثمّ يأخذوهم على غرّة، أيقظ الله رسوله لهذا الاحتمال فأمره بأن يأخذ الأعداء على ظاهر حالهم، ويحملهم على الصدق، لأنّه الخُلق الإسلامي، وشأن أهل المُروءة، ولا تكون

---

(١) الآية (٦٢) من سورة الأنفال.

الخديعة بمثل نكث العهد، فإذا بعث العدوَّ كفرُهم على ارتكاب مثل هذا التسفّل، فإنّ الله تكفّل، للوفي بعهده، أن يقيه شرّ خيانة الخائِنين)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمر في الآية المتقدمة بالصلح ، ذكر في هذه الآية حكمًا من أحكام الصلح وهو أنهم إن صالحوا على سبيل المخادعة ، وجب قبول ذلك الصلح لأن الحكم يبنى على الظاهر لأن الصلح لا يكون أقوى حالاً من الإيمان ، فلما بيّنا أمر الإيمان على الظاهر لا على الباطن فههنا أولى)) (٢).

٢ــ قال البقاعي: ((ثم علل الأمر بالتوكل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم في ذلك بقوله : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ أي البالغ السمع، فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وغيره سرًا كما يسمعه علانية ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ أي البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم ما أعلنوه؛ ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾)) (٣).

من خلال ما سبق من منقول، يذكر ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها، فإنه لما ذُكر السلم والمصالحة، ويُحتمل أن تكون خدعة حربية من الأعداء، أتبع ذلك بتنبيه النبي ﷺ والمسلمين لهذا الأمر، وأمَرَ بأن يقْبل ظاهرهم لأن ذلك خُلق المسلمين، ولا يُهتم بخيانتهم لأن الله منجز له ﷺ وعده بالنصر والرعاية.

وقد وافق بقوله الرازي على اختلاف عباراتهما ، ولم يذهب البقاعي بعيدًا ، فذكر أنه ختم الآية قبلها بالأمر بالتوكل في السلم، والاعتماد على الله السميع العليم، ثم تعرّضت الآية التالية لكيدهم وخداعهم المحتمل فكان ذلك استهانة بمكرهم لأنه الله تعالى حسبهم. والمناسبات التي ذكروها معناها متفق، وتلائم السياق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

وجوب الأخذ بالظاهر وهي قاعدة إسلامية، وأدب كريم، وخلق فاضل، فلنا الظاهر والله يتولى السرائر. وبيان أن العمل بهذا الخلق مع الأعداء ليس غفلة من جانب المسلمين، بل نبّه تعالى المسلمين لأن يكونوا متيقظين مستعدين، والله حسبهم وكافيهم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦١).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٣٧).

٤٠_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

---

(١) الآية (٦٣) من سورة الأنفال.

قال الطاهر: ((ولذلك استأنف بعدَ قوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ ﴾ قوله: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ استئنافـًا ناشئًا عن مساق الامتنان به ذا الائتلاف، فهو بياني، أي: لو حاولت تأليفهم ببذل المال العظيم ما حصل التآلف بينهم)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ثم استأنف الإخبار بما دل على تعذر ألفتهم لولا هو فقال: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ ﴾))(٢).

٢ـ قال الألوسي: ((استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ ، والخطاب لكل واقف عليه لأنه لا مبالغة في انتفاء ذلك من منفق معين، وذكر القلوب للإشعار بأن التأليف بينها لا يتسنى وإن أمكن التأليف ظاهرًا ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ﴾ جلت قدرته ﴿ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ قلبـًا وقالبـًا بقدرته البالغة)) (٣).

من خلال المنقول السابق، اتفق المفسرون ـ رغم اختلاف تعبيراتهم اللفظية ـ على أن مناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنه لما ذكر تأييده لرسوله ﷺ بالمؤمنين، وتأليفه لقلوبهم بعد أن كانت على عداوة، استأنف مبينًا وممتنًا بأن ذلك فضل منه سبحانه، فإن أموال الدنيا كلها لو أُنفقت ما ألّفت بين القلوب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تقرير أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء (٤)، وبيان لتأثير الإيمان على القلوب، فإنه يمنعها من الإقبال على الدنيا، ويوردها الآخرة . فلما أنعم الله عليهم بالإيمان، توحدت قلوبهم وتآلفت، وتركوا الشقاق والنزاع.

ويمكن القول بأن هذا رجوع لأول السورة، عندما تنازعوا في النفل واختلفوا، فكان العلاج الأنجع هو تقوية الإيمان بالأوامر الثلاثة أول السورة، وبذكر صفات المؤمنين بعدها ليلتزموها.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٤).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٨).

(٣) روح المعاني (٦/ ٣٨).

(٤) حدثني زُهَيْرُ بن حَرْبٍ وبن نُمَيْرٍ كلاهما ، عن الْمُقْرِئِ قال زُهَيْرٌ: حدثنا عبد اللَّهِ بن يَزِيدَ الْمُقْرِئُ قال : حدثنا حَيْوَةُ، أخبرني أبو هَانِئٍ، أَنَّهُ سمع أَبَا عبد الرحمن الحبلى ، أَنَّهُ سمع عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ يقول : أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "إِنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحمن، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قال رسول اللَّهِ ﷺ: "اللهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ". أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (٤/ ٢٠٤٥)، رقم: [٢٦٥٤].

٤١ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)

---

(١) الآية (٦٤) من سورة الأنفال.

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي بالإقبال على خطاب الرسول ﷺ بأوامر وتعاليم عظيمة، مُهّد لقبولها وتسهيلها بما مضى من التذكير بعجيب صنع الله والامتنان بعنايته برسوله والمؤمنين، وإظهار أن النجاح والخير في طاعته وطاعة الله، من أوّل السورة إلى هنا، فموقع هذه الآية بعد التي قبلها كَامل الاتّساق والانتظام، فإنّه لمّا أخبره بأنّه حَسبه وكافيه، وبيّن ذلك بأنّه أيّده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين، فقد صار للمؤمنين حظّ في كفاية الله تعالى رسوله ﷺ فلا جرم أنتج ذلك أنّ حسبه الله والمؤمنون، فكانت جملة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ كالفذلكة للجملة التي قبلها. وتخصيص النبي بهذه الكفاية لتشريف مقامه بأنّ الله يكفي الأمّة لأجله)) (١).

ثم قال: ((وقد روي عن ابن عبّاس : أنّ قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ نزلت يوم أسلم عمر بن الخطاب. فتكون مكّيّة، وبقيت مقروءة غير مندرجة في سورة، ثم وقعت في هذا الموضع بإذن من النبي ﷺ لكونه أنسب لها. وعن النقّاش(٢) نزلت هذه الآية بالبيداء في بدر، قبل ابتداء القتال، فيكون نزولها متقدّمًا على أوّل السورة ثم جعلت في هذا الموضع من السورة (٣).

والتناسب بينها وبين الآية التي بعدها ظاهر مع اتّفاقهم على أنّ الآية التي بعدها نزلت مع تمام السورة فهي تمهيد لأمر المؤمنين بالقتال ليحقّقوا كِفايتهم الرسول)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما وعده بالنصر عند مخادعة الأعداء، وعده بالنصر والظفر في هذه الآية مطلقاً على جميع التقديرات وعلى هذا الوجه لا يلزم حصول التكرار ، لأن المعنى في الآية الأولى ، إن أرادوا خداعك كفاك الله أمرهم. والمعنى في هذه الآية عام في كل ما يحتاج إليه في الدين والدنيا))(٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما صرّح بأن الله كافيه، وكانت كفاية الله للعبد أعظم المقاصد، التفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقاً أو هو فعل مع المؤمنين أيضاً مثل ذلك، فأتبعها بقوله معبرًا بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد، لأنه في سياق الإخبار ببعض المغيبات والتصرف في

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٥).

(٢) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي ، أبو بكر النقاش، المقرئ المفسر، كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، ورحل وطوف من مصر إلى ما وراء النهر في لقى المشايخ ، وصنف التفسير وسماه شفاء الصدور، وله الإشارة في غريب القرآن، والموضح في معاني القرآن، ودلائل النبوة، (ت ٣٥١هــ). انظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٩٤)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٩)، التفسير الكبير (١٥/ ١٥٣)، البحر المحيط (٤/ ٥١٠)، روح المعاني (٦/ ٤٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٥ ــ ٦٦).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٢ ــ ١٥٣).

الملكوت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ أي العالي القدر الذي نعلمه بعواقب أموره ﴿حَسْبُكَ﴾ أي كافيك ﴿ٱللَّهُ﴾ أي الذي بيده كل شيء ﴿وَمَنِ﴾ أي مع من ﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوز أن يكون المعية من ضميره ﷺ فيكون المؤمنون مكفيين، وأن يكون من الجلالة فيكونوا كافين، حتى يكون المعنى : فهو كافيهم أيضاً وهم كافوك لأنه معهم، وساق سبحانه هذا هكذا تطييبًا لقلوبهم وجبرًا لخواطرهم وبالمعنى الثاني - لتضمنه الأول وزيادته عليه - قال ابن زيد [1] والشعبي[2]: حسبك الله وحسبك من اتبعك، وساقها سبحانه على وجه مكرر لكفاية نبيه ﷺ محتمل لأن فيمن كان على اتباعه في ذلك الوقت لئلا يستقلوا بالنسبة إلى كثرة أعدائهم)) [3].

٣ــ قال الألوسي: ((شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وحده أو مع أمور المؤمنين أو في الأمور المتعلقة بالكفار كافة إثر بيان الكفاية في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للنداء والتنبيه على الاعتناء بمضمونها وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة للإشعار بعلية الحكم كأنه قيل يا أيها النبي ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحراب لنبوتك)) [4].

من خلال المنقول سابقًا، يذكر الطاهر تناسب موقع هذه الآية فبعد أن انتظم السياق من أول السورة في بيان عجيب صنع الله في غزوة بدر، وعنايته بالمؤمنين، وتأكيده أن النصر والظفر لا يكون إلا بالأمر الذي جاء أول السورة وهو الطاعة لله ولرسوله، وذَكَرَ الخديعة من الكفار وأعوانهم، استأنف في هذه الآية بأن يبتدأ بأوامر جليلة لرسوله ﷺ فالله تعالى حسبه وكافيه وناصره كما مضى من نصره له تعالى من أول السورة، ومن عظيم كرمه سبحانه على المؤمنين الطائعين أن جعلهم الله تعالى ضمن كفايته لرسوله ﷺ، فهو الذي ألّف بين قلوبهم، فالجملة في موقع الفذلكة لما سبقها.

ثم ذكر ابن عاشور سبب نزول هذه الآية، وتناول تناسبها في هذا الموقع رغم مكيتها، فهي تناسب التحريض للمؤمنين بالقتال بعدها لتقوم كفايتهم للرسول ﷺ، وسبب النزول ذاك ذكره ابن عطية، والرازي، وأبو حيان، والألوسي.

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، أخذ معاني القرآن، وروى عن والده وابن المنكدر، (ت ١٠٢هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/١١).

(٢) عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي الكوفي، روى عن عدد من الصحابة والتابعين، (ت ١٠٤هـ). انظر: التاريخ الكبير (٦/٤٥٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٥٧).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٣٨ ــ ٢٣٩).

(٤) روح المعاني (٦/ ٤١).

أما الرازي فيذكر أن مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى وعده بالكفاية من المخادعين في تلك، وفي هذه وعده بالكفاية عمومًا في الدين والدنيا.

ويذكر البقاعي أنه لما صرّح سبحانه بكفايته لرسوله ﷺ، فإن النفوس تتطلع لمعرفة تلك الكفاية، فبيّن تعالى أنه كافيه وكافي المؤمنين معه، أو كافيه بالمؤمنين أيضًا، فبالمعنى الأول يكون تطييبًا لنفوس المؤمنين، أما المعنى الثاني فهو يتضمن أنه كافيهم ويزيد عليه بأنهم كافون نبيه ﷺ.

ويتشابه ما ذكره الألوسي مع قول البقاعي فذكر أنه لما ذكر كفاية خاصة وهي كفايته سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ في حال خداع الأعداء، ذكر كفايته له في جميع أموره أو مع أمور المؤمنين أو في الأمور المتعلقة بالكفار.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور أنسب وأشمل وذلك للمناسبة التالية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

كفاية الله نبيه ﷺ، وتشريف المؤمنين بأن ضمّهم في كفايته له.

٤٢ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((أعيد نداء النبي ﷺ للتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء وهذا الكلام في معنى المقصد بالنسبة للجملة التي قبله، لأنّه لما تكفّل الله له الكفاية، وعطف المؤمنين في إسناد الكفاية إليهم، احتيج إلى بيان كيفية كفايتهم، وتلك هي الكفاية بالذبّ عن الحوزة وقتال أعداء الله، فالتعريف في ﴿ ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ للعهد، وهو القتال الذي يعرفونه، أعني: قتال أعداء الدين)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ثم بيّن أنه تعالى وإن كان يكفيك بنصره وبنصر المؤمنين ، فليس من الواجب أن تتكل على ذلك إلا بشرط أن تحرض المؤمنين على القتال فإنه تعالى إنما يكفيك بالكفاية بشرط أن يحصل منهم بذل النفس والمال في المجاهدة)) (٣).

٢ـ قال البقاعي : ((ولما بيّن أنهم كافون مكفيون، وكان ذلك مشروطًا بفعل الكيس والحزم وهو الاجتهاد بحسب الطاقة، أمره بأن يأمرهم بما يكونون به كافين من الجد في القتال وعدم الهيبة للأبطال في حال من الأحوال، فقال معبرًا بالوصف الناظر إلى جهة التلقي عن الله ليشتد وثوق السامع لما يسمعه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾)) (٤).

٣ـ قال الألوسي : ((بعد أن بيّن سبحانه الكفاية أمر جل شأنه نبيه ﷺ بترتيب بعض مباديها وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمال الإعتناء بشأن المأمور به)) (٥).

من خلال ما سبق نجد أن الطاهر قد تناول مناسبة هذه الآية لما قبلها بشكل بديع يتناسب مع ما ذكره من مناسبة في الآية التي قبلها، فتكون هذه الآية المقصد مما سبقها، فقد ذُكر قبلاً كفاية الله تعالى

---

(١) الآية (٦٥) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٦).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٣).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣٩).

(٥) روح المعاني (٦/ ٤٢).

لرسوله ﷺ وكفايته بالمؤمنين، فناسب في هذه أن يذكر كيفية تلك الكفاية، وهي أنهم يقاتلون ويدفعون أعداء الإسلام. وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الرازي والبقاعي والألوسي.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ : ((ولمّا كان عموم الجنس الذي دل عليه تعريف القتال يقتضي عموم الأحوال باعتبار المقاتَلين بفتح التاء وكان في ذلك إجمال من الأحوال، وقد يكون العدو كثيرين ويكون المؤمنون أقلّ منهم، بيّن هذا الإجمال بقوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾الآية)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما ندبهم إلى القتال، أعلمهم بأنهم منصورون فيه إن لازموا آلة النصر، فقال اسئنافًا جوابًا لمن قال: ما عاقبتهم إذا رغبوا فبادروا إلى ذلك؟: ﴿إِن يَكُن﴾)) (٢).

من خلال ما سبق، يذكر الطاهر أنه لما ذكر ﴿ٱلْقِتَالِ﴾ معرفة مجملة، جاء بتفصيل ذلك الإجمال وبيان أحواله بجملة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾، فالعدو قد يكون كثيرًا والمسلمون أقل.

وعند البقاعي أنه لما حثهم على القتال، بيّن لهم أنهم منصورون، فاستأنف جوابًا لسؤال محذوف : ما عاقبتهم إذا بادروا لذلك؟

ويظهر أن المناسبات كلها متلائمة. وما ذكره الطاهر يُعد من تفرداته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان أن الوعد بالكفاية مشروط بأعمال وأمور، لا تتحقق الكفاية إلا بها.

وفي الآية بشارة من الله تعالى للمؤمنين إن صبروا، فسيغلبون ضعف أمثالهم من الكفار بعون الله، لأن المؤمنين يفقهون أهداف القتال، ويعملون لإعلاء كلمته وهذا ما لا يفقهه المشركون من قتالهم.

واستخدام الأعداد هنا لم يكن عبثًا، حيث كان المسلمون ابتداء قلة، ولكنهم طولبوا بالمراتب العالية في المواقف الكريمة، ليجيء بعد ذلك التخفيف عند كثرة المسلمين رخصةً وتيسيرًا (٣).

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٦).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٩).

(٣) انظر: النفسير المنير، وهبة الزحيلي (٥/ ٤٠٣_ ٤٠٤).

٤٣_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي مناسب لما قبله سواء نزل بعقبه أم تأخّر نزوله عنه فكان موقعه هنا بسبب موالاة نزوله لنزول ما قبله أو كان وضع الآية هنا بتوقيف خاصّ.

والمناسبة ذكر بعض أحكام الجهاد، وكان أعظم جهاد مضى هو جهاد يوم بدر . لا جرم نزلت هذه الآية بعد قضية فداء أسرى بدر مشيرة إليها.

وعندي أن هذا تشريع مستقبل أخّره الله تعالى رفقًا بالمسلمين الذين انتصروا ببدر وإكرامًا لهم على ذلك النصر المبين، وسدًّا لخلّتهم التي كانوا فيها، فنزلت لبيان الأمر الأجدر فيما جرى في شأن الأسرى في وقعة بدر. وذلك ما رواه مسلم عن ابن عبّاس، والترمذي(٢) عن ابن مسعود، ما مُختصره أن المسلمين لما أسروا الأسارى يوم بدر وفيهم صناديد المشركين سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يفاديهم بالمال وعَاهدوا على أن لا يعودوا إلى حربه فقال رسول الله ﷺ للمسلمين "ما تَرون في هؤلاء الأسارى"، قال أبو بكر: "يا نبي الله هم بنو العمّ والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوّة على الكفّار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام " وقال عُمر: أرى أن تمكّننا فنضرب أعناقهم فإنّ هؤلاء أئمّة الكفر وصناديدها

---

(١) الآية (٦٧) من سورة الأنفال.

(٢) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي ، أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة، مات بترمذ سنة (٢٧٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥٠٠).

فَهوي رسولُ الله ما قال أبو بكر فأخذ منهم الفداء كما رواه أحمد (١) عن ابن عباس فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ الآية(٢))) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أن المقصود من هذه الآية تعليم حكم آخر من أحكام الغزو والجهاد في حق النبي ﷺ))(٤).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما تقدم الأمر بالإثخان في ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ ثم بإعداد القوة، ثم التحريض على القتال بعد الإعلام بالكفاية ثم إيجاب ثبات الواحد لعشرة ثم إنزال التخفيف إلى اثنين؛ كان ذلك مقتضياً للإمعان في الإثخان، فحسن عتاب الأحباب في اختيار غير ما أفهمه هذا الخطاب، لكون ذلك أقعد في الامتنان عليهم بالعفو والغفران بسبب أن أكثرهم مال إلى فداء الأسارى فإن النبي ﷺ استشارهم فيهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالمفاداة ومال معه الأكثر، وأشار عمر رضي الله عنه بضرب أعناقهم... فقال تعالى استئنافًا واستنتاجًا: ﴿ مَا كَانَ ﴾)) (٥).

من خلال ما سبق، ذكر الطاهر أنها استئناف ابتدائي فيه إكرام للمسلمين وعفو وغفران بعد معاتبتهم. وهذه من تفرداته.

واتفق الطاهر مع الرازي وإن اختلفت ألفاظهما التعبيرية أنه لما حكى الله تعالى غزوة بدر ناسب أن يذكر حكمًا من أحكام الجهاد، وحادثًا حدث في غزوة بدر الكبرى وهو حادث الأسرى.

وربطها البقاعي بالآيات السابقة، فلما أمرهم بالإثخان، ثم بإعداد القوة، وحرضهم على القتال، عاتبهم هنا استنافًا بيانيًا.

---

(١) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، ولد سنة (١٦٤هـ)، كان إمام المحدثين، صنف المسند، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل، ودعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم، وحبس وضرب على الامتناع، توفي ببغداد سنة (٢٤٤هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٥)، وفيات الأعيان (١/ ٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم عن ابن عباس، (٣/ ١٣٨٣)، رقم: [١٧٦٣]. ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال عن ابن مسعود، (٥/ ٢٧١)، رقم: [٣٠٨٤]. والإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس، مسند عمر بن الخطاب، (١/ ٣٠ــ ٣١)، رقم: [٢٠٨].

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٢).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٧).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٤٣ــ ٢٤٤).

من هذا النقل يتضح أنه تعالى والى الحديث عن غزوة بدر بذكر أمر أسراها وأن الحكم الأجدر هو خلاف ما مالوا إليه من فداء الأسرى. وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح رفق الله تعالى بالمسلمين حين اختلفوا في أمر الأسرى وإنزال التشريع لهم.وفيه ردّ جميع الأمور لله تعالى كما ردها في أول السورة، فالنبي ﷺ استشارهم هنا في أمر الأسارى، فمال أكثرهم لأخذ الفدية لشدة حاجتهم، فبيّن لهم تعالى أن رسوله ﷺ ما قاتل لعرض دنيا ولكن لنشر دينه وإعلاء كلمته، فكأنه يذكّرهم بغاية الجهاد وهدفه، وبأنه بيده كل شيء فهو الناصر المعين ، ويذكرهم بالآخرة وبنعيمها كما ذكره في أول السورة جزاء للمؤمنين.

ومن خلال ما سبق بيانه تُنبّه الآية على أهمية تقديم مصالح الدين على مصالح النفس، وتُرغّب في ثواب الآخرة، وتهوّن متاع الدنيا لزواله وفنائه .ويظهر أيضًا أن من محاب الله للمؤمن أن يكون سعيه وعمله لرضا الله وثوابه.

٤٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((وجملة: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ إلخ مستأنفة استئنافًا بيانيًا، لأنّ الكلام السابق يؤذن بأنّ مفاداة الأسرى أمر مرهوب تخشى عواقبه، فيستثير سؤالاً في نفوسهم عمّا يترقّب من ذلك، فبيّنه قوله: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((كأنهم قالوا ﷺ: تقتضي عزته وحكمته سبحانه من تطهيرنا عما تدنسنا به؟ استأنف تعالى الجواب عن ذلك ممتناً غاية الامتنان ومحذرًا من التعرض لمواقع الخسران فقال: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ ﴾))(٣).

---

(١) الآية (٦٨) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٧).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٤٥).

من خلال المنقول سابقًا يظهر توافق معنى ما ذكره الطاهر مع البقاعي وإن اختلفت تعبيراهما، فالمناسبة هي أنه لما عاتبهم على ميلهم للمفاداة في أمر الأسرى، وبدا أن الفداء أمر تخشى عواقبه، استأنف في هذه الآية ببيان ما عليهم فعله، جوابًا على ما تترقبه نفوسهم وامتنانًا منه سبحانه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أسلوب القرآن الكريم في حسن المعاتبة ثم تقديم الحل، لأن كتاب الله سبيل هداية ورشاد للحائرين، فهم ابتداء اجتهدوا في شأن الأسرى، ثم ظهر لهم خطأ ما ذهبوا إليه، فهداهم سبحانه لنهجه المطلوب رحمة منه وفضلاً.

٤٥_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الفاء تؤذن بتفريع هذا الكلام على ما قبله . وفي هذا التفريع وجهان:

أحدهما: الذي جرى عليه كلام المفسّرين أنّه تفريع على قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾(٢) إلخ ... أي لولا ما سبق من حلّ الغنائم لكم لمسّكم عذاب عظيم، وإذ قد سبق الحلّ فلا تبعة عليكم في الانتفاع بمال الفداء. وقد روي أنّه لّما نزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾(٣) الآية، أمسكوا عن الانتفاع بمال الفداء، فترل قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ وعلى هذا الوجه قد سمّي مال

---

(١) الآية (٦٩) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٦٨) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة الأنفال.

الفداء غنيمة تسمية بالاسم اللغوي دون الاسم الشرعي؛ لأنّ الغنيمة في اصطلاح الشرع هي ما افتكّه المسلمون من مال العدوّ بالإيجاف[1] عليهم.

والوجه الثاني: يظهر لي أنّ التفريع ناشئ على التحذير من العود إلى مثل ذلك في المستقبل، وأنّ المعنى: فاكتفوا بما تغنمونه ولا تفادوا الأسرى إلى أن تثخنوا في الأرض . وهذا هو المناسب لإطلاق اسم الغنيمة هنا إذ لا ينبغي صرفه عن معناه الشرعي.

ولّما تضمّن قوله: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ امتنانًا عليهم بأنّه صرف عنهم بأس العدوّ، فرّع على الامتنان الإذن لهم بأن ينتفعوا بمال الفداء في مصالحهم، ويتوسّعوا به في نفقاتهم، دون نكد ولا غصّة، فإنّهم استغنوا به مع الأمن من ضرّ العدوّ بفضل الله. فتلك نعمة لم يشُبها أذى)) [2].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

ومن خلال النقل السابق ذكر الطاهر وجهين لارتباط هذه الآية بما قبلها:

أولهما: أنه لما عاتبهم في الأسرى فأمسكوا عن الانتفاع بمال المفاداة، أتبع ذلك بأن أخبرهم أنه لا تبعة عليهم في أن ينتفعوا لأن الغنائم سبق وأن حلت لهم.

ثانيهما: أنه لما عاتبهم في الأسرى جاء في هذه بتحذيرهم من الرجوع للمفاداة دون إثخان وقتال، وهو ما مال إليه الطاهر.

ثم ذكر الطاهر أن المناسبة هي الامتنان على المسلمين بالإذن في الانتفاع من مال الفداء إكمالاً لمنته عليهم في صرف العدو عنهم.

ومن خلال ما سبق، يظهر تفرد الطاهر هنا على حدّ إطلاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وذُيّل ذلك بالأمر بالتقوى: لأنّ التقوى شكر الله على ما أنعم من دفع العذاب عنهم)) [3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وجاء قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ اعتراضًا فصيحًا في أثناء الكلام لأن قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ هو متصل بالمعنى بقوله ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ﴾)) (١).

---

[1] الإيجاف: سرعة السير. انظر: لسان العرب، باب وجف، (٨/٣٥).

[2] التحرير والتنوير (١٠/ ٧٨ ــ ٧٩).

[3] التحرير والتنوير (١٠/ ٧٩).

٢ــ قال الرازي: ((﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴾ إشارة إلى المستقبل وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إشارة إلى الحالة الماضية)) (٢).

٣ــ قال أبو حيان: ((وأمر تعالى بتقواه؛ لأن التقوى حاملة على امتثال أمر الله، وعدم الإقدام على ما لم يتقدّم فيه إذن، ففيه تحريض على التقوى مَن مَالَ إلى الفداء، ثم جاءت الصفتان مشعرتين بغفران الله ورحمته عن الذين مالوا إلى الفداء قبل الإذن)) (٣).

٤ــ قال البقاعي: ((وفائدة الأمر بالتقوى التحذير من العود اعتماداً على سعة الحلم، و أيضاً فقد تقدم تهديد ومغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة التقوى، فكان ترجمة ذلك أنه لما رهبهم بمس العذاب عند أخذ الفداء لولا سبق الكتاب، رغّبهم بأنه كلما صدهم عن جنابه صارف ذنب فردهم إليه عاطف تقوى، أسبل عليهم ذيل المغفرة والرحمة)) (٤).

من خلال ما سبق من نقل يظهر تعرّض المفسرون لمناسبة الأمر بالتقوى في الآية، فيذكر الطاهر أنه لما صرف عنهم العذاب ناسب أن يأمر بالتقوى لأنها شكر على النعم ، ومنها نعمة دفع العذاب . وهذه من تفردات الطاهر.

وجعلها ابن عطية معترضة بين الانتفاع بمال الفداء والأكل منه ، وبين الرحمة والمغفرة على ما مالوا إليه.

ويُفهم من كلام الرازي أنه أمرهم بالتقوى تحذيرًا من أن يعودوا لما فعلوه مستقبلاً.

وذكر أبو حيان أن التقوى تحمل على الامتثال وعدم الإقدام على ما لم يأذن به الله، فجيء بالأمر بها هنا حثًا وتحريضًا لمن مالوا للفداء.

أما البقاعي فيذكر أن فائدة الأمر بالتقوى هي التحذير من تكرار ما حدث معتمدين على سعة حلمه ومغفرته سبحانه، فقد جاء في الآية السابقة تهديد وفي هذه غفران، فناسب أن يذكر علة المغفرة والرحمة وهي التقوى.

ويمكن الخلوص مما ذكروه بأن المناسبة هي أنه تعالى لما أنعم وامتن عليهم بالانتفاع بمال الفداء ناسب أن يحثهم على التقوى مُجَددًا لأنها الباعث على الامتثال الذي يؤدي إلى شكر النعم، وهي سبب المغفرة . والله تعالى أعلم.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٤).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٢).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٥١٦).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٤٥).

أثر المناسبة:

بيان لامتنان آخر على المسلمين خلال هذه الغزوة وما بعدها، وتجديد الأمر بالتقوى في سياق الامتنان، لأن شكر النعمة يكون باتباع الأوامر واجتناب النواهي، وهذا يعود بنا إلى أوائل السورة وأوسطها حيث وردت التقوى.

وبالتأمل يظهر تلاحم الآيات وترابطها مع ما قبلها، وتأسيسها لقواعد في الجهاد من خلال هذه الواقعة المهمة، متجليًا ذلك من أول السورة إلى هنا.

٤٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(١)

قال الطاهر: ((استئناف ابتدائي، وهو إقبال على خطاب النبي ﷺ بشيء يتعلّق بحال سرائر بعض الأسرى، بعد أن كان الخطاب متعلقًا بالتحريض على القتال وما يتبعه، وقد كان العباس في جملة الأسرى وكان ظهر منه ميل إلى الإسلام . قبل خروجه إلى بدر، وكذلك كان عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب،

---

(١) الآية (٧٠) من سورة الأنفال.

ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد فدى العباسُ نفسه وفدى ابنَي أخَوَيْه: عُقيلاً ونوْفلاً. وقال للنبي ﷺ تركتني أتكفّف قريشًا. فنزلت هذه الآية في ذلك، وهي ترغيب لهم في الإسلام في المستقبل، ولذلك قيل لهم هذا القول قبل أن يفارقوهم)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن الرسول لما أخذ الفداء من الأسارى وشق عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله هذه الآية استمالة لهم)) (٢).

ثم ذكر الرازي الحديث الذي ذكر الطاهر جزءًا منه، وقد ذكره ابن عطية على اختلاف الروايات، وأبو حيان، وكذا البقاعي والألوسي(٣).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما عُلِم من هذا إباحة ما يُؤخذ من الأسر من الفداء، وكان ما يُؤخذ منهم تَعَظم مشقته عليهم، أقبل عليهم مستعطفاً لهم ترغيباً في الإسلام، فأقبل على نبيه ﷺ بالأمر بمخاطبتهم تنبيهاً على أنهم ليسوا بأهل لخطابه سبحانه بما أبعدوا أنفسهم عنه من اختيارهم الكون في زمرة الأعداء على الكون في عداد الأولياء، فقال معبراً بالوصف الناظر إلى تلقي العلم ترغيباً في التلقي منه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾)) (٤).

من خلال المنقول سلفًا يُلاحظ اتفاقهم على سبب نزول الآية، وعلى مناسبتها لما قبلها وإن اختلفت التعابير اللفظية.

فلما ذكر تعالى الأسرى وأخذُ الفداء منهم، شقّ ذلك على الأسرى فخاطب تعالى نبيه ﷺ بأن يرغبهم في الإسلام، ويستميل قلوبهم للدين قبل مفارقتهم، والله تعالى عليم بالسرائر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان رحمة الله تعالى بعباده، وأن الهدف من الجهاد هو دعوة الناس للدين الإسلامي وإزالة الموانع التي تمنع بلوغ الدين لهم، وفتح قلوبهم وعقولهم لمحاسن الإسلام ليُقبلوا عليه عن طواعية واختيار.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٠).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٤ــ ٥٥٥)، التفسير الكبير (١٥/ ١٦٢ــ ١٦٣)، البحر المحيط (٤/ ٥١٦)، نظم الدرر (٣/٢٤٦)، روح المعاني (٦/ ٥٠ــ ٥١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٤٥ ــ ٢٤٦).

٤٧_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

---

(١) الآية (٧١) من سورة الأنفال.

قال الطاهر: ((وهذا كلام خاطب به اللَّهُ رسولَه ﷺ اطمئنانًا لنفسه، وليبلغ مضمونَه إلى الأسرى، ليعلموا أنّهم لا يغلِبون الله ورسوله. وفيه تقرير للمنّة على المسلمين التي أفادها قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾(١)، فكل ذلك الإذنُ والتطييب بالتهنئة والطمأنة بأن ضمن لهم، إنْ خانهم الأسرى بعدَ رجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، بأنّ الله يمكّن المسلمين منهم مرةً أخرى، كما أمكنهم منهم في هذه المرة، أي: أن يَنووا من العهد بعدم العود إلى الغزو خيانتَك، وإنّما وعدوا بذلك لينجَوا من القتل والرقّ، فلا يضرّكم ذلك، لأنّ الله ينصركم عليهم ثانيَ مرة))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد له ﷺ والوعيد لهم))(٣).

من خلال المنقول أعلاه يظهر اتفاق الطاهر مع الألوسي في مناسبة هذه الآية، فهو لما ذكر أمر الأسرى وترغيبهم في الإسلام، ناسب أن يطمئن نبيه ﷺ بالتمكين منهم إن هم خانوا وغدروا، وفي هذا أيضًا تحذير لهم من الخيانة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان إحاطة الله تعالى بكل شيء، ورحمته ورعايته بنبيه والمؤمنين، والتحذير الشديد للأسرى من الخيانة والغدر، فإن الله تعالى كما أمكن منهم أول مرة فسيمكن منهم مرة أخرى.

---

(١) جزء من الآية (٦٩) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٨١).

(٣) روح المعاني (٦/ ٥١).

٤٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه الآيات استئناف ابتدائي للإعلام بأحكام موالاة المسلمين للمسلمين الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، وعدم موالاتهم للذين كفروا، نشأ عن قول العباس بن عبد المطلب حين أسرّ ببدر أنّه مسلم، وأنّ المشركين أكرهوه على الخروج إلى بدر، ولعلّ بعض الأسرى غيره قد قال ذلك وكانوا صادقين، فلعل بعض المسلمين عطفوا عليهم وظنّوهم أولياء لهم، فأخبر الله المسلمين وغيرهم بحكم من آمن واستمرّ على البقاء بدار الشرك)) (٢). ثم نقل الطاهر قول ابن عطية التالي.

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن للأسرى أن الخير الذي لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله لا ينفعهم في إسقاط الفداء عنهم لأنه لا دليل عليه، وكل ما لا دليل عليه فحكمه حكم العدم، لأن مبنى الشرع على ما يمكن المكلف معرفته وهو الظواهر، وختم بصفتي العلم والحكمة، شرع يبين الخبر الذي يفيد القرب الذي تنبني عليه المناصرة وكل خير، فقال مقسمًا أصحاب النبي ﷺ أربعة أقسام: قسم جمع الإيمان والهجرة أولاً والجهاد، وقسم آوى، وقسم آمن ولم يهاجر، وقسم هاجر من بعد)) (٣).

من خلال ما سبق نقله يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، وأنها ناشئة من قول العباس عندما كان أسيرًا، فهو حين ذكر أسرى بدر وقد يكون بعضهم مسلمًا مكرهًا كما في قصة العباس، فيظن المسلمون أنهم أولياء لهم، ناسب أن يذكر أحكام الولاية وأقسامها، وأن يبين أفضلية مَن جَمَعَ الإيمان والهجرة والجهاد على مَن آمن ولم يهاجر وبقي في ديار المشركين.

وهذا ربط دقيق بالآيات السابقة، يتشابه مع قول البقاعي الذي ربط هذه الآية بسابقتها، فذكر أنه تعالى لما ذكر أنه مطلع على سرائر هؤلاء الأسرى، وعليم بما في أنفسهم من خير غير ظاهر للمسلمين

---

(١) الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٣).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٤٧).

وهو إسلامهم، شرع يُبين لهم القرب والولاية المبنية على ذلك الخير وعلى المناصرة، وشرع يُقسم المسلمين.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر أمر الأسرى وفيهم من قال أنه مسلم، بيّن على ماذا تُبنى ولايات الإسلام، فذكر أقسام المسلمين ومن يستحق الولاية منهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

١ــ بيان أن الولاية الحقيقية هي ولاية الإسلام والهجرة والجهاد.

٢ــ بيان فضيلة الهجرة من دار الكفر إلى ديار الإسلام.

وذِكر الولاية في آخر السورة يذكّ رنا بما جاء أولها من ذِ كرٍ للمؤمنين وصفاتهم، وأن جميع الخلافات والتزاعات الدنيوية تلغى أمام ولاية الإسلام. فهم ابتداء اختلفوا في أمر الأنفال فأرشدهم لحل الخلاف، ثم ذكّرهم بصفات المؤمنين، ثم بأنهم أولياء بعض فلا يصح أن يتنازعوا ويتفرقوا.

وأيضًا لما ذَكَر الولايات افتتح السورة التالية بالبراءة من كل الولايات عدا ولاية الإسلام.

٤٩ــ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذا بيان لحكم القسم المقابل لقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ (٢) وما عطف عليه)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ثم قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن هذا الترتيب الذي اعتبره الله في هذه الآية في غاية الحسن؛ لأنه ذكر ههنا أقسامًا ثلاثة، فالأول: المؤمنون من المهاجرين والأنصار، وهم أفضل الناس وبيّن أنه يجب أن يوالي بعضهم بعضًا. والقسم الثاني: المؤمنون الذين لم يهاجروا فهؤلاء بسبب إيمانهم لهم فضل وكرامة وبسبب ترك الهجرة لهم حالة نازلة فوجب أن يكون حكمهم حكمًا متوسطًا بين الإجلال والإذلال وذلك هو أن الولاية المثبتة للقسم الأول، تكون منفية عن هذا القسم، إلا أنهم يكونون بحيث لو استنصروا المؤمنين واستعانوا بهم نصروهم وأعانوهم. فهذا الحكم متوسط بين الإجلال والإذلال. وأما الكفار فليس لهم البتة ما يوجب شيئًا من أسباب الفضيلة، فوجب كون المسلمين منقطعين عنهم من كل الوجوه فلا يكون بينهم ولاية ولا مناصرة بوجه من الوجوه، فظهر أن هذا التريب في غاية الحسن)) (٤).

٢ــ قال أبو حيان : ((لما ذكر أقسام المؤمنين الثلاثة، وأنهم أولياء ينصر بعضهم بعضًا ويرث بعضهم بعضًا، بيّن أن فريق الكفار كذلك، إذ كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ ينادي أهل الكتاب منهم قريشًا، ويتربّصون بهم الدوائر، فصاروا بعد بعثه يوالي بعضهم بعضًا. وإلبًا (٥) واحدًا على الرسول، صونًا على رئاساتهم، وتحزّبًا على المؤمنين)) (٦).

---

(١) الآية (٧٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٧).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٨).

(٥) الإلب بالفتح والكسر القوم يجتمعون على عداوة إنسان و تألبوا تجمعوا. انظر: لسان العرب (١/ ٢١٦).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٥١٨).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما بيّن شرط موالاة المسلم، بيّن موالاة الكافر وما يجب من مناظرتهم ومباراتهم فيها، وأنه لا شرط لها غير مطلق الكفر فإنه وإن اختلفت أنواعه وتباعدت أنحاؤه - يجمعه عداوة الله و ولاية الشيطان)) (١).

من خلال ما نُقل أعلاه تظهر المناسبة جلية واضحة في كلام العلماء رحمهم الله، فهو لما قسّم المسلمين وبيّن مراتبهم وولايتهم، شرع في ذكر القسم المقابل وهم الكفار وولايتهم بعضهم لبعض. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان عادة القرآن الكريم في ذكر الفريقين المتقابلين، فريق المؤمنين وفريق الكافرين . وهو أسلوب كثر وقوعه في كتاب الله تعالى فما إن يذكر الشيء حتى يذكر ما يقابله، فإن ذكر الوعد ذكر الوعيد، وإن رغّب جاء بعده بالترهيب وبالعكس.

وكما أن المؤمنين أولياء بعض، فإن الكافرين بعضهم أولياء بعض، ولكن فرق بين الولاتين، فتلك ولاية في النعيم، والأخرى في السعير.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٥٢).

٥٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((الأظهر أنّ هذه جملة معترضة بين جملة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾(٢)، وجملة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ ﴾(٣) الآية، والواو اعتراضية للتنويه بالمهاجرين والأنصار، وبيان جزائهم وثوابهم، بعد بيان أحكام ولاية بعضهم لبعض بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾(٤) فليست هذه تكريرًا للأولى، وإن تشابهت ألفاظها : فالأولى لبيان ولاية بعضهم لبعض، وهذه واردة للثناء عليهم والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدهم بالجزاء))(٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا القسم الثالث، عاد إلى ذكر القسم الأول والثاني مرة أخرى ... واعلم أن هذا ليس بتكرار وذلك لأنه تعالى ذَكَرَهم أولاً ليبين حكمهم وهو ولاية بعضهم بعضًا، ثم إنه تعالى ذَكَرَهم ههنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم، وبيانه من وجهين: الأول: أن الإعادة تدل على مزيد الاهتمام بحالهم وذلك يدل على الشرف التعظيم. والثاني: وهو أنه تعالى أثنى عليهم ههنا من ثلاثة أوجه: أولها قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ فقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ يفيد الحصر وقوله ﴿حَقّٗاۚ ﴾ يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين محققين في طريق الدين، والأمر في الحقيقة كذلك،... وثانيها: قوله ﴿ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ وتنكير لفظ المغفرة يدل على الكمال كما أن التنكير في قوله ﴿

---

(١) الآية (٧٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧٣) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٧٥) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٩).

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ (١) يدل على كمال تلك الحياة،... وثالثها: قوله ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ والمراد منه الثواب الرفيع الشريف. والحاصل أنه تعالى شرح حالهم في الدنيا وفي الآخرة)) (٢).

٢ـ قال أبو حيان: ((هذه الآية فيها تعظيم المهاجرين والأنصار، وهي مختصرة، إذ حذف منها بأموالهم وأنفسهم وليست تكرارًا. لأن السابقة تضمنت ولاية بعضهم بعضًا. وتقسيم المؤمنين إلى الأقسام الثلاثة، وبيان حكمهم في ولايتهم ونصرهم، وهذه تضمنت الثناء، والتشريف، والاختصاص، وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم)) (٣).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما تقدمت أنواع المؤمنين: المهاجر والناصر والقاعد، وذكر أحكام موالاتهم، أخذ يبين تفاوتهم في الفضل فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾)) (٤).

٤ـ قال الألوسي: ((كلام مسوق للثناء على القسمين الأولين من الأقسام الثلاثة للمؤمنين وهم المهاجرون والأنصار بأنهم الفائزون بالقدح المعلى من الإيمان مع الوعد الكريم بقوله سبحانه ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لا يقادر قدرها ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾)) (٥).

من خلال ما نقل سابقًا يظهر اتحاد كلام المفسرين في المعنى وإن اختلفت تعبيراتهم.

فالمناسبة التي ذكروها، أن هذه الآية ليست بتكرار لما سبق، فابتداءً لما ذَكَر المؤمنين ومنازلهم ذَكَر ولايتهم، فالآية الأولى اختصت بذكر الولاية وأحكامها، ثم ذَكَر الفريق الآخر وهم الكفار وولايتهم، ثم عاد وذَكَر الفريق الأول مثنيًا وشاهدًا ومكرمًا ومجازيًا بأوفر الجزاء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال سياق السورة وبالتأمل فيها يلاحظ ذكره للمؤمنين وجزاؤهم في خاتمتها كما ذَكَرهم وصفاتهم في أولها، فمن اتصف بتلك الصفات، واتبع ما في السورة من أحكام، أولئك هم المؤمنون حقًا.

وأيضًا بيان لتكريم الله تعالى للمؤمنين، وثنائه عليهم، ووعدهم بالجزاء العظيم.

---

(١) جزء من الآية (٩٦) من سورة البقرة.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٩).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٥١٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٥٣).

(٥) روح المعاني (٦/ ٥٣).

٥١_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((بعد أن منع الله ولاية المسلمين للذين آمنوا ولم يهاجروا بالصراحة، ابتداءً ونفى عن الذين لم يهاجروا تحقيق الإيمان، وكان ذلك مثيرًا في نفوس السامعين أن يتساءلوا هل لأولئك تمكن من تدارك أمرهم بِرأب (٢) هذه الثَّلمة (٣) عنهم، ففتح الله باب التدارك بهذه الآية ... فكانت هذه الآية بيانًا، وكان مقتضى الظاهر أن تكون مفصولة غير معطوفة، ولكن عدل عن الفصل إلى العطف تغليبًا لمقام التقسيم الذي استوعبته هذه الآيات)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما حصر المؤمنين حقًا في الموصوفين، بيّن أن مَن ترك ما هو عليه من لزوم دار الكفر والقعود عن الجهاد، لحق بمطلق درجتهم وإن كانوا فيها أعلى منه فقال ذاكرًا القسم الرابع: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾)) (٥).

من خلال النقل السابق، ربط الطاهر الآية بما قبلها من آيات، وذكر أنها جوابًا على سؤال مقدر، ثم بيّن العلة في العطف وترك الفصل لأن البيان لا يكون معطوفًا. فهي عنده مستأنفة استئنافًا بيانيًا.

أما البقاعي فقد ربطها بالآية السابقة مباشرة، وهنا يظهر الفرق بين مناسبة الطاهر والبقاعي، فالطاهر جعلها في ثوب بلاغي يُظهر إعجاز القرآن، وهذه المناسبة من تفرداته، فهو لما ذكر التقسيمات السابقة وأحكام ولايتها، نفى ابتداء عن غير المهاجرين تحقيق الإيمان، فقد يتساءل سائل هل من توبة؟ فعطف بهذه الآية رحمة ورأفة ليتداركوا ويلحقوا وأوردهم كقسم. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٧٥) من سورة الأنفال.

(٢) رأب إذا أصلح. انظر لسان العرب (١/ ٣٩٨).

(٣) الثلمة الخلل في الحائط وغيره. انظر: لسان العرب (١٢/ ٧٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٩ _ ٩٠).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٥٣).

أثر المناسبة:

بيان الرحمة والشفقة بالأمة، وفتح باب التوبة والعودة، وفي هذا تناسب مع تسمية السورة التالية وهي سورة التوبة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((يظهر أنّ التقاسيم السابقة لّما أثبتت ولاية بين المؤمنين، ونفت ولايةً من بينهم وبين الكافرين، ومِن بينهم وبين الذين آمنوا و لم يهاجروا حتّى يهاجروا، ثم عادت على الذين يهاجرون من المؤمنين بعد تقاعسهم عن الهجرة بالبقاء في دَار الكفر مدّة، فبيّنت أنّهم إن تداركوا أمرهم وهاجروا يدخلون بذلك في ولاية المسلمين، وكان ذلك قد يشغل السامعين عن وَلاية ذوي أرحامهم من المسلمين، جاءت هذه الآية تذكّر بأنّ ولاية الأرحام قائمة وأنّها مرجّحة لغيرها من الولاية فموقعها كموقع الشروط، وشأن الصفات والغايات بعد الجُمل المتعاطفة أنّها تعود إلى جميع تلك الجمل، وعلى هذا الوجه لا تكون هذه الآية ناسخة لما اقتضته الآيات قبلها من الولاية بين المهاجرين والأنصار بل مقيّدةً الإطلاقَ الذي فيها)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن أنهم منهم، بين أنه متى جمعهم الوصف المحصل للولاية، كان القرب في الرحم أولى من غيره فقال: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ ﴾)) (٢).

من خلال ما سبق نقله من كلام الطاهر والبقاعي نجده يلتقي في المعنى نفسه بتعابير مختلفة، فبعد أن ذكر الأقسام الثلاثة وولايته ا، ثم عرج إلى القسم الرابع وهم الذين تداركوا وهاجروا، قد ينشغل السامعون عن ذوي الأرحام فناسب أن يلفت النظر لولاية الأرحام وأنها مرجحة لغيرها من الولايات . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لما يجمع الناس من ولايات وأواصر وقرابات، وأن الفطر تميل للرح م وتقديمها، فمن رحمة الله تعالى بالأمة أن نبهها لحق ذوي الأرحام وولايتهم ، خاصة إن كانوا مسلمين ولا يوجد ما يناقض الدين . فالولاية ابتداء ولاية الدين، ومن باب أولى إذا كانت ولاية جمعت بين النسب والإسلام. وفي هذا ترجيح

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٩١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٥٤).

إلى أن الآية الأولى في الولاية قُصد بها ولاية الدين والنصرة والمعاونة دون التوارث، وفي هذه الآية قُصد بالولاية الإرث.

الفصل الثاني

سورة التوبة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

المبحث الأول: وجه تسميتها

تعددت أسماء سورة التوبة، وقد ذكر لها الطاهر أربعة عشر اسمًا، ومن أشهر تسمياتها التوبة وبراءة، وفيهما يقول الطاهر: ((ووقع هذان الاسمان معًا في حديث زيد بن ثابت (١)، في صحيح البخاري، في باب جمع القرآن، قال زيد: " فتتبعتُ القرآن حتّى وجدت آخرَ سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري (٢): ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (٣)، حتى خاتمةِ سورة البراءة "(٤). وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها)) (٥).

ولقد تعرّض الطاهر لمناسبة تلك التسميات، وفيما يلي بيان ما أورده:

١ــ سورة براءة:

قال الطاهر: ((سمّيت هذه السورة، في أكثر المصاحف، وفي كلام السلف : سورة براءة، ففي الصحيح عن أبي هريرة(٦)، في قصة حجّ أبي بكر بالناس، قال أبو هريرة: " فأذّن معنا علي بن أبي طالب في أهل منى ببَراءة" (٧).

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، أبو سعيد، وقيل: أبو ثابت، وقيل غير ذلك في كنيته، استصغر يوم بدر، ويقال: إنه شهد أحدًا، ويقال: أول مشاهده الخندق، من علماء الصحابة، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر، كان عمر يستخلفه إذا سافر، اختلف في وفاته، قيل : مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين ، وقيل: سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين ، وفي خمس وأربعين قول الأكثر. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٣٧)، الإصابة (٢/ ٥٩٢).

(٢) الحارث بن خزيمة أبو خزيمة الأنصاري قال ابن شهاب عن عبيد ابن السباق عن زيد بن ثابت قال: وجدت آخر التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، وهذا لا يوقف له على اسم على صحة، وهو مشهور بكنيته. انظر: الاستيعاب (١/ ٢٨٨)، أسد الغابة (٢/ ١٦٤).

(٣) جزء من الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، بَاب جَمْعِ الْقُرْآنِ، (٤/ ١٩٠٧)، رقم: [٤٧٠١]. وباب كاتب النبي ﷺ، (٤/ ١٩٠٨)، رقم: [٤٧٠٣]. وفي كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ، (٤/ ١٧٢٠)، رقم: [٤٤٠٢]. وفي كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، (٦/ ٢٧٠٠)، رقم: [٦٩٨٩].

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٦) أبو هريرة صاحب رسول الله، اختلفوا في اسمه واسم أبيه في الجاهلية والإسلام، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر، وكني بأبي هريرة لأنه وجد هرة فجعلها في كمه، فقيل له: ما هذه؟ قال: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة، أسلم عام الخيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ، توفي سنة سبع وخمسين ، وقيل: ثمان وخمسين أو تسع وخمسين. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨)، أسد الغابة (٣/ ٣٦٠).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة، (١/١٤٤)، رقم: [٣٦٢]. وفي كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، (٤/ ١٧٠٩)، رقم: [٤٣٧٨]. وباب ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، (٤/ ١٧١٠)، رقم: [٤٣٧٩].

وفي صحيح البخاري ، وعن زيد بن ثابت قال: " آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءة "(١)، وبذلك ترجَمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه(٢). وهي تسمية لها بأول كلِمَة منها)) (٣).

ومن خلال كلامه تظهر مناسبة التسمية بوضوح، فهي سميت بسورة براءة، لافتتاحها بهذه الكلمة.

ويمكن القول أنها سميت براءة لما حوته من الولايات والبراءات، فهي آخر سورة نزلت(٤)، ونزل معها آخر تقسيم للناس حيث استتب أمر الإسلام وعلت رايته، فجاء فيها البراءة من الكافرين وعدم ولايتهم.

٢_ الفاضحة:

قال الطاهر: ((وتسمّى سورة التوبة في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة، فعن ابن عبّاس "سورة التوبة هي الفاضحة"(٥)))(٦).

وقال: ((وكان ابن عبّاس يدعوها الفاضحة : قال: "ما زال يترل فيها ومنهم ومنهم حتى ظننّا أنّه لا يبقى أحد إلاّ ذكر فيها" (٧). وأحسب أنّ ما تحكيه من أحوال المنافقين يَعرف به المتّصفون بها أ نّهم المراد فعرف المؤمنون كثيرًا من أولئك مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾ (٨) فقد قالها بعضهم وسمعت منهم، وقوله : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (٩) فهؤلاء نقلت مقالتهم بين المسلمين. وقوله: ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا ﴾ (١٠))) (١١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع، (٤/ ١٥٨٦)، رقم: [٤١٠٦]. وفي كتاب التفسير، باب ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ ، (٤/ ١٦٨١)، رقم: [٤٣٢٩].

(٢) قال البخاري في كتاب التفسير: باب تفسير سُورَةُ بَرَاءَةَ التوبة. انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٧٠٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٤) انظر: البرهان (١/ ١٤٩).

(٥) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٥).

(٦) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٧) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٥).

(٨) جزء من الآية (٤٩) من سورة التوبة.

(٩) جزء من الآية (٦١) من سورة التوبة.

(١٠) جزء من الآية (٤٢) من سورة التوبة.

(١١) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٦).

من خلال السابق من كلام الطاهر، ذكر تسميتها بالفاضحة، ولقد سُمّيت بذلك لأنها فضحت المنافقين ومقالاتهم وأحوالهم.

٣_ التوبة:

قال الطاهر: ((وترجم لها الترمذي في جامعه باسم التوبة[١]. ووجه التسميّة: أنّها وردت فيها توبة الله الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[٢]، وهو حدث عظيم)) [٣].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر تسميتها بالتوبة، ومناسبة هذه التسمية أنه ذُكر فيها قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وتوبة الله عليهم، وهو أهمّ حدث في السورة.

٤_ المقشقشة:

قال الطاهر : ((روي عن ابن عمر [٤]، عن ابن عبّاس : "كنّا ندعوها _ أي سورة براءة _ المقشقِشة"[٥] بصيغة اسم الفاعل وتاء التأنيث من قشقشَهُ إذا أبْرَاه من المرض، كان هذا لقبًا لها ولسورة الكافرون لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك ، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص ، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين)) [٦].

ومما سبق يظهر أنها تشارك سورة الكافرون في لقب المقشقشة، ووجه إطلاق ذلك عليهما كما يذكر الطاهر أنهما اشتملتا على الدعوة إلى الإخلاص، وعلى وصف أحوال المنافقين، ما يُخلّص من النفاق والشرك مَن آمن بما فيهما.

---

[١] انظر: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (٥/ ٢٥٤).

[٢] حدثت في رجب سنة تسع، بين المسلمين والروم، وكانت في زمن عسرة وشدة حرّ . انظر: السيرة النبوية (٤/ ١٦٩). تبوك: بالفتح ثم الضم وواو ساكنة وكاف، موضع بين وادي القرى والشام. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٤).

[٣] التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

[٤] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، يولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، وأسلم مع أبيه وهاجر وعرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذلك ثم بالخندق فأجازه وهو يومئذ بن خمس عشرة سنة، مات سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد مقتل ابن الزبير . انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٥٠)، الإصابة (٤/ ١٨١).

[٥] انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

[٦] التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

٥_ العذاب، المنقّرة، البَحوث، الحافرة، المثيرة، المبعثرة، المخزية، المنكّلة، المشددة، المدمدمة:

قال الطاهر: ((وعن حذيفة(١): أنّه سمّاها سورة **العذاب** (٢) لأنّها نزلت بعذاب الكفّار ، أي عذاب القتل، والأخذ حين يثقفون.

وعن عبيد بن عمير(٣) أنّه سمّاها **المنقِّرة** (٤) _ بكسر القاف مشدّدة _ لأنّها نقرت عمّا في قلوب المشركين (لعلّه يعني من نوايا الغدر بالمسلمين والتمالي على نقض العهد، وهو من نَقَر الطائر إذا أنفى بمنقاره موضعاً من الحصى ونحوه ليبيض فيه).

وعن المقداد بن الأسود (٥)، وأبي أيّوب الأنصاري (٦): تسميتها **البَحوث** (٧) بباء موحّدة مفتوحة في في أوّله وبمثلّثة في آخره بوزن فعول بمعنى الباحثة ، وهو مثل تسميتها المنقّرة (٨). وعن الحسن البصري أنّه دعاها **الحافرة** (٩) كأنّها حفرت عمّا في قلوب المنافقين من النفاق، فأظهرته للمسلمين . وعن قتادة: أنّها تسمّى **المثيرة** (١٠) لأنّها أثارت عورات المنافقين وأظهرها. وعن ابن عباس أنّه سمّاها **المبعثرة** لأنّها بعثرت

---

(١) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أبا عبد الله واسم اليمان حسيل بن جابر ، شهد حذيفة وأبوه وأخوه أحدًا، وقتل أباه يومئذ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين ، كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ، وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله في المنافقين، (ت ٣٦هـ). انظر: الاستيعاب (١/ ٣٣٤)، أسد الغابة (١/ ٥٧٢).

(٢) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع الليثى ثم الجندعى ، يكنى أبا عاصم، قاص أهل مكة، ذكر البخاري أنه رأى النبي ﷺ، وذكره مسلم بن الحجاج فيمن ولد على عهد رسول الله ﷺ، وهو معدود في كبار التابعين، (ت ٧٤هـ). انظر: الاستيعاب (٣/ ١٠١٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

(٥) المقداد بن الأسود الكندي هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني ، يكنى أبا الأسود وقيل : كنيته أبو عمر، وقيل: أبو سعيد، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره، مات في خلافة عثمان سنة (٣٣هـ). انظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٨٠)، الإصابة (٦/ ٢٠٢).

(٦) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، أبو أيوب الأنصاري معروف باسمه وكنيته، من السابقين، شهد العقبة وبدرًا وما بعدها، ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده ، توفي في غزاة القسطنطينية سنة خمسين وقيل إحدى وقيل اثنتين وخمسين أو خمس وخمسين. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٠٦)، الإصابة (٢/ ٢٣٤).

(٧) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(٨) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المائدة: ٣١]: ((يبحث معناه يفتش التراب بمنقاره ويثيره. ومن هذا سميت سورة براءة البحوث، لأنها فتشت عن المنافقين))، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٩٤) . وقال أيضًا: ((والبحوث لأنها تبحث عن أسرار المنافقين)). الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٠).

(٩) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(١٠) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها. وفي الإتقان: أنّها تسمّى **المخزية** (١) _ بالخاء والزاي المعجمة وتحتية بعد الزاي _ وأحسب أنّ ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢). وفي الإتقان أنّها تسمّى **المنكِّلة** (٣)، أي بتشديد الكاف. وفيه أنّها تسمّى **المشدّدة**(٤).

وعن سفيان (٥) أنّها تسمّى **المدمدمة** (٦) بصيغة اسم الفاعل من دمدم إذا أهلك، لأنّها كانت سبب هلاك المشركين. فهذه أربعة عشر اسماً)) (٧).

ومن خلال ما سبق نقله، فإن بعض السلف قد أطلقوا عليها أسماء تناسب موضوعًا أو أمرًا ذُكر في السورة، والذي جاء به الطاهر هو وجه تسميتها بالمخزية، فذكر أن ذلك لورود آية فيها خزي الله للكافرين. ويظهر من خلال هذه التسميات، تناسبها مع ما جاء في السورة من الحديث عن المنافقين والكافرين، وما جاء فيها من أحكامهم، وهتك أستارهم، وعذابهم، وكل ذلك من أغراض هذه السورة العظيمة. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ١٥٦).

(٢) جزء من الآية (٢) من سورة التوبة.

(٣) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

(٤) انظر: المصدر السابق. وفيه: (المشردة) وليس المشددة، فقد يكون خطأ مطبعيًا.

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري الكوفي ، الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ، قال ابن المبارك: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان، وقال وكيع: كان سفيان بحرًا، (ت ١٦١). انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٩٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٣).

(٦) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

(٧) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٦_ ٩٧).

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

لقد نزلت سورة التوبة في السنة التاسعة من الهجرة، متفرقة على أيام ذلك العام وشهوره، فنزلت أجزاء منها قبل غزوة تبوك وبعدها، ونزل صدرها في أواخره قبيل موسم حج ذلك العام.

نزلت في زمن طابت فيه الثمار، واشتد فيه الحرّ، وركن الناس إلى الدعة، ذاك هو زمن العسرة، وذاك هو وقت الابتلاء والامتحان من الله، وقت خروج النبي ﷺ إلى موقعة تبوك لغزو الروم، ليظهر مَن آمن، ويُفتضح مَن نافق.

جاءت التوبة بنبذ العهود وردّها على المشركين، والأمر بقتالهم، ونفي عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجيج عنهم، ولَحِق بهم في الخزي إخوانهم من أهل الكتاب، وفي الفضيحة معاونوهم من المنافقين.

جاءت السورة لترسم الخطوط العريضة للعلاقات بين المجتمع المسلم وبين غيره من المجتمعات، بعد أن عزّ أمر الإسلام، واغتنى المسلمون، وصارت لهم منعة وشوكة. جاءت لتجعل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء لمن عاداه وبقي على كفره وجهله. جاءت لتضع أحكام السلم والحرب، والجهاد والصدقات، وتبني دستورًا للأمة تسير عليه في علاقاتها الخارجية والداخلية، فكانت ضمانة وأمنًا لكيان الإسلام، فشرّدت السورة أمر المشركين، وهتكت أستار المنافقين، وقضت على مكر أهل الكتاب الماكرين، وتصدّت للأعداء خارج دولة الإسلام.

ورغم كل الشدة التي في السورة، ومع عدم تصدّر البسملة أولها، إلا أن آياتها أبقت باب التوبة مفتوحًا للجميع، مسلمهم وكافرهم ومنافقهم؛ لأن الإسلام يأبى أن ييأس الناس من رحمة خالقهم ومولاهم. وخُتمت أخيرًا بالرحمة المهداة، والنعمة المسداة، رسول الرحمة، وقائد الأمة، ليكتمل أمر تلك الأحكام، بذكر المُبلِّغ عن الله تعالى رسول الأنام، ويعلم العالم كله أمر دين الإسلام، فإن تولوا وأبوا فإن الله حسبه وكافيه.

وقد جاءت أيات السورة منسجمة المقاطع، متناسقة الموضوعات، وقد جعلها الطاهر في بضعة عشر غرضًا ومقصدًا، وهي (١):

١ــ افتتحت السورة بتحديد مدّة العهود التي بين النبي ﷺ وبين المشركين وما يتبع ذلك من حالة حرب وأمن وفي خلال مدة الحرب مُدةُ تمكينهم من تلقّي دعوة الدين وسماع القرآن. وأتبع بأحكام الوفاء والنكث وموالاتهم.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٩٩ــ ١٠١) بتصرف.

٢_ منع المشركين من دخول المسجد الحرام وحضور مناسك الحجّ . إبطال مناصب الجاهلية التي كانوا يعتزّون بأنّهم أهلها. وإعلان حالة الحرب بين المسلمين وبينهم .

٣_ إعلان الحرب على أهل الكتاب من العرب حتّى يعطوا الجزية، وأنّهم ليسوا بعيدًا من أهل الشرك وأن الجميع لا تنفعهم قوتهم ولا أموالهم.

٤_ حُرمة الأشهر الحرم. وضبط السنة الشرعية وإبطال النسيء الذي كان عند الجاهلية.

٥_ تحريض المسلمين على المبادرة بالإجابة إلى النفير للقتال في سبيل الله ، ونصر النبي ﷺ وأنّ الله ناصر نبيّه وناصر الذين ينصرونه، وتذكيرهم بنصر الله رسوله يوم حنين ، وبنصره إذ أنجاه من كيد المشركين بما هيّأ له من الهجرة إلى المدينة.

٦_ الإشارة إلى التجهيز بغزوة تبوك.

٧_ ذم المنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلّف بلا عذر. وصفات أهل النفاق من جبن وبخل وحرص على أخذ الصدقات مع أنّهم ليسوا بمستحقيّها.

٨_ ذكر أذَى المنافقين للرسول ﷺ بالقول. وأيمانهم الكاذبة وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وكذبهم في عهودهم وسخريتهم بضعفاء المؤمنين .

٩_ الأمر بضرب الجزية على أهل الكتاب . ومذمّة ما أدخله الأحبار والرهبان في دينهم من العقائد الباطلة، ومن التكالب على الأموال.

١٠_ أمر الله بجهاد الكفّار والمنافقين. ونهي المؤمنين عن الاستعانة بهم في جهادهم والاستغفار لهم. ونهي نبيه ﷺ عن الصلاة على موتاهم. وضرب المثل بالأمم الماضية.

١١_ ذكر الذين اتّخذوا مسجدَ الضرار عن سوء نية ، وفضل مسجد قباء ومسجد الرسول بالمدينة.

١٢_ وصف حالة الأعراب من مُحسنهم ومسيئهم ومهاجرهم ومتخلّفهم .

١٣_ مقابلة صفات أهل الكفر والنفاق بأضدادها صفات المسلمين ، وذكر ما أعدّ لهم من الخير . وذكر في خلال ذلك فضْل أبي بكر. وفضل المهاجرين والأنصار.

١٤_ التحريض على الصدقة والتوبة والعمل الصالح.

١٥_ الجهاد وأنّه فرض على الكفاية. والتّذكير بنصر الله المؤمنين يوم حنين بعد يأسهم.

١٦_ التّنويه بغزوة تبوك وجيشها. والذين تاب الله عليهم من المتخلّفِين عنها.

١٧_ الامتنان على المسلمين بأن أرسل فيهم رسولاً منهم جبله على صفات فيها كلّ خير لهم .

١٨_ شرع الزكاة ومصارفها والأمر بالفقه في الدين ونشر دعوة الدين.

ويظهر مما حرّره الطاهر، إلمامه بجميع مقاصد السورة التي دارت حولها، وأن هذه الأغراض يمكن تلخيصها بأنها في شؤون المسلمين الداخلية مع المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وفي أحكام الجهاد، والمسالمة والمحاربة، وفي استعدادات غزوة تبوك وما حدث بعدها . وفي تنظيم علاقات المجتمع المسلم الخارجية مع المجتمعات الأخرى لأن السورة نزلت وقد بدأ الإسلام بالانتشار خارج الجزيرة.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر: ((الفاء للتفريع على معنى البراءة، لأنّها لمّا أمر الله بالأذان بها كانت إعلامًا للمشركين، الذين هم المقصود من نقض العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فضمير الخطاب في فعل الأمر معلوم منه أنّهم الموجه إليهم الكلام وذلك التفات . فالتقدير: فليسيحوا في الأرض ونكتة هذا الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما أعلمهم سبحانه بأنه رد إليهم عهدهم، وكانوا مختلطين مع أهل الإسلام، جعل لهم مخلصاً إن آثروا البقاء على الشرك مع إعلامهم بأنه لا خلاص لهم لأنهم في قبضته، فقال مخاطباً لهم ولكل مشرك مسبباً عن البراءة: ﴿فَسِيحُوا۟﴾)) (٣).

من خلال ما سبق نقله، اتفق المفسرون على أن هذه الآية إعلام للمشركين بنقض العهد معهم لئلا يُنسب للمسلمين الغدر، وإنذار للمشركين وتخويف وتأجيل لهم بعد البراءة المذكورة في الآية السابقة، ليراجعوا أنفسهم في المدة المضروبة فيُسلموا أو يدفعوا الجزية أو ليس لهم إلا القتال. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ﴾: ((عطف على ﴿فَسِيحُوا۟﴾ داخل في حكم التفريع، لأنّه لمّا أنبأهم بالأمان في أربعة الأشهر عقّبه بالتخويف من بأس الله احْتراسًا من تطرّق الغرور، وتهديدًا بأنّ لا يطمئنوا من أنْ يسلّط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم، وإن قبعوا في ديارهم. وافتتاح الكلام بـ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ للتنبيه على أنّ ممّا يحقّ وعيه، والتدبر فيه)) (٤).

---

(١) الآية (٢) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٥).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٦٦).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٦ـ ١٠٧).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان الإسلام قد ظهر بعد أن كان خفيًا، وقوي بعد أن كان ضعيفاً، افتتح وعظهم بالكلمة التي تقال أولاً لمن يراد تقريع سمعه وإيقاظ قلبه وتنبيهه على أن ما بعدها أمر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ﴾ أي أيها الكفرة وإن كثرتم ﴿غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ لأن علمه محيط بكل شيء فهو قادر على كل ممكن ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي لما له من الإحاطة بالجلال والإكرام ﴿مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي كلهم منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة لأن قوله قد سبق بذلك، ولا يبدل القول لديه، والإخزاء: الإذلال مع إظهار الفضيحة والعار - . وأظهر الوصف موضع الضمير تعميماً وتعليقاً للحكم به؛ ولعل الالتفات إلى الخطاب إشارة إلى أن من ترك أمر الله حدباً على قريب أو عشير فهو منهم، وقد برئت منه الذمة، فلينج بنفسه ولا نجاء له، أو يكون لاستعطاف الكفار لهذيذ الخطاب وترهيبهم بزواجر العقاب)) (١).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها معطوفة على ﴿فَسِيحُواْ﴾ ، داخل في حكم التفريع السابق، ثم ألبسها ثوبًا بلاغيًا بأنها احتراس.

أما البقاعي فقد ذكر السر في وعظهم بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾.

ومما سبق يظهر تميز الطاهر في المناسبات التي يذكرها . فتكون المناسبة أنه لما أمّنهم وأمهلهم، أتبع ذلك بتخويفهم وتهديدهم بأنهم لا يعجزون الله، فهو قادر على أن يُسلط عليهم المسلمون في غير الأشهر الحرم، وفي أي وقت كان. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن في هذا الإمهال للكافرين رحمة من الله وإنذار، وفرصة للتراجع عن الكفر، والاستسلام لله سبحانه، الذي وسعت قدرته وعظمته كل شيء فلا يعجزه شيء في الدنيا ولا في الآخرة.

وفيه تنبيه على أنه لا يفوت أحد من عذاب الله تعالى، فيجب الاحتراس من الغرور والعجب وغير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى الاطمئنان والدعة إلى العصيان، ونسيان بأس الله وسخطه . فعلى الإنسان أن لا يرفل في الدعة فينسى ويغفل، لأن الله تعالى يمهل ولا يُهمل.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٦٦).

٢ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

قال الطاه ر: ((عطف على جملة ﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ (٢) وموقع لفظ ﴿ وَأَذَٰنٞ ﴾ كموقع لفظ ﴿بَرَآءَةٞ ﴾ في التقدير، وهذا إعلام للمشركين الذين لهم عهد بأنّ عهدهم انتقض ... وإضافة الأذان إلى الله ورسوله دُون المسلمين، لأنّه تشريع وحكم في مصالح الأمّة ، فلا يكون إلاّ من الله على لسان رسوله ﷺ وهذا أمر للمسلمين بأن يأذنوا المشركين بهذه البراءة ، لئلا يكونوا غادرين، كما قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ (٣). والمراد بالناس جميع الناس من مؤمنين ومشركين لأن العلم بهذا النداء يَهُمّ الناس كلّهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن قوله ﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ جملة تامة مخصوصة بالمشركين، وقوله ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ جملة أخرى تامة معطوفة على الجملة الأولى وهي عامة في حق جميع الناس ، لأن ذلك مما يجب أن يعرفه المؤمن والمشرك من حيث كان الحكم المتعلق بذلك يلزمهما جميعاً ، فيجب على المؤمنين أن يعرفوا الوقت الذي يكون فيه ، القتال من الوقت الذي يحرم فيه فأمر الله تعالى بهذا الإعلام يوم الحج الأكبر ، وهو الجمع الأعظم ليصل ذلك الخبر إلى الكل ويشتهر)) (٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما أنزل البراءة، أمر بالإعلام بها في المجمع الأعظم ليقطع الحجج، فقال عاطفاً ظهرة الجملة إلى مضمونها: الإخبار بوجوب الإعلام بما ثبت بالجملة الأولى المعطوفة عليها من البراءة: ﴿ وَأَذَٰنٞ ﴾ أي وهذا إعلام وإعلان واقع وواصل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي المحيط بجميع صفات العظمة ﴿وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أي

---

(١) الآية (٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة التوبة.

(٣) الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٧ــ ١٠٨).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٧٦).

الذي عظمته من عظمته، فلا يوجهه إلى شيء إلا أعلاه عليه ؛ ولما كان المقصود الإبلاغ الذي هو وظيفة الرسول، عداه بحرف الانتهاء فقال: ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي كلهم من أهل البراءة وغيرهم)) (١).

من خلال المنقول السابق، اتحد معنى ما ذكره المفسرون من مناسبات رغم اختلاف ألفاظهم، فتكون المناسبة أنه لما أنزل البراءة، أعقب ذلك بالأمر بإعلانها وإعلامها للناس يوم الحج الأكبر، لتصل وتبلغ مسامع الجميع من مسلمين وكافرين لأن الأمر مُهمٌّ أن يعلموه أجمعين.

وزاد الطاهر مناسبة إضافة الأذان إلى الله ورسوله؛ فذكر أنه تشريع من الله للأمة لا يكون إبلاغه إلا على لسان رسوله، وفيه أمر للمسلمين بأن يُعلموا المشركين بالبراءة حتى لا يكونوا غادرين . وذكر البقاعي أن هذا الإبلاغ وظيفة الرسول. وهو قريب من قول الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لضرورة الإنباء بنقض العهد، وأن ذلك من أخلاقيات الإسلام وأسسه . وأنه تعالى ذكره نَسَبَ الأذان إليه وإلى رسوله لأهمية ما يُعْلَم الناس به، فهو تشريع يجب أن يُنفّذ . وكذلك إذا كان هناك أمر مهم وطارئ فإن من أدب الإسلام أن يتمّ إعلامه وأذانه على الجميع سريعًا وبأوضح العبارات وأصرحها لئلا يكون هناك عذر لمتعذر في عدم الفهم أو في وصول البلاغ إليه متأخرًا، وكذلك من أدبه اختيار المكان والزمان المناسبين للتبليغ بأمر يهم الجميع فيُذاع ويُنشر بينهم فيَبْلُغُ مَن حَضَرَ ومَن لم يحضر.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٧٦).

٣_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر: ((استثناء من المشركين في قوله : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ ﴾ (٢)، ومن ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) لأنّ شأن الاستثناء إذا ورد عقب جمل أن يرجع إلى ما تحتويه جميعُها ممّا يصلح لِذلك الاستثناء، فهو استثناء لهؤلاء: من حكم نقض العهد، ومن حُكم الإنذار بالقتال، المترتّب على النقض ، فهذا الفريق من المشركين باقون على حرمة عهدهم وعلى السلم معهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما أعلمهم بالبراءة وبالوقت الذي يؤذن بها فيه، وكان معنى البراءة منهم أنه لا عهد لهم، استثنى بعض المعاهدين)) (٥).

من خلال السابق، ذكر الطاهر المناسبة ضمنًا، وذكر المستثنى منه، وأن شأن الاستثناء إذا ورد عقب جمل أن يرجع إلى ما تحتويه جميعها مما يصلح ذلك . أما البقاعي فقد ذكر المناسبة صريحة ولم يتعرض للمستثنى منه.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر البراءة من المشركين، ونقض العهد معهم، وإنذارهم بالعذاب والقتال لنقضهم، استثنى منهم مَن عاهدوا وبقوا على العهد. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان حرمة العهود في الدين الإسلامي ما دامت مدتها قائمة، ووجوب الالتزام بها وإتمامها.

---

(١) الآية (٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١١١_ ١١٢).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٧٠).

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ تذييل في معنى التعليل للأمر بإتمام العهد إلى الأجل بأنّ ذلك من التقوَى، أي م ن امتثال الشر ع الذي أمر الله به ، لأنّ الإخبار بمحبة الله المتّقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ تنبيه على أن الوفاء بالعهد من التقوى)) (٢).

٢ــ قال الرازي: ((يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلتين ، أو يكون المراد أن هذه الطائفة لما أنفوا النكث ونقض العهد، استحقوا من الله أن يصان عهدهم أيضاً عن النقض والنكث)) (٣).

٣ــ قال أبو حيان : ((وقوله يحب المتقين تنبيه على أنّ الوفاء العهد من التقوى وأنّ من التقوى أن لا يسوي بين القبيلتين)) (٤).

٤ــ قال البقاعي : ((ولما كانت محافظتهم على عهدهم من أفراد التقوى، وكان الأمر بالإحسان إلى شخص من أفعال المحب، قال تعالى معللاً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي يفعل بهم وبكم أفعال المحب، فهو قول حاث للكل على التقوى، وكل يتزله على ما يفهم، فهو من الإعجاز الباهر)) (٥).

٥ــ قال الألوسي: ((تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة العهد من باب التقوى وأن التسوية بين الغادر والوفي منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركًا)) (٦).

ومن خلال السابق يذكر المفسرون مناسبة الختام بـــ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فذكر الطاهر أنه لما أمرهم بإتمام العهد للمشركين الذين لم ينقضوا العهد، أتبعه بذكر التقوى لأن امتثال أمر الله وإيفاء العهود هو من صفات المتقين، والله يحب المتقين.

و لم يختلف معنى ما ذكره الطاهر عن بقية المفسرين سوى باللفظ، وزاد بعضهم أنه جاء على ذكر التقوى لأنه لا يساوى بين من نقض العهد وبين من حافظ عليه، فمن التقوى معام لتهم بالعدل وإتمام عهدهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١١٣).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٨).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٧٩).

(٤) البحر المحيط (٥/ ١١).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٧١).

(٦) روح المعاني (٩/ ٦٩).

أثر المناسبة:

إظهار للأخلاق الإسلامية حتى في التعامل مع غير المسلمين، ما داموا محافظين على وعودهم مع أهل الإسلام.

وبيان أن التقوى هي الباعثة على الامتثال، وأن مراعاة العهود من مظاهر التقوى.

٤ــ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني، نشأ عن قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ (٢) ثم عن قوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٣) وعن قوله ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٤) التي كانت تدرجًا في إبطال ما بينهم وبين المسلمين من عهود سابقة ، لأنّ ذلك يثير سؤالاً في نفوس السامعين من المسلمين الذين لم يطلعوا على دخيلة الأمر ، فلعلّ بعض قبائل العرب من المشركين يتعجّب من هذه البراءة، ويسأل عن سببها، وكيف أنهيت العهود وأعلنت الحرب، فكان المقام مقام بيان سبب ذلك ، وأنّه أمران: بُعد ما بين العقائد، وسبق الغدر)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال البقاعي: ((ولما كان الأمر بالنبذ مظنة لأن يعجب منه، عجب فقال : فمن يتعجب منه؟ وأنكر عليه فقال: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي أهل العراقة في الشرك الذين توجب عراقتهم فيه ومحبتهم لظهوره نكثَ العهد الذي لا أقبح منه عند العرب ولا أشنع ﴿ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال، فهو لا يحب النقض من أوليائه فكيف به من أعدائه ﴿ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ أي الذي هو أكمل الخلق وأوفاهم وأحفظهم للعهود وأرعاهم فهم أضداده فأعمالهم أضداد أعماله، وقد بدا منهم الغدر)) (٦).

٢ــ قال الألوسي: ((تبيين للحكمة الداعية لما سبق من البراءة ولواحقها والمراد من المشركين الناكثون لأن البراءة إنما هي في شأنهم)) (٧).

---

(١) الآية (٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٠ــ ١٢١).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢٧٢).

(٧) روح المعاني (٦/ ٧٥).

من خلال ما سبق نقله، فإن المناسبات المذكورة قد اتفقت في المعنى رغم اختلاف الألفاظ، فتكون المناسبة أنه لما ذكر البراءة وتوابعها، قد يتساءل سائل ويتعجب : ما موجبها؟ فبيّن الله تعالى في هذه الآية أسباب البراءة، وهي: الكفر، وسابقة الغدر من الكفار. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾: ((تعليل للأمر بالاستقامة. وموقع ﴿ إِنَّ ﴾ أولها، للاهتمام وهو مؤذن بالتعليل لأن ﴿ إِنَّ ﴾ في مثل هذا تغني غناء فاء، وقد أنبأ ذلك، التعليل، أنّ الاستقامة لهم من التقوى وإلاّ لم تكن مناسبة للإخبار بأنّ الله يحبّ المتّقين . عقّب الأمر بالاستقامة لهم، وهذا من الإيجاز. ولأنّ في الاستقامة لهم حفظاً للعهد الذي هو من قبيل اليمين)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((وعلل سبحانه بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ على طرز ما تقدم حذو القذة بالقذة)) (٢).

من خلال المنقول السابق، لم تختلف معاني مناسبات المفسرين سوى في ألفاظها، فتكون المناسبة أنه لما أمرهم بالاستقامة في إتمام العهد مع المشركين الذين لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين، أعقبه بالتنويه بمحبة الله للمتقين لأن الاستقامة لهؤلاء المشركين وحفظ عهدهم هو من التقوى. والله تعالى أعلم(٣).

أثر المناسبات:

بيان أن هذا الإنكار وتلك البراءة هي معاملة بالمثل، فمن استقام اُستقيم له، ومن أضمر وغدر فلا مراعاة لعهده. والتأكيد مرة أخرى على أن الوفاء بالعهود والشروط هو من التقوى.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٣).

(٢) روح المعاني (٦/ ٧٦).

(٣) وقد جاءت مثل هذه المناسبة قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. انظر: المناسبة الثالثة من سورة التوبة في هذا البحث.

٥_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾: ((عطف على جملة: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ لمناسبة أنّ إثبات الاعتداء العظيم لهم، نشأ عن الحقد، الشيء الذي أضمروه للمؤمنين ، لا لشيء إلاّ لأنّهم مؤمنون كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٢)))(٣).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر مناسبة ختم الآية، أنه ختم بوصفهم بالاعتداء تنبيهًا إلى أن سبب العدواة هو حقدهم على المؤمنين، وأن سبب ذلك الحقد هو الإيمان . وهذه من تفرداته على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لصفة أخرى من صفات المشركين، فهُم على فسقهم معتدون أيضًا ومتجاوزون ظالمون ، يحّركهم حقدهم على الإسلام وأهله، فلا تعنيهم القرابات ولا المعاهدات.

---

(١) الآية (١٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٨) من سورة البروج.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٧).

٦_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر : ((تفريع حكم على حكم لتعقيب الشدّة باللين إن هم أقلعوا عن عداوة المسلمين بأن دخلوا في الإسلام لقصد مَحو أثر الحنق عليهم إذا هم أسلموا أعقب به جملة: ﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ (٢) تنبيهًا لهم على أنّ تداركهم أمرهم هين عليهم ، وفرّع على التوبة أنّهم يصيرون إخوانًا للمؤمنين . ولمّا كان المقام هنا لذكر عداوتهم مع المؤمنين جعلت توبتهم سببًا للأخوّة مع المؤمنين، بخلاف مقام قوله قبله ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾ (٣) حيث إنّ المعقّب بالتوبة هنالك هو الأمر بقتالهم والترصّد لهم ، فناسب أن يفرّع على توبتهم عدم التعرّض لهم بسوء. وقد حصل من مجموع الآيتين أنّ توبتهم توجب أمنهم وأخُوّتهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن حال من لا يرقب في الله إلاً ولا ذمة، وينقض العهد وينطوي على النفاق ويتعدى ما حد له ، بيّن من بعد أنهم إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة كيف حكمهم ، فجمع ذلك الشيء بقوله ﴿ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ وهو يفيد جملة أحكام الإيمان، ولو شرح لطال)) (٥).

٢_ قال البقاعي: ((ولما بيّن ما أوجب بعُدهم منهم ومعاداتهم لهم، بيّن ما يصيرون به أهلاً فقال ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ أي بالإيمان بسبب ما أبديتم لهم من الغلظة ﴿ وَأَقَامُواْ ﴾ أي أيدوا ذلك بأن أقاموا ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي بجميع حدودها ﴿ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي كما حده رسول الله ﷺ ﴿ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ أي هم، وبيّن أنها ليست أخوة النسب فقال : ﴿ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه)) (٦).

---

(١) الآية (١١) من سورة التوبة.

(٢) من الآيتين (٩_ ١٠) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٧).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٥).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢٧٦).

من خلال النقل السابق، يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، وأيضًا علاقتها بأختها : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ ۚ ﴾ (١)، ثم ذكر أنه حصل من مجموع الآيتين أن توبتهم توجب أمنهم وأخوتهم.

وذكر الرازي والبقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها مباشرة، ولم يتعرضا للآية الأخرى التي فيها ذكر للتوبة.

فتكون مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تفريع حكم على حكم، فبعد أن بيّن حالهم من نقض للعهد وأنهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، عقّب بعد تلك الشدة بأنه يمكنهم تدارك ذلك بالتوبة .

وفي مناسبة تعقيب التوبة بالأخوة، فإنه لما كان الحديث قبله عن عداوتهم مع المسلمين، ناسب أن يعقّب التوبة هنا بذكر حكمهم وهو الأخوة مع المسلمين، فيشملهم جميع أحكام الدين. وفي نظيرتها كان الحديث عن الأمر بقتالهم وتشريدهم والتضييق عليهم، فناسب أن يعقّب التوبة بتخلية سبيلهم وعدم التعرض لهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الإيمان يجُبُّ ما قبله، ويمحو آثار العدواة، وأن ضدّه ــ وهو الكفر ــ يوجب التفرقة، ويفكك عرى الأخوة، فإذا آمنوا نالوا بإيمانهم الأمن والإخاء في الإسلام، وانطبقت عليهم سائر الأحكام، وهذا من مبادئ الولاء والبراء اللذين جاءت بهما السورة . وفيه دلالة على عظم الأخوة الإسلامية وعلوّها على جميع العلاقات.

وما كانت تلك الأخوة ستحصل إلا بفتح باب التوبة لهم ليتداركوا، ولا عجب فهي سورة التوبة رغم ما فيها شدة ! وهذا فيه بيان لأسلوب من أساليب القرآن الكريم، فهو يذكر اللين ثم الشدة، والترهيب ثم الترغيب، وبالعكس.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾: ((اعتراض وتذييل، والواو اعتراضية، ومناسبة موقعه عقب قوله : ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ (٢) أنّه تضمّن أنّهم لم يهتدوا بآيات الله ونبذوها على علم بصحّتها كقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ﴾ (٣) ،

---

(١) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

وباعتبار ما فيه من فرض توبتهم وإيمانهم إذا أقلعوا عن إيثار الفساد على الصلاح، فكان قوله: ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ جامعًا للحالين، دالاً على أنّ الآيات المذكورة آنفًا في قوله : ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (١) آيات واضحة مفصّلة، وأنّ عدم اهتداء هؤلاء بها ليس لنقص فيها ولكنّها إنّما يهتدي بها قوم يعلمون، فإن آمنوا فقد كانوا من قوم يعلمون . ويفهم منه أنّهم إن اشتروا بها ثمنًا قليلاً فليسوا من قوم يعلمون ، فنُزّل علمهم حينئذ منزلة عدمه لانعدام أثر العلم، وهو العمل بالعلم ، وفيه نداء عليهم بمساواتهم لغير أهل العقول كقوله:﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٢)))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي : ((قال صاحب الكشاف(٤): وهذا اعتراض وقع بين الكلامين والمقصود الحث والتحريض على تأمل ما فصلّ من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها)) (٥).

٢ــ قال أبو حيان: ((وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين بين قوله ﴿ فَإِن تَابُوا۟ ﴾ وقوله ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ ﴾ (٦) بعثًا وتحريضًا على تأمل ما فصلّ تعالى من الأحكام وقال ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم)) (٧).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل بعثًا وتحريضًا على تأمّل ما فصلّ: قد فصلّنا لكم أمرهم في هذه الآيات تفصيلاً، عطف عليه قوله: ﴿ وَنُفَصِّلُ ﴾ أي في كل أمر يحتاجون جميع ﴿ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ وعظم هذه الآيات وحثهم على تدبرها بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي صار العلم لهم صفة فلهم ملكة يتصرفون بها في أصوله وفروعه، لا يغترون بمجرد كلام من شأنه الرداءة والمخالفة بين القول والعمل، والاعتراض بهذا بين هذه الجمل المتلاحمة إشارة إلى عظم الأمر الذي نبّه عليه وتحريض على إنعام النظر فيه ليعلم أن مدخوله جليل الأمر عظيم القدر لئلا يظَنّ أنه تكرار)) (٨).

---

(١) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٤٣) من سورة العنكبوت.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٨).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٣٤).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٦).

(٦) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٧) البحر المحيط (٥/ ١٦).

(٨) نظم الدرر (٣/ ٢٧٦ــ ٢٧٧).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة التذيل هنا، فلما ذكر قبلاً أنهم ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ (١) فهم لم يهتدوا بها رغم علمهم بصحتها، ثم لما ذكر التوبة هنا ذكر بعدها ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ فكأنه جمع بين الكلامين السابقين، فالآيات واضحة مفصلة فلم يؤمنوا بها، وعدم توبتهم جعلهم لا يعلمون، فانعدم علمهم لانعدام انتفاعهم به.

و لم يختلف بقية المفسرين عن أن الجملة معترضة بقصد التنبيه والتحريض على تأمل ما فصّل من أحكام المعاهدين، وإشارة أنه لا يعي تلك الأحكام ولا تلك الآيات إلا أصحاب العلم والفهم. وما ذكره الطاهر أجزل. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر: ((وعطف هذا التذييل على جملة : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ لأنّه به أعلق، لأنّهم إن تابوا فقد صاروا إخوانًا للمسلمين، فصاروا من قوم يعلمون، إذ ساووا المسلمين في الاهتداء بالآيات المفصّلة)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة التعقيب بـــ ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ هنا بعد ذكر التوبة أنسب، لأنهم إن تابوا وآمنوا نالوا أخوة المسلمين فصاروا مثلهم يهتدون بالآيات ويعلمون.

وما ذكره الطاهر هنا هو من تفرداته، فهو ربطها بما قبلها من آيات وربطها بما جيء في الآية من ذكر أخوة الدين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان أن الذين يهتدون وينتفعون بآيات الله تعالى الواضحات، هم المؤمنون . وأن الكفار لما أعرضوا واشتروا بها ثمنًا قليلاً لم ينتفعوا بعلمهم بها لانتفاء أثره وتطبيقه، فصاروا في عداد الذين لا يعلمون.

---

(١) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٨).

٧_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا استوفى البيان لأصناف المشركين الذين أ مر الله بالبراءة من عهدهم بقوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢) وإنّما كان ذلك لإبطانهم الغدر، والذين أمر بإتمام عهدهم إلى مدّ تهم ما استقاموا على العهد بقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ ﴾ (٣) الآيات، والذين يستجيبون عَطَف على أولئك بيان الذين يعلنون بنكث العهد، ويعلنون بما يسخطُ المسلمين من قولهم، وهذا حال مضادّ لحال قوله : ﴿ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (٤) ... وعبّر عن نقض العهد بنكث الأيمان تشنيعًا للنكث ، لأنّ العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء ولذلك سمّي العهد حلفًا . وزيد قوله: ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ زيادة في تسجيل شناعة نكثهم: بتذكير أنّه غدْر لعهد، وحنث باليمين)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن السبب الموجب لمجازاتهم بجنس عملهم، وهو البراءة منهم وما يتبع ذلك إلى أن ختم بتقدير توبتهم، رجع إلى قسيم قوله ﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ ﴾ (٦) فقال: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾ أي التي حلفوها لكم؛ ولما كان النقض ضارًا وإن قصر زمنه، أتى بالجار فقال : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ أي الذي عقدوه ﴿ وَطَعَنُواْ ﴾ أي أوقعوا الطعن ﴿ فِي دِينِكُمۡ ﴾ أي بقول أو فعل)) (٧).

من خلال النقل السابق، يذكر الطاهر أنه لما بيّن أقسام المشركين من أول السورة، وأمر بالبراءة من عهدهم لإضمارهم الغدر، وأمر بإتمام العهد لمن استقام وحافظ عليه، عَطَفَ على أولئك مَن يعلنون نكث العهد، ويطعنون في الدين، وهذا حال مضادّ لحال من يُرضون المسلمين بأفواههم ويبطنون الغدر والخداع.

---

(١) الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٤) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٩).

(٦) جزء من الآية (٧) من سورة التوبة.

(٧) نظم الدرر (٣/ ٢٧٧).

أما البقاعي فذكر أنه لما أ وضح سبب البراءة منهم بسبب غدرهم، وفتح باب التوبة لهم، عاد إلى الذين أمر بإتمام العهد لهم ما استقاموا عليه، مُذكرًا إياهم بأيمانهم التي حلفوها.

وفي الإتيان بجملة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ ذكر الطاهر أنه لما عبّر عن نقض العهد بالنكث للأيمان لأن العهود يصاحبها الحلف على الوفاء، زاد هذه الجملة زيادة في بيان شناعة النكث الذي نكثوه، فهو غدر لعهد، بالإضافة إلى حنث ليمين. وعند البقاعي أنها بيان لسوء وضرر النقض وإن قصرت مدته.

وبالنظر في السابق، تكون مناسبة الطاهر تفصيل وبيان لكلام البقاعي الذي ذكر المناسبة إجمالاً. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تُظهر الآيات حالاً أخرى للمشركين، وهي حال الإعراض المعلن، والنكث الصريح، والطعن في الدين، فهم قوم لا يُؤمَن جانبهم وإن حلفوا وأغلظوا الأيمان، لذا صارت عهودهم لا قيمة لها، وليس لهم إلا القتال.

٨_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((تحذير من التواني في قتالهم عدا ما استثني منهم بعد الأمر بقتلهم، وأسرهم، وحصارهم، وسدّ م سالك النجدة في وجوههم، بقوله: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ (٢). وبعد أن أثبتت لهم ثمانية خلال تغري بعدم الهوادة في قتالهم، وهي قوله: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (٤) وقولُه ﴿ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (٥) وقولُه: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ (٦) وقولُه: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ (٧) وقولُه: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ (٨) وقولُه: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ (٩) وقولُه: ﴿ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾ (١٠). فكانت جملة ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾ تحذيرًا من التراخي في مبادرتهم بالقتال)) (١١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

---

(١) الآية (١٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٧) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٥) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٦) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٧) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٨) جزء من الآية (١٠) من سورة التوبة.

(٩) جزء من الآية (١٠) من سورة التوبة.

(١٠) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(١١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣١_ ١٣٢).

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ (١) أتبعه بذكر السبب الذي يبعثهم على مقاتلتهم فقال ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ ﴾ . واعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد، فكيف بها حال الاجتماع...)) (٢).

٢ــ قال أبو حيان: ((الحض عليها على سبيل المبالغة ، ولما أمر تعالى بقتل أهل الكفر ، أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم ، وهو ثلاثة أشياء جمعوها وكل واحد منها على انفراده كاف في الحض على مقاتلتهم)) (٣).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما نفى أيمانهم بنفي إيمانهم، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمور ارتكبوها، كل منها بسبب باعث على الإقدام عليهم، ويحث على قتالهم في صورة تعجيب ممن يتواني فيه فقال : ﴿ أَلَا ﴾ وهو حرف عرض، ومعناه هنا الحض لدخول همزة الإنكار على ال نافي فنفته فصار مدخولها مثبتاً على سبيل الحث عليه فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب ﴿ تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا ﴾)) (٤).

من خلال ما سبق نقله، يتبيّن أن هذه الآية وقعت موقع التحذير من الإبطاء في قتال هؤلاء المشركين الذين ذكر الله صفاتهم.

فعند الطاهر أنه لما أثبت للمشركين ثمان صفات توجب مقاتلتهم، حذّر المسلمين من التهاون في قتالهم. وتُعد مناسبة الطاهر من تفرداته.

أما الرازي فذكر أنه لما أمر في الآية السابقة بقتال أئمة الكفر، أتبع الأمر بالأسباب الموجبة لقتالهم . وإلى مثل قول الرازي ذهب أبو حيان والبقاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾: ((وهذا زيادة في التحريض على قتالهم . وفُرّع على هذا التقرير جملة ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ أي فالله الذي أمركم بقتالهم أحقّ أن تخشوه إذا خطر في نفوسكم خاطر عدم الامتثال لأمره، إن كنتم مؤمنين ، لأنّ الإيمان يقتضي الخشية من الله وعدم التردّد في نجاح الامتثال له . وجيء بالشرط المتعلّق بالمستقبل، مع

---

(١) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٧).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٧٧).

أنّه لا شكّ فيه، لقصد إثارة همّتهم الدينية فيبرهنوا على أنّهم مؤمنون حقّا يقدمون خشية الله على خشية الناس))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ولما شرح تعالى هذه الموجبات الثلاثة زاد فيها، فقال ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا الكلام يقوي داعية القتال من وجوه : الأول: أن تعديد الموجبات القوية وتفصيلها مما يقوي هذه الداعية ، والثاني: أنك إذا قلت للرجل : أتخشى خصمك كان ذلك تحريكًا منه لأن يستنكف أن ينسب إلى كونه خائفًا من خصمه، والثالث: أن قوله ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ يفيد ذلك كأنه قيل: إن كنت تخشى أحدًا فالله أحق أن تخشاه لكونه في غاية القدرة والكبرياء والجلالة . والضرر المتوقع منهم غايته القتل، أما المتوقع من الله فالعقاب الشديد في القيامة والذم اللازم في الدنيا . والرابع: أن قوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ معناه: أنكم إن كنتم مؤمنين بالإيمان وجب عليكم أن تقدموا على هذه المقاتلة، ومعناه أنكم إن لم تقدموا عليها وجب أن لا تكونوا مؤمنين . فثبت أن هذا كلام مشتمل على سبعة أنواع من الأمور التي تحملهم على مقاتلة أولئك الكفار الناقضين للعهد))(٢).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما أمرهم بالقتال وكان مكروهًا إلى النفوس على كل حال . شرع يبين الأسباب الحاملة على التواني عن قتالهم، وحصرها في الخشية والعاطفة، وقسم العاطفة إلى ما سببه القرب في محاسن الأفعال وإلى ما سببه القرب في النسب والصهر، ونقض الكل وبيّن أنه لا شيء منها يصلح للسببية، فقال بادئًا بالخشية لأنها السبب الأعظم في ترك المصادمة منكرًا عليهم موبخًا لهم ليكون أبلغ في الحث على قتالهم منبهًا على أن التواني عنهم مصحح للوصف بالجبن ورقة الدين :﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ﴾ أي أتخافون أن يظفروا بكم في القتال بأن يكونوا على باطلهم أشد منكم على حقكم ﴿فَٱللَّهُ﴾ أي الذي له مجامع العظمة ﴿أَحَقُّ﴾ أي منهم ﴿أَن تَخْشَوْهُ﴾ أي بأن يكون مخشيًا لكم لما تعلمون من قدرته في أخذه لمن خالفه ولو بعد طول الأناة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي فإن من صدق بأنه الواحد الذي تفرد بصفات العظمة لم ينظر إلى غير هيبته))(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٤).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٧٩).

من خلال السابق نقله، يذكر الطاهر أنه لما حرّضهم على قتال المشركين، زاد في ذلك الحضّ بأن أثار همتهم الدينية ليُقدموا ويُدللوا على إيمانهم بقتالهم وعدم خشيتهم؛ لأن الإيمان يقتضي الخشية من الله وحده دون الناس، والامتثال لأمره.

ولم يختلف ما ذكره الطاهر عن معنى ما ذكروه المفسرون في مناسبة هذه الجملة للآية، واتفق بذلك مع الجميع أنه بعد أن بيّن الأسباب الموجبة لقتال المشركين، جاء بهذه الجملة على سبيل المبالغة في التحريض على قتالهم، وإنكار خشيتهم من قتال المشركين، فالله أحق بالخشية، وبذلك قطع جميع العوائق التي قد تعيق هذا الامتثال المبرهن على إيمانهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه من تناسب الآية، يظهر تعدد الأسباب الداعية لقتال هؤلاء المشركين، وأن الأمر بقتالهم لم يأتِ إلا عن استحقاق شديد.

ومع هذا التحريض إلا أنه سبحانه خبير بالنفوس، عليم بضعفها ورقتها وهو خالقها وبارئها، فقد يعتريها التردد، وينتابها الخوف، وتثنيها الجبلة الإنسانية، لذا حثّها على الإقدام، وأثار شجاعتها، وقطع مخاوفها، بأن لا تخشى إلا الله وحده، وأن ذلك من علامات إيمان العبد، وامتثاله لمولاه.

فهذا هو كتاب الله تعالى، يأتي بما يتناسب مع النفس الإنسانية، وبما يتوافق مع طبائعها، فيُعالج خورها، ويُطمْئنها، ويستحثّها، ويُرغّبها، ويُرهبّها، بما يتناسب مع طبيعتها والأمر الذي جاء به.

٩_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾(١)

قال الطاهر : ((استئناف ابتدائي للعود من غرض التحذير ، إلى صريح الأمر بقتالهم الذي في قوله : ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾(٢) وشأن مثل هذا العود في الكلام أن يكون باستئناف كما وقع هنا))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((قررت الآيات قبلها أفعال الكفرة ثم حض على القتال مقترناً بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك، ثم جزم الأمر بقتالهم في هذه الآية مقترناً بوعد وكيد يتضمن الرصرة عليهم والظفر بهم))(٤).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال في الآية الأولى ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا﴾(٥) ذكر عقيبه سبعة أشياء كل واحد منها يوجب إقدامهم على القتال . ثم إنه تعالى في هذه الآية أعاد الأمر بالقتال وذكر في ذلك القتال خمسة أنواع من الفوائد ، كل واحد منها يعظم موقعه إذا انفرد ، فكيف بها إذا اجتمعت؟))(٦).

---

(١) الآية (١٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٥).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٣).

(٥) جزء من الآية (١٣) من سورة التوبة.

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ٣).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما بكت(١) في التواني عنهم، وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم، بل يوجب إقدامهم عليهم ورغبتهم فيهم، فقال مصرحًا بما تضمنه الاستفهام الإنكاري في ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ ﴾ من الأمر: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ ﴾)) (٢).

٤ـ قال الألوسي: ((قاتلوهم تجريد للأمر بالقتال بعد بيان موجبه على أتم وجه والتوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب أعدائهم وإخزائهم وتشجيع لهم)) (٣).

من خلال المنقول السابق، اختلفت المناسبة التي ذكرها الطاهر عن بقية كلام المفسرين اختلافًا يسيرًا، فذكر الطاهر أن الآية مستأنفة، فلما حذّرهم من التواني في قتال المشركين، عاد إلى صريح الأمر بقتالهم في قوله ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾. وكلامه يقرب من قول البقاعي، فذكر أنه لما حذّرهم من التواني عنهم، وحثهم بأنه وحده الذي يُخشى، صرّح هنا بالأمر بالقتال.

ويُلاحظ توافق معنى ما ذهب إليه البقية، فإنه لما حضّ على قتال المشركين، مبينًا الأسباب الموجبة لذلك، أعاد الأمر بالقتال مبينًا فوائد مقاتلتهم. وهذه هي المناسبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لفوائد امتثال الأمر الرباني في قتال المشركين، وهذا تتمة لمراعاة النفس البشرية، فهو لما استثار الهمّة، وأيقظ الشجاعة، بيّن لهم فوائد إقدامهم وقتالهم للمشركين، فيزداد حماسهم، وتقوى عزيمتهم . وكأنّ الإتيان بالأمر الصريح هنا، تأكيد لتحقق تلك المنافع لا محالة.

---

(١) بكت بكته يبكته بكتًا بكته ضربه بالسيف والعصا ونحوهما، و التبكيت كالتقريع والتعنيف انظر: لسان العرب (١١/٢).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٧٩).

(٣) روح المعاني (٦/ ٨٤ـ ٨٥).

١٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾: ((جملة ابتدائية مستأنفة، لأنّه ابتداء كلام ليس ممّا يترتب على الأمر بالقتال، بل لذكر من لم يُقتَلوا، ولذلك جاء الفعل فيها مرفوعًا ، فدلّ هذا النظم على أنّها راجعة إلى قوم آخرين ، وهم المشركون الذين خانوا وغدروا، ولم يُقتلوا، بل أسلموا من قبل هذا الأمر أو بعده.

وتوبة الله عليهم : هي قبول إسلامهم أو دخولهم فيه ، وفي هذا إعذار وإمهال لمن تأخّر . وإنّما لم تفصل الجملة: للإشارة إلى أنّ مضمونها من بقية أحوال المشركين، فناسب انتظامها مع ما قبلها)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((والمعنى أن الآية استأنفت الخبر بأنه قد يتوب على بعض هؤلاء الكفرة الذين أمر بقتالهم)) (٣).

---

(١) الآية (١٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٧).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ١٤).

٢ــ نقل الرازي: ((هذا مذكور على سبيل الاستئناف ولا يمكن أن يكون جواباً لقوله ﴿قَٰتِلُوهُمۡ ﴾(١) لأن قوله ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ﴾ لا يمكن جعله جزاء لمقاتلتهم مع الكفار))(٢).

٣ــ قال أبو حيان: ((وهو استئناف إخبار بأنّ بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان ذلك عالم كثيرون وحسن إسلامهم)) (٣).

٤ــ قال الألوسي: ((ابتداء إخبار بأن بعض هؤلاء الذين أمروا بمقاتلتهم يتوب من كفره فيتوب الله تعالى عليه وقد كان كذلك حيث أسلم منهم أناس وحسن إسلامهم)) (٤).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم، فالجملة مستأنفة ابتدائيًا للإخبار عن قوم آخرين، وهم المشركون الذين أسلموا و لم يُقتلوا. والله أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، يظهر الإنباء عن معجزة ستحصل، وهي توبة بعض المشركين، ودخولهم في الإسلام مستقبلاً.

---

(١) جزء من الآية (١٤) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ٥).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٩).

(٤) روح المعاني (٦/ ٨٦).

١١ــ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر: ((هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام القابل، وهو مرتبط بما تضمّنته البراءة في قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) ولِمَا اتّصل بتلك الآية من بيان النبي ﷺ الذي أرسل به مع أبي بكر الصديق: أنْ لا يَحُج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُريان (٣). وهو توطئة لقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾ (٤))) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى بدأ السورة بذكر البراءة عن الكفار وبالغ في إيجاب ذلك وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة، ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهًا احتجوا بها في أن هذه

---

(١) الآية (١٧) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١) من سورة التوبة.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل، يراجع هامش رقم (٧)، (ص ١٩٠).

(٤) الآية (٢٨) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٩).

البراءة غير جائزة وأنه يجب أن تكون المخالطة والمناصرة حاصلة، فأولها ما ذكره في هذه الآية، وذلك أنهم موصوفون بصفات حميدة وخصال مرضية، وهي توجب مخالطتهم ومعاونتهم ومناصرتهم، ومن جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام)) (١).

٢ـ قال أبو حيان : ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر البراءة من المشركين وأنواعًا من قبائحهم توجب البراءة منهم ، ذكروا أنهم موصوفون بصفات حميدة توجب انتفاء البراءة منها : كونهم عامري المسجد الحرام)) (٢).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما حذّرهم من اتخاذ وليجة من دونه، شرع يبين أن الوليجة التي يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به من محاسن الأعمال ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذي هو الإيمان المبين بدلائله، فقال سائقاً له مساق جواب قائل قال: إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو إلى الكف عنهم من عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه! ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾)) (٣).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما افتتح السورة بالبراءة، وذكر ما يلزمها، ابتدأ هنا بذكر معاملة المشركين وهو منعهم من دخول المسجد الحرام، وهذا داخل في سبب نزول أولها، ومتواطئ مع آيات لاحقات. وهذه المناسبة من تفرداته.

وعند الرازي أنه لما بدأ السورة بالبراءة، وأتبعها بما يوجبها من ذكر قبائح المشركين، ابتدأ هنا بذكر ما احتجوا به ضد تلك البراءة من ذكر محاسنهم التي توجب مخالطتهم ونصرتهم، وكونهم عمّار المسجد الحرام. وبمثله قال أبو حيان، فقد ربطا الآية بما ذُكر من أول السورة.

أما البقاعي فذكر أنه لما حذّر في الآية قبلها من اتخاذ وليجة دون الله تعالى وأوليائه، عقّب ببيان أن كل الولائج لا تصلح إلا وليجة الإيمان، وإن كانت تلك الولائج حسنة خيّرة كإعمار المشركين المسجد الحرام، فكأنه جواب لسؤال: إن لهؤلاء القوم أفعال حسنة فلم لا يُكَفُّ عنهم؟ . ويظهر من قول البقاعي أن المقصود هو أن البراءة المأمور بها تمنع مخالطتهم وإن كانوا محسنين.

ومن خلال ما سبق، تكون جميع المناسبات متلائمة، وتفرد الطاهر بهذه الإضافة. والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٧).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٨١).

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وتقديم ﴿ وَفِي ٱلنَّارِ ﴾ على ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ للرعاية على الفاصلة ويحصل منه تعجيل المساءة للكفار إذا سمعوه)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((وإيراد الجملة اسمية للمبالغة في الخلود، والظرف متعلق بالخبر قُدّم عليه للاهتمام به ومراعاة للفاصلة)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت مناسبتا الطاهر والألوسي في كون التقديم رعاية للفاصلة، وأضاف الطاهر أن في التقديم تعجيلٌ لحصول المساءة للكافرين حين سماعه، وعبّر الألوسي بأنه للاهتمام. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

يتتابع السياق في إتمام أحكام البراءة المفتتح بها، ومنها: أن أفعال الكافرين الحسنة لا تقتضي نفي البراءة منهم، والعودة لمخالطتهم ومعاونتهم.

وفيه أيضًا الإشارة إلى أفعال الكافرين الشركية عند البيت الحرام، من عبادة للأصنام، والطواف عراة، وبالتالي فهم جمعوا بين عمارة المسجد الحرام والكفر بالله، وهذا ما لا ينبغي ولا يليق لتنافيه وتضاده؛ لأن الكفر محبط للعمل ولا ثواب على ذلك العمل في الآخرة مهما عَظُم، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (٣).

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤١).

(٢) روح المعاني (٦/ ٨٩).

(٣) الآية (٢٣) من سورة الفرقان.

١٢ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((موقع جملة ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الاستئناف البياني، لأنّ جملة: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ (٢) لمّا اقتضت إقصاء المشركين عن العبادة في المساجد كانت بحيث تثير سؤالاً في نفوس السامعين أن يتطلّبوا من هم الأحقّاء بأن يعمروا المساجد، فكانت هذه الجملة مفيدة جواب هذا السائِل)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

---

(١) الآية (١٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٧) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤١).

١ـ قال الرازي: ((لما بيّن أن الكافر ليس له أن يشتغل بعمارة المسجد بيّن أن المشتغل بهذا العمل يجب أن يكون موصوفًا بصفات أربعة الصفة الأولى قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾)) (١).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما نفى عنهم أهلية العمارة، بيّن من يصلح لها)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أن المناسبة استئناف بياني، ولم يصرح الرازي والبقاعي بذلك ولكنه يُفهم من كلام هما، ويتميز الطاهر على غيره في إيراد المناسبة، وصبغها بالصبغة البلاغية . فتكون المناسبة أنه لما نفى عن المشركين أن يكونوا عمّار المساجد والبيت الحرام، بيّن بعدها من يستحق تلك العمارة وما هي صفاتهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، و من تتابع سياق الآيات في نفي عمارة المسجد الحرام عن المشركين، وبيان أهل العمارة الجديرين بها، هذا كله فيه حثّ للمؤمنين على عمارة بيوت الله والمساجد، وأن تلك العمارة تكون بما يُرضي الله تعالى من صلاة وذكر وطاعة، وأن يُشرفوا على تلك المساجد عناية وترميمًا وتأسيسًا، لأن هذا فضل من الله وشرف أن يكونوا عمّار بيوته، وحرّي بهم أن يتصفوا بما وصف الله به العمّار.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾: ((وفرّع على وصف المسلمين بتلك الصفات رجاء أن يكونوا من المهتدين ، أي من الفريق الموصوف بالمهتدين وهو الفريق الذي الاهتداء خُلق لهم في هذه الأعمال وفي غيرها . ووجه هذا الرجاء أنّهم لما أتوا بما هو اهتداء لا محالة قوي الأمل في أن يستقرّوا على ذلك ويصير خُلُقًا لهم فيكونوا من أهله، ولذلك قال : ﴿ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ولم يقل أن يكونوا مهتدين.

وفي هذا حثّ على الاستزادة من هذا الاهتداء وتحذير من الغرور والاعتماد على بعض العمل الصالح باعتقاد أنّ بعض الأعمال يغني عن بقيتها.

والتعبير عنهم باسم الإشارة للتنبيه على أنّهم استحقّوا هذا الأمل فيهم بسبب تلك الأعمال التي عُدّت لهم)) (١).

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٨).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٨٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((أحسن الوجوه ما ذكره صاحب الكشاف (٢): وهو أن المراد منه تبعيد المشركين عن مواقف الاهتداء، وحسم أطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها ، فإنه تعالى بيّن أن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع وضموا إليها الخشية من الله، فهؤلاء صار حصول الاهتداء لهم دائرًا بين ــ لعل وعسى ــ فما بال هؤلاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله تعالى! وفي هذا الكلام ونحوه لطف بالمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء)) (٣).

٢ــ قال أبو حيان : ((وعسى من الله تعالى واجب حيثما وقعت في القرآن ، وفي ذلك قطع أطماع المشركين أن يكونوا مهتدين إذ مَن جمع هذه الخصال الأربعة جعل حاله حال من ترجى له الهداية ، فكيف بمن هو عار منها ، وفي ذلك ترجيح الخشية على الرجاء ، ورفض الاغترار بالأعمال الصالحة ، فربما دخلها بعض المفسدات وصاحبها لا يشعر بها)) (٤).

٤ــ قال البقاعي : ((ولما سبب عما مضى نفيًا وإثباتًا أن المتصف بهذه الأصاف يكون جديرًا بالهداية وحقيقًا بها، قال تعالى : ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي العالو الهمم ﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ﴾ أي جبلة ورسوخًا ﴿مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ فأقامهم - مع ما قدم لهم من الكمال بالمعارف والأفعال - بين الرجاء والخوف مع الإشارة بإفراد الخشية إلى ترجيح الخوف على الرجاء إيذانًا بعلو أمره وعظيم كبره إشارة إلى أنه لا حق لأحد عليه وأنه إن شاء أثاب، وإن أراد حكم - وهو الحكم العدل - بالعقاب، لا يسأل عما يفعل، وكرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وعزة المرام، ومادة عسى بجميع تصاريفها تدور على الحركة، وهذه بخصوصها للأطماع، والحاصل أن من اتصف بالأوصاف الأربعة كان صالحًا وخليقًا وجديرًا وحقيقًا بأن يتحرك طمعه ويمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى، فكيف توجبون أنتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة)) (٥).

٥ــ قال الألوسي: ((وإبراز اهتدائهم لذلك مع ما بهم من تلك الصفات الجليلة في معرض التوقع لحسم أطماع الكافرين عن الوصول إلى مواقف الاهتداء لأن هؤلاء المؤمنين وهم ــ هم ــ إذا كان أمرهم دائرًا بين لعل وعسى فما بال الكفرة بيت المخازي والقبائح ، وفيه قطع اتكال المؤمنين على أعمالهم وما هم

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٢).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤٣٦).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٠).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢١ ــ٢٢).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٨٣).

عليه وإرشادهم إلى ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ، وهذا هو المناسب للمقام لا الأطماع وسلوك سنن الملوك مع كون القصد إلى الوجوب ، وكون الكفرة يزعمون أنهم محقون وأن غيرهم على الباطل فلا يتأتى حسم أطماعهم لا يلتفت إليه بعد ظهور الحق وهذا لا ريب فيه.

وقيل: إن الأوصاف المذكورة ، وإن أوجبت الاهتداء، ولكن الثبات عليها مما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد يطرأ ما يوجب ضد ذلك والعبرة للعاقبة ، فكلمة التوقع يجوز أن تكون لهذا ولا يخفى ما فيه فإن النظر إلى العاقبة هنا لا يناسب المقام الذي يقتضي تفضيل المؤمنين عليهم في الحال)) (١).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة التذييل بالرجاء أن يكونوا من المهتدين، فيذكر أنه لما وصفهم بتلك الصفات ــ وهي من الاهتداء قطعًا ــ ختم الآية بالرجاء رجاء أن يبقوا عليها، وينطبق عليهم الوصف، حثًا لهم على الاستزادة، وعدم الاغترار ببعض عملهم الصالح، ليقوى أملهم ويصير دأبهم أن يسعوا لأن يكونوا من المهتدين. ورجّح الألوسي هذا المعنى.

وذكر بقية المفسرين أنها جاءت لقطع أطماع الكافرين في أن يكونوا من أهل الهدى، وأنها في ترجيح جانب الخوف على الرجاء لئلا يغتر المسلمون بعملهم ويعتمدوا عليه، وفي هذه وافقهم الطاهر.

ومن خلال ما سبق بيانه فإن ما ذهب إليه الطاهر موافقًا فيه الألوسي هو الأنسب؛ لأن السياق في تفضيل المؤمنين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

على المسلم أن يعيش في دائرة الخوف والرجاء متوازنًا، فيعمل العمل الصالح محبة لله، ورجاء الثواب من الله، وخوفًا من عدم قبوله ومن أليم عقابه . وهذا فيه حثّ على عمل الطاعات والصالحات على الدوام، وعدم الاعتماد على العمل الصالح، فلن يدخل الجنة أحد بعمله بل بفضل الله ورحمته (٢).

---

(١) روح المعاني (٦/ ٩٢ــ ٩٣).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ " قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال : "ولا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا ورُوحوا، وشَيْءٌ من الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا ". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، (٥/ ٢٣٧٣). رقم: [٦٠٩٨].

١٣_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((ظاهر هذه الآية يقتضي أنّها خطاب لقوم سَوَّوا بين سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام، وبين الجهاد و الهجرة، في أنّ كلّ ذلك من عمل البرّ ، فتؤذن بأنّها خطاب لقوم مؤمنين قعدوا عن الهجرة والجهاد ، بعلّة اجتزائهم بالسقاية والعمارة. ومناسبتها للآيات التي قبلها: أنّه لّما وقع الكلام على أنّ المؤمنين هم الأحقّاء بعمارة المسجد الحرام من المشركين دلّ ذلك الكلام على أنّ المسجد الحرام لا يحقّ لغير المسلم أن يباشر فيه عملاً من الأعمال الخاصّة به ، فكان ذلك مثار ظنّ بأنّ القيام بشعائر المسجد الحرام مساوٍ للقيام بأفضل أعمال الإسلام.

وأحسن ما روي في سبب نزول هذه الآية : ما رواه الطبري(٢)، والواحدي(٣)، عن النعمان بن بشير(٤)، قال: كنتُ عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : "ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلاَّ أنْ أسقي الحاج "؛ وقال آخر : "بل عمارة المسجد الحرام"، وقال آخر : "بل الجهاد في سبيل الله خير ممّا قلتم"، فزجرهم عمر بن الخطاب وقال : "لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صُلِّيَتْ الجمعة دخلتُ على رسول الله ﷺ فاستفتيه فيما اختلفتم فيه" قال:

---

(١) الآية (١٩) من سورة التوبة.

(٢) انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٥).

(٣) انظر: أسباب الترول، الواحدي (ص ١٧٣).

(٤) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، يُكْنى أبا عبد الله، له ولأبيه صحبة، قال الواقدي: كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة ، استعمله معاوية على الكوفة، قُتل سنة (٦٥هـ). انظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٩٦)، الإصابة (٦/ ٤٤٠).

فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١). وقد روي أنه سرى هذا التوهم إلى بعض المسلمين، فروي أن العباس رام أن يقيم بمكة ويترك الهجرة لأجل الشغل بسقاية الحاج والزائر؛ وأن عثمان بن طلحة(٢) رام مثل ذلك، للقيام بحجابة البيت. وروى الطبري(٣)، والواحدي(٤): أن مماراة جرت بين العباس وعلي بن أبي طالب ببدر، وأن عليًا عير العباس بالكفر وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم لا تذكرون محاسننا إنا لنعمر مسجد الله ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فأنزل الله ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ الآية)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن سبحانه الصالح لذلك مِن غيره، أنكر على مَن لم يفرّق بين الصنفين))(٦).

من خلال ما سبق نقله، فقد رجّح الطاهر أن الخطاب في الآية للمؤمنين (٧)، وعلى هذا كانت مناسبته. أما البقاعي فقد ذكر مناسبة عامة دون توجيه الخطاب في الآية.

فالمناسبة أنه لما ذكر سابقًا أحقية المؤمنين في عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجيج دون المشركين، وكون هذين العملين من الفضائل فهما لا يوجبان فضيلة للمشركين، وقد يُظَنّ تساوي هذه الأعمال بالجهاد وأفعال الإسلام الباقية، فعقّب ببيان عدم تساويهما وبأفضلية الإيمان والجهاد عليهما. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، (٣/ ١٤٩٩)، رقم: [١٨٧٩].

(٢)عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، حاجب البيت، أعطاه النبي ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، مات سنة (٤٢هـ). انظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٣٤)، الإصابة (٤/ ٤٥٠).

(٣) انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٦).

(٤) انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص ١٧٣).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٢_ ١٤٣).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢٨٩).

(٧) ذكر القرطبي :((وقد اعترض هنا إشكال وهو ما جاء في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير ... وهذا المساق يقتضي أنها إنما نزلت عند اختلاف المسلمين في الأفضل من هذه الأعمال. وحينئذ لا يليق أن يقال لهم في آخر الآية: والله لا يهدي القوم الظالمين فتعين الإشكال. وإزالته بأن يقال: إن بعض الرواة تسامح في قوله، فأنزل الله الآية. وإنما قرأ النبي ﷺ الآية على عمر، حين سأله فظن الراوي أنها نزلت حينئذ، واستدل بها النبي ﷺ على أن الجهاد أفضل مما قال أولئك الذين سمعهم عمر، فاستفتى لهم فتلا عليه، ما قد كان أنزل عليه، لا أنها نزلت في هؤلاء. والله أعلم)). انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٥٩).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ : ((مستأنفة استئنافًا بيانيًا : لبيان ما يُسأل عنه من معنى الإنكار الذي في الاستفهام بقوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ ﴾ الآية)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((والجملة استئناف لتقرير الإنكار المذكور وتأكيده)) (٢).

من خلال المنقول السابق، اتفقت مناسبتا الطاهر والألوسي في هذه الجملة، فهو لما أنكر في بداية الآية، بيّن سبب الإنكار وهو عدم المساواة بين العملين. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: ((تذييل لجملة ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ الخ، وموقعهُ هنا خفي إن كانت السورة قد نزلت بعد غزوة تبوك، وكانت هذه الآية ممّ نزل مع السورة و لم تنْزل قبلها، على ما رجحناه من رواية النعمان بن بشير في سبب نزولها، فإنّه لم يبق يومئذٍ من يجعل سقاية الحاجّ وعمارة البيت تساويان الإيمان والجهاد، حتى يُرَد عليه بما يدلّ على عدم اهتدائه . وقد تقدّم ما روي عن عمر بن الخطاب في سبب نزولها وهو يزيد موقعها خفاء.

فالوجه عندي في موقع جملة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنّ موقعها الاعتراض بين جملة ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ وجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ (٣) الخ. والمقصود منها زيادة التنويه بشأن الإيمان، الإيمان، إعلامًا بأنّه دليل إلى الخيرات، و قائد إليها . فالذين آمنوا قد هداهم إيمانهم إلى فضيلة الجهاد ، والذين كفروا لم ينفعهم ما كانوا فيه من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ، فلم يهدهم الله إلى الخير ، وذلك برهان على أنّ الإيمان هو الأصل، وأنّ شُعَبَه المتولّدة منه أفضل الأعمال، وأنّ ما عداها من المكارم والخيرات في الدرجة الثانية في الفضل، لأنّها ليست من شعب الإيمان ، وإن كان كلا الصفتين لا ينفع إلاّ إذا كان مع الإيمان، وخاصّة الجهاد)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ولما ذكر تعالى وصف الفريقين قال ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾ولكن لما كان نفي المساواة بينهما لا يفيد أن الراجح مَن هو نبّهعلى الراجح بقوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فبيّن أن الكافرين ظالمون لأنفسهم فإنهم خلقوا للإيمان وهم رضوا بالكفر وكانوا ظالمين، لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٦).

(٢) روح المعاني (٦/ ٩٥).

(٣) جزء من الآية (٢٠) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٦ــ ١٤٧).

موضعه. وأيضاً ظلموا المسجد الحرام فإنه تعالى خلقه ليكون موضعًا لعبادة الله تعالى، فجعلوه موضعًا لعبادة الأوثان فكان هذا ظلمًا)) (١).

٢ــ قال أبو حيان: ((ولما نفى المساواة بينهما أوضح بقوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من الراجح منهما، وأنّ الكافرين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الإيمان بالله، وبما جاء به الرسول وظلموا المسجد الحرام، إذ جعله الله متعبدًا له، فجعلوه متعبدًا لأوثانهم، وذكر في المؤمنين إثبات الهداية لهم بقوله ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(٢) وفي المشركين هنا نفى الهداية بقوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾)) (٣).

٣ــ قال الألوسي: ((أريد بهم المشركون وبالظلم الشرك أو وضع الشيء في غير موضعه شركًا كان أو غيره فيدخل فيه ظلمهم في ذلك الجعل وهو أبلغ في الذم، والمراد من الهداية الدلالة الموصلة لا مطلق الدلالة لأنه لا يناسب المقام، وهذا حكم منه تعالى أنه سبحانه لا يوفق هؤلاء الظالمين إلى معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح ولعله سيق لزيادة تقرير عدم التساوي)) (٤).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنها جملة معترضة بين ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾ وجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ (٥)، فلما ذكر هنا أنهم لا يستوون، نوّه في ختام الآية بالإيمان وفضيلته في الدلالة إلى الخيرات، وأنه الأصل في الأعمال الفاضلة، لأنهم لما آمنوا هداهم، والذين كفروا لم ينتفعوا بما كان منهم من العمارة والسقاية فناسب أن يصفهم بالظالمين.

وذهب الرازي وأبو حيان إلى أنه لما نفى المساواة بين الفريقين، احتيج للتنبيه على الفريق الراجح . وأضاف أبو حيان أنه لما ذكر سابقًا أن المؤمنين من المهتدين، ذكر هنا نفي الهداية عن الكافرين بأنهم هم الظالمون.

وذكر الألوسي قولاً قريبًا من قول الرازي وأبي حيان، فالجملة ذمّ للكافرين بأنهم لا يهتدون بسبب ظلمهم (الشرك)، وحُكم من الله بعدم توفيقهم وتمييزهم للراجح من المرجوح، وزيادة لتأكيد نفي التساوي.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١١).

(٢) جزء من الآية (١٨) من سورة التوبة.

(٣) البحر المحيط (٥/ ٢٢).

(٤) روح المعاني (٦/ ٩٥).

(٥) جزء من الآية (٢٠) من سورة التوبة.

ومما سبق بيانه، فجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم، فلما ذكر عدم تساوي الفريقين، ختمها بالتنبيه على الظلم (الشرك) وأنه لا ينفع ولا يهدي، وبأن الإيمان هو طريق كل خير. ومناسبة الطاهر هنا هي من تفرداته وإضافاته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

١_ من خلال التأمل في نظم الآية أمكن ترجيح سبب نزولها، بما يتوافق مع نظمها ومعناها.

٢_ بيان أن عمارة المسجد والسقاية مقبولتان بشرط الإيمان، وأنهما لا يفضلان الجهاد في الأعظمية والدرجة عند الله، وأن مفاخرة المشركين بتلك الأعمال الصالحة لا ترفعهم ولا تقدّمهم دون إيمان.

١٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه الجملة مبيّنة لنفي الاستواء الذي في جملة ﴿ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ (٢) ومفصّلة للجهاد الذي في قوله: ﴿ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٣) بأنّه الجهاد بالأموال والأنفس، وإدماج لبيان مزية المهاجرين من المجاهدين)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((لما حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بيّن ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه، فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس، وحكم أن أهل هذه الخصال أعظم درجة عند الله من جميع الخلق، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه)) (٥).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى ذكر ترجيح الإيمان والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام ، على طريق الرمز. ثم أتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح في هذه الآية)) (٦).

٣_ قال أبو حيان : ((زادت هذه الآية وضوحًا في الترجيح للمؤمنين المتصفين بهذه الأوصاف على المشركين المفتخرين بالسقاية والعمارة، فطهروا أنفسهم من دنس الشرك بالإيمان، وطهروا أبدانهم بالهجرة

---

(١) الآية (٢٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٩) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٩) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٨).

(٥) المحرر الوجيز (٣/ ١٧).

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٢).

إلى موطن الرسول، وترك ديارهم التي نشأوا عليها، ثم بالغوا بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس المعرضين بالجهاد للتلف، فهذه الخصال أعظم درجات البشرية)) (١).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح بأهل الترجيح ليشتد التشوف إلى التصريح فيكون أثبت في النفس وأوقر في القلب، كان كأنه قيل: فمن الراجح؟ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾)) (٢).

٥ــ قال الألوسي: ((استئناف لبيان مراتب فضلهم زيادة في الرد وتكميلاً له)) (٣).

من خلال ما سبق نقله، تقاربت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، وزاد بعضهم على بعض.

فذكر الطاهر أنه لما ذكر عدم استواء العملين في الآية السابقة، وذكر الجهاد في سبيل الله، زاد في هذه البيان في نفي المساواة، وتفصيل الجهاد، وبيان فضيلة الهجرة والجهاد . وبمثله قال ابن عطية وأبو حيان إلا أن الطاهر صبغ المناسبة بصبغة بلاغية فتميز عن غيره، وذكر فيها نوعًا من المحسنات البديعية وهو الإدماج(٤).

وعند الرازي والبقاعي ــ على اختلاف ألفاظهما ــ أنه لما نفى المساواة ونفى الهداية عن الظالمين دون ترجيح صريح بين الفريقين، جاء في هذه مصرحًا بالفريق الراجح.

وذكر الألوسي أنه استئناف في بيان مراتب التفاضل، وإكمال للرد على المشركين.

فتكون المناسبة أنه لما نفى المساواة بين العملين وأنكر ذلك، صرّح في هذه الآية بالفريق الراجح وببيان سبب عدم الاستواء، وأفضلية العمل الراجح (الجهاد) وتفصيله. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أفضلية الجهاد في سبيل الله على سائر أعمال البرّ، وأنه يُنال به شرف التفاضل كما ناله المهاجرون الذين جمعوا بين شرفي الهجرة والجهاد.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٢).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٩٠).

(٣) روح المعاني (٦/ ٩٥).

(٤) الإدماج وفي الاصطلاح: أن يتضمن كلام سيق لمعنى مدحًا كان أو غيره معنى آخر. انظر: التعريفات (١/ ٣٠).

١٥_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((بيان للدرجة العظيمة التي في قوله : ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾(٢) فتلك الدرجة هي عناية الله تعالى بهم بإدخال المسرّة عليهم، وتحقيق فوزهم، وتعريفهم برضوانه عليهم، ورحمته بهم، وبما أعد لهم من النعيم الدائم. ومجموع هذه الأمور لم يمنحه غيرهم من أهل السقاية والعمارة، الذين وإن صلحوا لأن ينالوا بعض هذه المزايا فهم لم ينالوا جميعها)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية : ((((لما حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بيّن ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه ، فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس ، وحكم أن أهل هذه الخصال أعظم درجة عند الله من جميع الخلق، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه)) (٤).

٢_ قال الرازي: ((واعلم أن هذه الإشارة اشتملت على أنواع من الدرجات العالية ، وأنه تعالى ابتدأ فيها بالأشرف فالأشرف، نازلاً إلى الأدون فالأدون)) (٥).

٣_ قال البقاعي : ((ولما بيّن أن جزاء أولئك الخلود في النار، بيّن ما لهؤلاء، فقال مفسرًا لفوزهم : ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم ﴾)) (١).

---

(١) الآيتان (٢١_ ٢٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٢٠) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٩).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٧).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ١٣).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما ذكر في الآية قبلها الدرجة العظيمة، بيّن في هذه الآية ماهية تلك الدرجة وأنها البشرى السعيدة من الله، بالإضافة إلى رضوانه وجنانه ونعيمها المقيم لهم أبدًا. ثم ربط الطاهر هذا النعيم والجزاء بفعلي السقاية والعمارة، فذكر أن ذلك النعيم الموعود به هو لفعل الجهاد وللمجاهدين، وأن أهل السقاية والعمارة لم ينالوا جميع ذلك النعيم، بل جزءًا منه.

وذكر ابن عطية أنه تعالى لما حَكَمَ لأهل الهجرة والجهاد بالأفضلية وبأعظمية الأجر دون سواهم، حَكَمَ بعد ذلك لهم بالفوز برحمته ورضوانه.

أما الرازي فذكر أنه لما حكم لهم بالدرجة، بيّن هنا إلى أنها أنواع من الدرجات العاليات.

وعند البقاعي أنه لما بيّن في الآية السابقة فوز المؤمنين وخلود الكافرين في النار، فسّر ذلك الفوز وبيّنه. وقد يكون قوله قريبًا من سابقيه في تفسير الفوز المختوم به الآية السابقة، ولكن لم تتعرض الآيات لخلود الكافرين في النار وربما ذكره البقاعي لأنه فُهم ضمنًا.

ومما سبق بيانه تكون مناسبة الطاهر أشمل وأعمّ لما جاء في الآية السابقة. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ : ((تذييل وتنويه بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين لأنّ مضمون هذه الجملة يعمّ مضمون ما قبلها وغيرَه ، وفي هذا التذييل إفادة أنّ ما ذكر من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين هو بعض ما عند الله من الخيرات فيحصل من ذلك الترغيب في الازدياد من الأعمال الصالحة ليزدادوا رفعة عند ربّهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ ذكر الرازي تفسيرات للمتكلمين وأخرى للعارفين ــ على حدِّ قوله ــ في تفسير هذه الآية، ويظهر جليًا تكلّفها، وأنقل منها قوله: ((واعلم أنه تعالى لما قال ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم﴾ بيّن الشيء الذي به يبشرهم وهو أمور: أولها: قوله ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ وثانيها: قوله ﴿وَرِضۡوَٰنٖ﴾ وأنا أظن والعلم عند الله أن المراد بهذين الأمرين ما ذكره في قوله ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ (٣) والرحمة كون العبد راضياً بقضاء الله وذلك لأن من حصلت له هذه الحالة كان نظره على المبلي والمنعم لا على النعمة والبلاء ، ومن كان نظره على المبلي والمنعم لم يتغير حاله، لأن المبلي والمنعم منزه عن التغير، فالحاصل أن حاله يجب أن يكون

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٩٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٠).

(٣) الآية (٢٨) من سورة الفجر.

منزهًا عن التغير. أما من كان طالبًا لمحض النفس كان أبدًا في التغير من الفرح إلى الحزن، ومن السرور إلى الغم، ومن الصحة إلى الجراحة ، ومن اللذة إلى الألم ، فثبت أن الرحمة التامة لا تحصل إلا عند ما يصير العبد راضياً بقضاء الله فقوله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ هو أنه يزيل عن قلبه الالتفات إلى غير هذه الحالة ويجعله راضياً بقضائه، ثم إنه تعالى يصير راضياً وهو قوله ﴿ وَرِضْوَانٍ ﴾ وعند هذا تصير هاتان الحالتان هما المذكورتان في قوله ﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ وهذه هي الجنة الروحانية النورانية العقلية القدسية الإلهية. ثم إنه تعالى بعد أن ذكر هذه الجنة العالية المقدسة ذكر الجنة الجسمانية ، وهي قوله ﴿ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ وقد سبق شرح هذه المراتب ولما ذكر هذه الأحوال قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ والمقصود شرح تعظيم هذه الأحوال)) (١).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها في الدنيا، أتبعه بيان الجنة الروحانية البدنية الخاصة بالدار التي فيها القرار فقال: ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ أي بساتين كثيرة الأشجار والثمار ﴿ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ ﴾ أي عظيم جدًا خالص عن كدر ما، ودل على الخلود بقوله : ﴿ مُّقِيمٌ ﴾ ثم صرح بخلودهم فيها بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وحقق أمره بقوله: ﴿ أَبَدًا ﴾ ثم استأنف المدح لذلك مؤذناً بالمزيد بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ أي الذي له الغنى المطلق والقدرة الكاملة ﴿ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وناهيك بما يصفه العظيم دالاً بالعظم، وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عن دوامه بهذه العبارات الثلاث المقرونة بالتعظيم والاسم الأعظم، فكان أعظم الثواب، لأن إيمانهم أعظم الإيمان)) (٢).

٣ــ قال الألوسي: ((والجملة استئناف وقع تعليلاً لما سبق)) (٣).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما ذكر ما للمهاجرين والمجاهدين من أجر ودرجة، عقّب بأن هذا كله بعضًا مما عند الله، والله عنده أجر عظيم، حضًا للمؤمنين على الاستزادة والدوام على الأعمال الصالحة. ومناسبة الطاهر توافق كلام البقاعي إلا أنها أوضح وأصرح، وهذا يدل على دقة الطاهر في عرض المناسبة وإن كانت موجودة في كتب السابقين، إلا أنه أعاد عرضها بأسلوب واضح رصين يعتبر من إضافاته.

وكلا الرازي فيه تكلف، وذكر الألوسي أنها تعليل. والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٥).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٩١).

(٣) روح المعاني (٦/ ٩٧).

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، أوضحت الآيات عظيم أجر المهاجرين المجاهدين، وأنه مع نيلهم تلك الدرجات الرفيعة، والمنازل العلية، إلا أنه تعالى بيّن أنه أوسع فضلاً، وأجزل عطاءً، وأعظم أجرًا، ليزدادوا ويستزيدوا في الطاعات والصالحات.

١٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي لافتتاح غرض آخر وهو تقريع المنافقين ومن يواليهم، فإنّه لّما كان أوّل السورة في تخطيط طريقة معاملة المظهرين للكفر، لا جرم تهّيأ المتامُ (٢) لمثل ذلك بالنسبة إلى من أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان: المنافقينَ من أهل المدينة ومن بقايا قبائل العرب؛ ممّن عُرفوا بذلك، أو لم يعرفوا وأطْلَعَ الله عليهم نبيِه ﷺ وحذّر المؤمنين المطّلعين عليهم من بطانتهم وذوي قرابتهم ومخالطتهم، وأكثر ما كان ذلك في أهل المدينة لأنّهم الذين كان معظمهم مؤمنين خلصًا، وكانت من بينهم بقية من المنافقين وهم من ذوي قرابتهم، ولذلك افتتح الخطاب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إشعارًا بأنّ ما سيلقى إليهم من الوصايا هو من مقتضَيات الإيمان وشِعاره))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((لما أمر المؤمنين بالتبري عن المشركين وبالغ في إيجابه، قالوا كيف تمكن هذه المقاطعة التامة بين الرجل وبين أبيه وأمه وأخيه؟ فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والأولاد والأخوان واجب بسبب الكفر))(٤). وقد ذكره الألوسي أيضًا (٥).

---

(١) الآية (٢٣) من سورة التوبة.

(٢) بحثتُ عنها في المعاجم ولم أجدها، وربما تكون (المقام) ولكن وقع خطأ مطبعي. والله أعلم.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٠_ ١٥١).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٥_ ١٦).

(٥) روح المعاني (٦/ ٩٧).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الأ عمال، شرع في العاطفة بالأنساب والأموال، وقدم الأول إشارة إلى أن المجانسة في الأفعال مقدمة على جميع الأحوال))(١).

من خلال ما سبق نقله، يظهر تفاوت الأقوال المذكورة أعلاه، فذكر الطاهر أنه لما ذكر البراءة في أول السورة، وذكر كيفية معاملة المظهرين لكفرهم، ابتدأ هنا بغرض جديد وهو كيفية معاملة المبطنين لكفرهم وهم المنافقون، ليحذَرَهم المؤمنون الخلص ولو كانوا من ذوي قرابتهم؛ لأن عدم موالاتهم من الإيمان ومقتضياته.

وذكر الرازي أنه لما أمر بالبراءة من المشركين، احتج بعضهم بتعذّر حصول المقاطعة التامة بين ذويهم وأقاربهم الكافرين، فأنزل الله هذه الآية لإزالة تلك الشبهة التي احتجوا بها.

و لم يختلف البقاعي عن الرازي إلا في عبارته ، فذكر أنه لما سبق وأن احتجوا بمحاسن الأعمال من العمارة والسقاية، فعالجها وبيّن أمرها، شرع يعالج حجة أخرى وهي عاطفة الأنساب والأموال.

ومن خلال السابق بيانه، يمكن القول بأن ما ذهب إليه الرازي ومَن وافقه أنسب للسياق المستمر في أحكام البراءة، وتأسيسها في قلوب المسلمين، وما ذهب إليه الطاهر يبعُدُ عن معنى الآية وما بعدها وما فيها من الحضّ على الهجرة وترك ديار الكفار(٢). والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تقرير مبادئ البراءة وتثبيتها بقطع أي حجة يمكن أن يُحتج بها، فالأمر شاق، ولكنها العقيدة التي تُبنى على أساسها العلاقات حتى بين الأقارب كالآباء والإخوان.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٩١).

(٢) قال الطبري في معنى هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ﴾ بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يقول: إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به والإقرار بتوحيده)). انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٨). ويقول القرطبي: ((ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة ، فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب، خوطبوا بألا يوالوا الآباء والإخوة فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر)). انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٠).

١٧ــ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((ارتقاء في التحذير من العلائق التي قد تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام، فلذلك جاءت زيادة تفصيل الأصناف من ذوي القرابة وأسباب المخالطة التي تكون بين المؤمنين وبين الكافرين، ومن الأسباب التي تتعلّق بها نفوس الناس فيَحول تعلّقُهم بها بينهم وبين الوفاء ببعض حقوق الإسلام، فلذلك ذكر الأبناءُ هنا لأنّ التعلّق بهم أقوى من التعلّق بالإخوان، وذُكر غيرهم من قريب القرابة أيضاً)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن هذه الآية هي تقرير الجواب الذي ذكره في الآية الأولى، وذلك لأن جماعة من المؤمنين قالوا يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية، وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين؟ فبيّن تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليمًا، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره)) (٣).

---

(١) الآية (٢٤) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٢).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٦).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كانت الأنفس مختلفة الهمم متباينة السجايا والشيم، كان هذا غير كافٍ في التهديد لكلها، فأتبعه تهديدًا أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال منتقلاً من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض المؤذن بزواجر الغضب: ﴿ قُلْ ﴾))(١).

٣ــ قال الألوسي: ((تلوين للخطاب وأمر له ﷺ بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا على وجه التوبيخ و الترهيب أي قل يا محمد للمؤمنين ﴿ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ ﴾ لم يذكر الأبناء والأزواج فيما سلف وذكرهم هنا لأن ما تقدم في الأولياء وهم أهل الرأي والمشورة والأبناء والأزواج تبع ليسوا كذلك وما هنا في المحبة وهم أحب إلى كل أحد))(٢).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أن هذه الآية فصّلت الأقارب والأسباب التي قد تتعلق بها النفوس فتقصّر في واجبات الإسلام، فهي ارتقاء في التحذير من العلائق التي ذكر جزءًا منها في الآية السابقة . ثم ذكر الطاهر سبب ذكر الأبناء هنا لأن التعلق بهم أقوى من التعلق بالإخوان.

أما الرازي فقد جعلها تقريرًا وبيانًا لما جاء في الآية السابقة.

وعند البقاعي أنه لما كانت النفوس مختلفة في الإقبال، هدد هنا بأشد مما سبق بوجوب الامتثال .

وذكر الألوسي أنه جاء بهذه الآية بعد أن نهى المؤمنين عن اتخاذ الآباء والإخوان أولياء، ليقوي عزائم المؤمنين ويثبتهم بتزهيدهم في جميع العلائق ويحذرهم من زخارف الدنيا . وذكر الألوسي أنه أتى بذكر الأبناء والأزواج هنا دون الآية السابقة لأن الآية هنا في المحبة وهم أحب من كل أحد.

ومن خلال السابق، يظهر أن كلام البقاعي والألوسي متقارب، وكذا الطاهر إلا أنه ساق المناسبة بعبارة واضحة. ومناسبة الرازي مختلفة، فهو لم يذكر التحذير والتهديد، وإنما بيّن أنها مقررة لما جاء في الآية الأولى. ويمكن القول بأن المناسبة هي التحذير مما قد يخلّ بالبراءة وبيانه، فلما أمر بالبراءة من الآباء والإخوان الكافرين، فصّل هنا علاقات قرابة وأسبابًا دنيوية قد تحول دون الامتثال أيضًا ليحذرها المؤمنون.

وفي ذكر الأبناء والأزواج هنا اتفق الجميع في أنه ذكر الأبناء في هذه الآية دون التي قبلها لأن هذه الآية في سياق المحبة، والأبناء من أحب الناس إلى النفس. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٩٢).

(٢) روح المعاني (٦/ ٩٨).

نظرًا لشدة الأمر على المسلمين، ولشدة تعلق النفوس بأقاربها وخاصة الأبناء والأزواج، وقد جاء تحذير قرآني منهما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ (١)، ولما كانت الدنيا ومصالحها حبيبة إلى النفوس، وقد تُلهي عن الأمور العظام، وتُقعد المرء عن المكرمات، جاءت الآيات بقطع كل العلائق والعلاقات وتفصيلها لما قد يكون لها من ضرر على تطبيق عقائد الإسلام. وقد جاء في آيات كثيرة، كون المال والبنون زينة الدنيا ومتاعها، وقد تُلهي عن ذكر الله والطاعات، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾(٢) وجاء في الحديث: "لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"(٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾: ((تذييل، والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنّهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبّة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقّق أنّهم فاسقون ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ فحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنّهم من الفاسقين)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان من آثر حب شيء من ذلك على حبه تعالى، كان مارقًا من دينه راجعًا إلى دين من آثره، وكان التقدير: فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها ولا تهتدون إلى دفعها بنوع حيلة، لأنكم اخترتم لأنفسكم منابذة الهداية ومعلوم أن من كان كذلك فهو مطبوع في الفسق، عطف عليه قوله : ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي الجامع لصفات الكمال ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ﴾ أي لا يخلق الهداية في قلوب ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي الذين استعملوا ما عندهم من قوة القيام فيما يريدون من الفساد حتى صار الفسق - وهو الخروج مما حقه المكث فيه و التقيد به وهو هنا الطاعة - خلقًا من أخلاقهم ولازمًا من لوازمهم، بل يكلهم إلى نفوسهم فيخسروا الدنيا والآخرة)) (٥).

من خلال ما سبق، ذكر الطاهر أنه ختم الآية بنفي الهدي عن الفاسقين، وهذا التذييل فيه تعريض بأنهم من الفاسقين وتهديد لهم لتفضيلهم القرابات والأموال على محبة الله ورسوله والجهاد.

---

(١) جزء من الآية (١٤) من سورة التغابن.

(٢) جزء من الآية (٩) من سورة المنافقون.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١/ ١٤)، رقم: [١٥].

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٤).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٩٢).

وذكر البقاعي أنه مَن آثر محبة شيء، كان خارجًا من دينه إلى دين مَن آثره لذا عقّب بأن الفسق صار لازمًا وخلقًا لهم يمنعهم من الهداية. وكلا المعنيين متقارب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

مما سبق بيانه، يظهر التهديد والتحذير من تفضيل ما جاء في الآية من محاب وقرابات على محاب الله ورسوله لأن هذا من الفسق، والله لا يهدي الفاسقين.

١٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ ۙ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ ۙ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما تضمّنت الآيات السابقة الحث على قتال المشركين ابتداءً من قوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾(٢)، وكان التمهيد للإقدام على ذلك مدرَّجًا بإبطال حرمة عهدهم، لشركهم، وبإظهار أنّهم مضمرون العزم على الابتداء بنقض العهود التي بينهم وبين المسلمين لو قُدّر لهم النصر على المسلمين وآية ذلك: اعتداؤهم على خزاعة(٣) أحلاف المسلمين، وهمُّهم بإخراج الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة بعد الفتح، حتى إذا انتهى ذلك التمهيد المدرج إلى الحثّ على قتالهم وضمان نصر الله المسلمين عليهم، وما اتّصل بذلك ممّا يثير حماسة المسلمين جاء في هذه الآية بشواهد ما سبق من نصر الله المسلمين في مواطن كثيرة، وتذكير بمقارنة التأييد الإلهي لحالة الامتثال لأوامره، وإنّ في غزوة حنين(٤) شواهد تشهد للحالين. فالكلام استئناف ابتدائي لمناسبة الغرض السابق)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى ذكر في الآية المتقدمة أنه يجب الإعراض عن مخالطة الآباء والأبناء والأخوان والعشائر وعن الأموال والتجارات والمساكن، رعاية لمصالح الدين، ولما علم الله تعالى أن هذا يشق جدًا على النفوس والقلوب، ذكر ما يدل على أن من ترك الدنيا لأجل الدين فإنه يوصله إلى مطلوبه

---

(١) الآية (٢٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) هم بنو عمرو بن عامر، من اليمن. انظر: السيرة النبوية (١/ ١٢٦).

(٤) حدثت في سنة ثمان بعد الفتح، بين المسلمين وهوازن وثقيف، وانتصر فيها المسلمون. انظر: السيرة النبوية (٤/ ٨٧).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٤).

من الدنيا أيضاً، وضرب تعالى لهذا مثلاً ، وذلك أن عسكر رسول الله ﷺ في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين ، ثم في حال الانهزام لما تضرعوا إلى الله قواهم حتى هزموا عسكر الكفار، وذلك يدل على أن الإنسان متى اعتمد على الدنيا ، فاته الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه ، فكان ذكر هذا تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن ، لأجل مصلحة الدين وتصبيراً لهم عليها، ووعدًا لهم على سبيل الرمز بأنهم إن فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم إلى أقاربهم وأموالهم ومساكنهم على أحسن الوجوه. هذا تقرير النظم وهو في غاية الحسن))(١).

٢ــ قال أبو حيان: ((لما تقدم قوله ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾(٢) واستطرد بعد ذلك بما استطرد، ذكّرهم تعالى نصره إياهم في مواطن كثيرة))(٣).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان في بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة تغفلها عن بعض مواقع القدرة، ساق قصة حنين دليلاً على ذلك الذي أبهمه من التهديد جواباً لسائل كان كأنه قال: ما ذاك الأمر الذي يتربص لإتيانه ويخشى من عظيم شأنه ؟ فقيل: الذل والهوان والافتقار والانكسار، فكأنه قيل: وكيف يكون ذلك؟ فقيل: بأن يسلط القدير عليكم - وإن كنتم كثيرًا - أقوياء غيركم وإن كانوا قليلاً ضعفاء كما سلطكم - وقد كنتم كذلك - حتى صرتم إلى ما صرتم إليه))(٤).

من خلال المنقول السابق، يربط الطاهر هذه الآية بما قبلها من آيات جاءت في الحث على قتال المشركين، من خلال التمهيد لهذا القتال بنقضهم للعهد، وإضمارهم الغدر، فلما أمرهم بالقتال، وضمن لهم النصر، جاء بشواهد من سبق نصر الله للمسلمين مثيرًا لحماستهم، ومذكرًا لهم بغزوة حنين التي كادوا يُهزمون فيها لولا تأييد الله ليدركوا عاقبة امتثال أمر الله تعالى.

وذكر الرازي أنه تعالى لما أوجب مقاطعة الكافرين من الآباء والأبناء والأخوان والعشائر، وأمر بالإعراض عن الأموال والتجارات والمساكن، مراعاة لمصالح الدين، وكان ذلك مما قد يشق على المسلمين، ضرب لهم في هذه مثلاً للتسلية عن قلوبهم ولتصبيرهم، فهم في غزوة حنين لم ينتصروا لما أُعجبوا بكثرتهم وقوتهم، بل لما تضرعوا لله تعالى.

وذكر أبو حيان أنه لما أمرهم بالقتال سابقًا في السورة، ذكّرهم بنصره لهم في مواطن كثيرة.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٧).

(٢) جزء من الآية (١٤) من سورة التوبة.

(٣) البحر المحيط (٥/ ٢٤).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٩٣).

وعند البقاعي أنه لما هدد في الآية السابقة بإتيان أمره إن هم لم يطيعوا، وكان في بعض النفوس غرورًا بالكثرة والقوة، ساق قصة غزوة حنين ـــ التي تُظهر غلبتهم ابتداء بسبب اغترارهم بكثرتهم ـــ مبينًا كيفية الإتيان بأمره.

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن جميع ما ذُكر من مناسبات يتلاءم إما مع الآية السابقة، وإما مع ما قبلها من آيات. وتعد مناسبة الطاهر من تفرداته، فهو لم ينقل عمن سبقه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تذكير الله تعالى للمسلمين بنصره لهم يوم حنين، هو من باب ضرب المثل، والتذكير بالحال التي يجب أن يكونوا عليها، وهو نوع من الترغيب والتسلية، ليمتثلوا أوامره، وليصبروا عليها.

١٩_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي للرجوع إلى غرض إقصاء المشركين عن المسجد الحرام المفاد بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ (٢) الآية ، جيء به لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليله بعلّة أخرى تقتضي إبعادهم عنه : وهي أنّهم نجس ، فقد علّل فيما مضى بأنّهم شاهدون على أنفسهم بالكُفر ، فليسوا أهلاً لتعمير المسجد المبني للتوحيد، وعلّل هنا بأنّهم نجس فلا يعمروا المسجد لطهارته)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما تقدم في الأمر والنواهي وبيان الحكم المرغبة والمرهبة ما لم يبق لمن عنده أدنى تمسك بالدين شيئاً من الالتفات إلى المفسدين، بيّن أن العلة في مدافعتهم وشديد مقاطعتهم أنهم نجس وأن المواضع - التي ظهرت فيها أنوار عظمته وجلالته وأشرقت عليها شموس نبوته ورسالته، ولمعت فيها بروق كبره وجالت صوارم نهية وأمره - مواضع القدس ومواطن الأنس، من دنا إليها من غير أهلها احترق بنارها، وبهرت بصره أشعة أنوارها، فقال مستخلصًا مما تقدم ومستنتجًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾)) (٤).

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية تعليل آخر لعدم أحقية المشركين في العمارة والسقاية، فهنا عود لهذه المسألة بذكر سبب آخر لها، فالسبب الأول المذكور سابقًا هو كفرهم، والسبب الثاني المذكور هنا هو أنهم نجس، فلا يعمروا المسجد الحرام لطهارته.

---

(١) الآية (٢٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٧) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٩٦).

وبمثل هذا المعنى قال البقاعي إلا أن الطاهر صاغها بصورة أوضح وربطها بقوله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾، وهذا يُظهر تميزه في أنه يستفيد من السابقين ويضيف عليه ويزيده، لا أن ينقضه ويبيده. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال سياق الآيات، وتتابع الأوامر الصارمة في التزام البراءة من المشركين، يبيّن الله تعالى بعلل وشواهد تؤدي إلى وجوب الامتثال، وتقطع عذر المتعذّرين، وتمحّص المؤمنين، وتعلّق قلوبهم بالدين ورب العالمين، فالمشركون جمعوا بين فساد الاعتقاد، والنجاسة الحسية، وخبيث الأخلاق حين نبذوا وخدعوا، فالأجدر بالمؤمنين أن يعاملوهم بما شرع الله لهم، ليمنعوا استفحال أمرهم، وليُسمعوا الدنيا دين الله تعالى الذي يُخرج من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن النجاسة إلى الطهارة المعنوية والمادية، ومن الشقاوة إلى السعادة الدائمة.

٢٠_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب، تحقيراً لهم في نفوسهم ، ليكونوا أشدّاء عليهم في معاملتهم ، فبعد أن ذكر تأليه عامتهم لأفاضل من أحبارهم ورهبانهم المتقدّمين : مثل عُزير، بيّن للمسلمين أنّ كثيراً من الأحبار والرهبان المتأخّرين ليسوا على حال كمال، ولا يستحقّون المقام الديني الذي ينتحلونه، والمقصود من هذا التنبيه أن يعلم المسلمون تمالئ الخاصّة والعامّة من أهل الكتاب ، على الضلال وعلى مناوأة الإسلام، وأنّ غرضهم من ذلك حبّ الخاصة الاستئثار بالسيادة، وحبّ العامّة الاستئثار بالمزية بين العرب)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية : ((المراد بهذه الآية بيان نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن تلك النقائص مترتب ضمن ذلك)) (٣).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق، وصفهم في هذه الآية بالطمع والحرص على أخذ أموال الناس، تنبيهًا على أن المقصود من إظهار تلك الربوبية والتجبر والفخر، أخذ أموال الناس بالباطل)) (٤).

---

(١) الآية (٣٤) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٤).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٣٤).

٣ـ قال أبو حيان : ((ذكر أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ذكر ما هو كثير منهم ، تنقيصاً من شأنهم وتحقيراً لهم، وأنّ مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم، فضلاً عن اتخاذهم أرباباً لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل ، وصدهم عن سبيل الله ، واندرجوا في عموم الذين يكنزون الذهب والفضة ، فجمعوا بين الخصلتين المذمومتين: أكل المال بالباطل وكنز المال، إن ضنوا أنْ ينفقوها في سبيل الله)) (١).

٤ـ قال البقاعي : ((ولما حقّر أمرهم بتقسيم اعتمادهم على رؤسائهم، وحالهم معروف في أنه لا نفع عندهم ولا ضر، وأعلى أمر أهل الله باجتماعهم عليه وهو القادر على كل شيء، وكان الإقبال على الدنيا أعظم أمارة على الخذلان ولو أنه بحق فكيف إذًا بالباطل! أقبل سبحانه وعز شأنه على أهل وده مستعطفاً متلطفاً منادياً باسم الإيمان الذي بنى أمره في أول هذا الكتاب على الإنفاق لا على التحصيل ولو كان بحق، فكيف إذا كان بباطل، ويؤتون الزكاة ومما رزقناهم ينفقون، منبهًا على سفه من ترك من لا يسأله على بذل الهدى والدعوة إلى دين الحق أجرًا وهو سفير محض لا ينطق عن الهوى، ولم يعتقده رسولاً واتخذ مربوباً مثله وهو يأخذ ماله بالباطل ربوًا، وذلك مقتضٍ لتحقيرهم لا لمطلق تعظيمهم فضلاً عن الرتبة التي أنزلوهم بها وأهلوهم لها مع الترفع عليهم لقصد أكل أموالهم بالباطل فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي أقروا بإيمان داعيهم من التكذيب ومما يؤول إليه ﴿ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ ﴾ أي من علماء اليهود ﴿ وَٱلرُّهۡبَانِ ﴾ أي من زهاد النصارى ﴿ لَيَأۡكُلُونَ ﴾ أي يتناولون، ولكنه عبر به لأنه معظم المراد من المال، وإشارة إلى تحقير الأحبار والرهبان بأنهم يفعلون ما ينافي مقامهم الذي أقاموا أنفسهم فيه)) (٢).

٥ـ قال الألوسي : ((شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في إغوائهم لأراذلهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً وفي ذلك تنبيه للمؤمنين حتى لا يحوموا حول ذلك الحمى ولذا وجه الخطاب إليهم ﴿ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾)) (٣).

من خلال المنقول السابق، تقارب معنى ما ذكره المفسرون في مناسبة هذه الآية.

فيذكر الطاهر أنه لما ذكر تأليه عامة أهل الكتاب لأحبارهم ورهبانهم، أتبعه بذكر نقائص أهل الكتاب، وبيان فضائحهم للمسلمين ليحقروهم ويعاملوهم بما يجب، فعامتهم وخاصتهم لا يألون جهدًا في الإفساد والإضلال. ولم يختلف أبو حيان كثيرًا، فذكر أنهم لما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، نقّص

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٣٨).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٠٥).

(٣) روح المعاني (٦/ ١١٩).

من شأنهم وحقّرهم بأنهم يأخذون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، فلا ينبغي تعظيمهم . وذكر ابن عطية أنها في بيان نقائص أهل الكتاب . وذكر الألوسي أنه لما ذكر حال الأحبار والرهبان، واتخاذ الناس لهم أربابًا، شرع يُبيّن تجبّرهم على مرؤوسيهم بأخذ أموالهم بالباطل، تنبيهًا للمؤمنين من سوء حالهم. وجميع تلك الأقوال متقاربة المعنى.

وعند الرازي أنه لما وصف الأحبار والرهبان بادعاء الربوبية والتكبر على الخلق، استكمل في هذه الآية ما اتصفوا به من الجشع وأخذ أموال الناس بالباطل، لأن ذلك هو مقصدهم الخفي من ادعاء الربوبية.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر اعتماد أهل الكتاب على أحبارهم ورهبانهم، حقّر أمر هؤلاء الرؤساء والعامة، وأظهر نقص خاصتهم، بأنهم يترفّعون عن العامة ليأكلوا أموال الناس بالباطل، وأنكر على من اتخذوهم أربابًا من دون الله، وهم لهم أنداد.

ومن خلال ما سبق بيانه تكون المناسبة، أنه لما ذكر اتخاذ أهل الكتاب لأحبارهم ورهبانهم أربابًا، ذكر تسلّط هؤلاء الأحبار والرهبان على الناس بأخذ أموالهم بالباطل، ليُبقوا على منزلتهم التي ادعوها في الربوبية، فجاء في الآية بذكر نقائصهم لتحقيرهم وتنبيه المؤمنين على قبحهم ومقاومتهم للإسلام . والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ﴾: ((جملة معطوفة على جملة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا ﴾ والمناسبة بين الجمْلتين: أنّ كلتيهما تنبيه على مساوي أقوام يضَعُهم الناس في مقامات الرفعة والسؤدد وليسوا أهلاً لذلك، فمضمون الجملة الأولى بيان مساوي أقوام رفع الناس أقدارهم لعلمهم ودينهم، وكانوا منطوين على خبائث خفيّة ، ومضمون الجملة الثانية بيان مساوي أقوام رفعهم الناس لأجل أموالهم، فبين الله أنّ تلك الأموال إذا لم تنفق في سبيل الله لا تغني عنهم شيئاً من العذاب))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((لما ذكر نقص الأحبار والرهبان الآكلين المال بالباطل ذكر بعد ذلك بقولٍ عامرٍ نقص الكافرين المانعين حق المال))(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٦).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧).

٢ــ قال الرازي: ((إن كان المراد تخصيص هذا الوعيد بمن سبق ذكرهم وهم أهل الكتاب كان التقدير أنه تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بقوله ﴿ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ ووصفهم أيضاً بالبخل الشديد والامتناع عن إخراج الواجبات عن أموال أنفسهم بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ وإن كان المراد مانعي الزكاة من المؤمنين، كان التقدير أنه تعالى وصف قبح طريقتهم في الحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ، ثم ندب المسلمين إلى إخراج الحقوق الواجبة من أموالهم، وبيّن ما في تركه من الوعيد الشديد ، وإن كان المراد الكل كان التقدير أنه تعالى وصفهم بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل، ثم أردفه بوعيد كل من امتنع عن إخراج الحقوق الواجبة من ماله، تنبيهًا على أنه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في أخذ مال غيره بالباطل والتزوير والمكر))(١).

٣ــ قال أبو حيان : ((الظاهر العموم كما قلناه ، فيقرن بين الكانزين من المسلمين وبين المرتشين من الأحبار والرهبان تغليظاً ودلالة على أنهم سواء في التبشير بالعذاب))(٢).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما كان أكثرهم يكنزون تلك الأموال، شرع سبحانه على مطلق الكنز، ففهم من باب الأولى الصد الذي هو سبب الجمع الذي هو سبب الكنز))(٣).

٥ــ قال الألوسي: ((والمراد من الموصول إما الكثير من الأحبار والرهبان لأن الكلام في ذمهم ويكون ذلك مبالغة فيه حيث وصفوا بالحرص بعد وصفهم بما سبق من أخذ البراطيل في الأباطيل وإما المسلمون لجرى ذكرهم أيضاً وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لأنه يشعر بأنهم ممن ينفق في سبيله سبحانه لأنه المتبادر من النفي عرفاً فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظاً ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب، واختار بعض المحققين حمله على العموم ويدخل فيه الأحبار والرهبان دخولاً أولياً))(٤).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أنه لما ذكر قبح أناس رُفعوا منزلة لم يستحقوها لتسترهم بستار الدين والعلم، ذكر بعد ذلك قبح أناس رُفعوا منزلة فوقية لا يستحقونها بسبب أموالهم، فتلك الأموال إذا لم تُنفق في سبيل الله لم تُغنِ شيئًا من العذاب.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٣٥).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٠٥).

(٤) روح المعاني (٦/ ١٢٠).

وذكر ابن عطية أنه لما ذكر ن قائص أهل الكتاب من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ذكر نقائص الكفار الذين يكنزون الأموال.

وذكر الرازي أنه لما ذكر أكل الأحبار والرهبان لأموال الناس بالباطل وحرصهم عليها، أتبع ذلك بوصفهم بالبخل الشديد وكنزها وعدم أداء حقها. وذكر الرازي أنه إذا كان المقصود هم المؤمنون فتكون المناسبة أنه لما ذكر حرص أهل الكتاب على الأموال، ندب المؤمنين إلى إخراج حقوق الأموال ببيان عذاب كانزيها. ثم ذكر الرازي أنه إذا كان المقصود هم أهل الكتاب والمؤمنون، فإنه لما بيّن قبح أهل الكتاب في أخذ الأموال بالباطل، ندب الجميع إلى إخراج حقوقها وتوّعد من امتنع، منبهًا على تساوي مَن كنزها و لم يُخرج حقها، ومَن أخذها بغير وجه حق . وبهذا القول الأخير قال أبو حيان، ورجّحه الألوسي.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر حرصهم الشديد على أخذ الأموال بالباطل وصدهم بها عن سبيل الله، شرع يذكر الذين يكنزون الأموال ويمنعونها، لأن الصدّ هو سبب الحرص عليها وجمعها، وبالتالي هو سبب في إمساكها وكنزها.

ومما سبق بيانه، يكون كلام مَن ذهب إلى عموم المخاطبين هو الأنسب، فالمناسبة أنه لما ذكر ارتفاع الأحبار والرهبان فوق منزلتهم الحقيقية، ثم ذكر بعده ا حرصهم على أخذ الأموال بالباطل للصد عن سبيل الله، ذكر بعد ذلك الحريصين على كنز الأموال وعدم أداء حقوقها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، ينشر القرآن الكريم خفايا الأحبار والرهبان، ويفضح قبائحهم، فإنهم ما قاوموا الدين الإسلامي إلا خوفًا من ذهاب ما ادّعوه من منزلة الربوبية، التي استغلوها في نيل مطامعهم المادية، وأكل أموال الناس باطلاً، والصد عن سبيل الله، متخذين من الدين ستارًا على نقائصهم الدنيّة.

ويظهر أيضًا قبح كنز المال، والإمساك عن أداء حقوقه الواجبة، وفيه حثّ على الإنفاق في وقت العسرة، وزمن تجهيز الجيش لغزوة تبوك، حيث كثرت الأموال، وإمساكها منذر بعذاب شديد.

٢١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي لإقامة نظام التوقيت للأمّة على الوجه الحق الصالح لجميع البشر ، والمناسب لما وضع الله عليه نظام العالم الأرضي ، وما يتصّل به من نظام العوالم السماوية، بوجه محكم لا مدخل لتحكّمات الناس فيه، وليوضّح تعيين الأشهر الحُرم من قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾ (٢) بعدما عقِبَ ذلك من التفاصيل في أحكام الأمن والحرب مع فرق الكفار من المشركين وغيرهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن هذا شرح النوع الثالث من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين، وهو إقدامهم على السعي في تغييرهم أحكام الله ، وذلك لأنه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص ، فإذا غيّروا تلك الأحكام بسبب النسيء فحينئذ كان ذلك سعيًا منهم في تغيير حكم السنة بحسب أهوائهم وآرائهم فكان ذلك زيادة في كفرهم وحسرتهم)) (٤).

---

(١) الآية (٣٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٠).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٤٠).

٢ــ قال أبو حيان : ((ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر أنواعًا من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب ، ذكر أيضاً نوعًا منه، وهو تغيير العرب أحكام الله تعالى ؛ لأنه حكم في وقت بحكم خاص ، فإذا غيَّروا ذلك الوقت، فقد غيّروا حكم الله)) (١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما تقدّم كثير مما ينبني على التاريخ: الحج في غير موضع والأشهر وإتمام عهد من له مدة إلى مدته والزكاة والجزية، و ختم ذلك بالكنز الذي لا يطلق شرعًا إلا على ما لم تؤد زكاته، وكان مشركو العرب – الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم والتأذين بهذه الآيات يوم الحج الأكبر فيهم – قد أحدثوا في الأشهر – بالنسيء الذي أمروا أن ينادوا في الحج بإبطاله – ما غيّر السنين عن موضوعها الذي وضعها الله عليه، فضاهوا به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم وتحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك في النبوة والأبوة، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴾ أي منتهى عدد شهور السنة ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي في حكم وعلم الذي خلق الزمان وحده وهو الإله وحده فلا أمر لأحد معه ﴿ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا ﴾ أي لا زيادة عليها ولا تغيير لها كما تفعلونه في النسيء)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أنه لما ذكر في أول السورة الأشهر الحرم، وما تبع ذلك من أحكام السلم والحرب مع الكفار أجمعين على اختلاف فِرَقهم، ابتدأ هنا في تعيين الأشهر الحرم، وضبط نظام التوقيت الصالح للبشرية جمعاء حسب القوانين الكونية، لا مدخل بعده لتحكمات الناس فيه بأهوائهم.

وذكر الرازي أن الآية استمرار في ذكر قبائح أهل الكتاب والمشركين، فذكر في هذه الآية قبحًا آخر وهو سعيهم في تغيير أحكام الله، فهو سبحانه قد حكم بوقت فغيّروه بحسب أهوائهم.

وذكر أبو حيان أنه لما ذكر قبائح أهل الكتاب، ذكر هنا قبائح المشركين.

وذكر البقاعي مناسبة جميلة جدًا، فإنه لما سبق في السورة الأمر بالبراءة من الكافرين وما تبع ذلك من أحكام، وكان أغلبها متعلقًا بالتاريخ، كالحج، وإتمام العهد لمن له مدة، والزكاة والجزية، وكنزهم الأموال المترتب على منعهم لزكاتها، وكان المشركون يؤخرون النسيء، وغيّروا ما غيّروا في السنين والأوقات، وقد شابهوا بذلك أهل الكتاب في التحليل والتحريم بأهوائهم، عقّب هنا ببيان عدة الشهور التي حَكَمَ الله بها.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٤٠).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٠٧).

ومما سبق بيانه، فاتفق الجميع أنها في تعداد قبائح أخرى للمشركين واليهود . وعند الطاهر أنها استئناف ابتدائي، وهي من تفرداته. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾: ((تفريع على ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ فإنّها لما كانت حرمتها ممّا شرعه الله ، أوجب الله على الناس تعظيم حرمتها بأن يتجنّبوا الأعمال السيئة فيها. فالضمير المجرور بـ في عائد إلى الأربعة الحرم: لأنّها أقرب مذكور، ولأنّه أنسب بسياق التحذير من ارتكاب الظلم فيها، وإلاّ لكان مجرّد اقتضاب بلا مناسبة)) (١).

من خلال ما سبق نقله، تكون المناسبة أنه لما بيّن تعالى حرمة تلك الشهور، أوجب على الناس تعظيم حرمتها وعدم الظلم فيها. وهذه من تفردات الطاهر على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾: ((أحسب أنّ موقع هذه الآية موقعُ الاحتراس من ظنّ أنّ النهيِ عن انتهاء الأشهر الحرم يَقتضي النهي عن قتال المشركين فيها إذا بدأوا بقتال المسلمين، وبهذا يؤذن التشبيه التعليلي في قوله: ﴿ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ فيكون المعنى فلا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بالمعاصي، أو باعتدائكم على أعدائكم ، فإن هم بَادَأوكم بالق تال فقاتلوهم على نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ (٢) فمقصود الكلام هو الأمر بقتال المشركين الذين يقاتلون المسلمين في الأشهر الحرم، وتعليله بأنّهم يستحلون تلك الأشهر في قتالهم المسلمين)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان إنساؤهم هو لتحلّ لهم المقاتلة على زعمهم قال : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ أي كلكم في ذلك سواء، في الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ ﴾ أي كلهم في ذلك سواء وذلك الحكم في جميع السنة، لا أنهاكم عن قتالهم في شهر منها، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمي فيها لقتال ولا غيره إن اتقيتم الله، فلا تخافوهم وإن زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لأن الله يكون معكم ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي الذي له جميع العظمة معكم، هكذا كا ن الأصل ولكنه

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٥).

(٢) جزء من الآية (١٩٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٧).

أظهر الوصف تعليقاً للحكم به وتعميماً فقال: ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ جميعهم، وهم الذين يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم، لا على النسيء ونحوه، ومن كان الله معه نصر لا محالة)) (١).

من خلال ما سبق نقله، جعلها الطاهر احتراسًا، وضمنها ثوبًا بلاغيًا، وربطها بفهم المسلمين من تحريم القتال في الأشهر الحرم، أنه ربما يظن أنه لا يحل لهم القتال فيه . بخلاف البقاعي فقد ربطها بفعل المشركين من النسيء لتحل لهم المقاتلة. والله تعالى أعلم.

المناسبة الرابعة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: ((والجملة بمنزلة التذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتّقين، دون أن يقال واعلموا أنّ الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، فيفيد أنّ المتّصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين، لئلا يكون ذكر جملة ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ غريبًا عن السياق، فيحصل من ذلك كلام مستقلّ يجري مجرى المثل وإيجازٌ يفيد أنّهم حينئذٍ من المتّقين، وأنّ الله يؤيّدهم لتقواهم ، وأنّ القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى ، وأنّ المشركين حينئذٍ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((إرشاد لهم إلى ما ينفعهم في قتالهم بعد أمرهم به ، وقيل: المراد أن الله معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال ، وإنما وضع المظهر موضع المضمر مدحًا لهم بالتقوى وحثًا للقاصرين على ذلك وإيذانًا بأنه المدار في النصر ، وقيل: هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم كما يشعر بذلك التعليق بالمشتق ، وما ذكرناه نحن لا يخلو عن حسن إلا أن الأمر بالتقوى فيه أعم من الأحداث والدوام ومثله كثير في الكلام)) (٣).

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٠٧ـ ٣٠٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨).

(٣) روح المعاني (٦/ ١٢٨).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه لما أمرهم بمقاتلة المشركين الذين ابتدأوا المسلمين بالقتال في الأشهر الحرم، عقّب بأنه مع المتقين عمومًا، يؤيدهم وينصرهم، لأن قتالهم في تلك الحالة من الطاعة والتقوى، وأن المشركين هم المعتدون فوجب مدافعتهم.

وذكر الألوسي أنه لما أمرهم بقتال البادئين، عقّب بالتقوى ليرشدهم إلى ما ينفعهم في قتالهم.

ويظهر أن مناسبة الطاهر أنسب وأشمل. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال السابق بيانه، يظهر جليًا قيام كثير من تشريعات وعبادات الإسلام على الوقت، كعبادة الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، وأن المشركين لما بدّلوا وغيّروا حُكْم الله في الوقت بحسب ما تمليه عليهم أهواؤهم ومصالحهم، فإنهم بذلك اعتدوا على سنة إلهية كونية قررها سبحانه لا تتغير ولا تتبدل مهما فعلوا.

ويظهر أيضًا أنه متى انحرفت البشرية عن نظام الله في الكون، حصل الفساد والضلال والظلم، وشاعت الفوضى، واختلت الأحوال، فكان لا بدّ من حسم تلك القضية، وإقامة الأمة على النظام والتوقيت الذي فطر الله الكون عليه منذ خلق السموات والأرض، لتنضبط أمورها، ويصلح حالها.

فللأوقات أهميتها، ولبعض الشهور حرمتها، وما استقام شيء ولا طاب إلا وفق ما جبله الله عليه، فيجب تعظيم ما عظّم الله وميّزه، وفيه حثٌّ على مراعاة حرمة الأشهر الحرم وتقوى الله فيها بعدم الظلم، وتضييعها في الشهوات والأهواء والمعاصي، هذا مطلوب على مرّ العام، ويزداد تأكيده في تلك الأربعة (رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم).

٢٢_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف بياني ناشئ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (٢) الآية لأنّ ذلك كالمقدّمة إلى المقصود وهو إبطال النسيء وتشنيعه))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما فهُم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه، كان كأنه قيل: أفما في النسيء تقوى فإن سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال في الشهر الذي حرمه؟ وذلك أنهم كانوا أصحاب غارات وحروب، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه لا مانع منه لم يعرض له، فكان إذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم تركه، وكان يشق عليهم ترك ذلك ثلاثة أشهر متوالية، فجعلوا النسيء لذلك، فقيل تصريحاً بما أفهمه ما مضى: ليس فيه شيء من ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي تأخير الشهر إلى شهر آخر على أنه مصدر نسأ نسيئاً - إذا أخره، أو هو اسم مفعول، أي الشهر الذي تؤخر العرب حرمته من الأشهر الحرم عن وقتها ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ أي لأنه على خلاف ما شرعه الله، وفيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه))(٤).

---

(١) الآية (٣٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٦) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٠٨).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية كالمقدمة إلى المقصود من الآية السابقة، فإنه لما قدّم في الآية التي قبلها بأن الشهور هي من حكم الله لا مجال لتغييرها، أتبع ذلك ببيان بطلان ما كانوا يفعلونه من النسيء.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر التقوى في الآية السابقة، وفُهم من ذلك أن النسيء باطل وليس بتقوى، كأنهم برّروا أن فعلهم النسيء كان لتقوى منهم من انتهاك حرمة الأشهر بالقتال فيها وقت كونهم محاربين، فجاء في هذه الآية مبينًا ومصرحًا بأن النسيء خلاف شرع الله.

ومما سبق بيانه، اتفقت المناسبتان، و يظهر أن البقاعي ربط الآية بذيل التي قبلها و لم يصرح بأنها استئناف بياني، أما الطاهر فقد صرح بذلك. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ ﴾: ((مستأنفة استئنافًا بيانيًا: لأنّ ما حكي من اضطراب حالهم يثير سؤال السائلين عن سبب هذا الضغث من الضلال الذي تمالؤوه فقيل: لأنّهم زيّن لهم سوء أعمالهم ، أي لأنّ الشيطان زيّن لهم سوء أعمالهم فحسّن لهم القبيح)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما انهتكت بهذا البيان قباحة فعلهم، كان كأنه قيل : إن هذا لعجب ! ما حملهم على ذلك؟ فقيل: ﴿زُيِّنَ ﴾ أي زين مزين، وقرئ شاذًا بإسناد الفعل إلى الله ﴿لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ ﴾ أي حتى رأوا حسنًا ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا، فعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿وَٱللَّهُ ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿ لَا يَهْدِى ﴾ أي يخلق الهداية في القلوب ﴿ ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي الذي طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه)) (٢).

من خلال النقل السابق، لم يختلف معنى ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي، فتكون المناسبة أنه لما أحلوا ما حرّم الله، وظهر للسامعين اضطراب حالهم، وقبح فعلهم، قد يتساءل سائل ويتعجّب : ما الذي حملهم على هذا الضلال؟ فكانت جملة زين لهم سوء أعمالهم بيانًا وتعليلاً، وأنه تزيين من الشيطان فرأوا القبيح حسنًا.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٩٤).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٠٩).

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: ((عطف على جملة ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ فهي مشمولة لمعنى الاستئناف البياني المراد منه التعليل لتلك الحالة الغريبة، لأنّ التعجيب من تلك الحالة يستلزم التعجيب من دوامهم على ضلالهم وعدم اهتدائهم إلى ما في صنيعهم من الاضطراب، حتّى يقلعوا عن ضلالهم ، فبعد أن أفيد السائل بأنّ سبب ذلك الاضطراب هو تزيين الشيطان لهم سوءَ أعمالهم، أفيد بأنّ دوامهم عليه لأنّ الله أمسك عنهم اللطف والتوفيق، الذيْن بهما يتفطّن الضالّ لضلاله فيقلع عنه، جزاءً لهم على ما أسلفوه من الكفر ، فلم يزالوا في دركات الضلال إلى أقصى غاية)) (١).

هنا مناسبة الختام أنه لما بيّن سبب اضطرابهم وهو تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم، أفاد بدوامهم على ذلك، فهم لم ينالوا الهداية والتوفيق لكفرهم. وهذه من تفردات الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان أن تزيين الشيطان للإنسان عمله القبيح، يطبعه على الدوام عليه، وعدم تبيّن ضلاله، وهذا يمنعه من الاهتداء والارتداع.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٩٤_ ١٩٥).

٢٣_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذا وعيد وتهديد عقّب به الملام السابق، لأنّ اللوم وقع على تثاقل حصل، ولّما كان التثاقل مفضياً إلى التخلّف عن القتال، صرّح بالوعيد والتهديد أن يعودوا لمثل ذلك التثاقل، فهو متعلّق بالمستقبل كما هو مقتضَى أداة الشرط . فالجملة مستأنفة لغرض الإنكار بعد اللوم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((لما رغّبهم في الآية الأولى في الجهاد بناء على الترغيب في ثواب الآخرة ، رغّبهم في هذه الآية في الجهاد بناء على أنواع أخر من الأمور المقوية للدواعي)) (٣).

٢_ قال البقاعي : ((ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك الإنصاف، توعّدهم بقوله: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ ﴾)) (٤).

من خلال النقل السابق، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، فاتفق الطاهر مع البقاعي في أنه لما أنكر عليهم تثاقلهم وتخلّفهم عن القتال حين استنفرهم للجهاد، جاء هنا بلومهم مع التصريح بالوعيد والتهديد حتى لا يعودوا لمثله مستقبلاً.

وذهب الرازي إلى أنه لما رغّبهم في الجهاد عن طريق الترغيب في ثواب الآخرة، رغّبهم هنا في الجهاد عن طريق دواعٍ أخرى هي العذاب والاستبدال والاستغناء عنهم.

---

(١) الآية (٣٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٩٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٤٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣١٨).

ومن خلال ما سبق بيانه، تكون مناسبة الطاهر والبقاعي أولى وأنسب؛ لأنه سياق إنكار ثم ملامة . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التحذير من التثاقل إلى الأرض، والركون إلى الدنيا، والزهد فيما عند الله تعالى، وهذا ليس فقط في الجهاد، بل في أمور الإنسان كلها، فمتى وجد المرء نفسًا طابت بنعيم الدنيا، ومالت إلى ظلالها، استنفرها واستحثها على نفض النعيم الزائل، وخوّفها عذاب الله واستبداله، فهو رب العالمين القادر على أن يستخلف قومًا آخرين، ولا يضرّه شيء مطلقًا.

٢٤_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف بياني لقوله: ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) لأنّ نفي أن يكون قعودهم عن النفير مُضرًّا بالله ورسولِه، يثير في نفس السامع سؤالاً عن حصول النصر بدون نصير، فبيّن بأنّ الله ينصره كما نصره حين كان ثاني اثنين لا جيش معه ، فالذي نصره حين كان ثاني اثنين قدير على نصره وهو في جيش عظيم ، فتبيّن أنّ تقدير قعودهم عن النفير لا يضرّ الله شيئًا)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

---

(١) الآية (٤٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٩) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٠ _ ٢٠١).

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن هذا ذكر طريق آخر في ترغيبهم في الجهاد ، وذلك لأنه تعالى ذكر في الآية الأولى أنهم إن لم ينفروا باستنفاره و لم يشتغلوا بنصرته ، فإن الله ينصره بدليل أن الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه إلا رجل واحد))(١).

٢ــ قال البقاعي : ((ولما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة وعظيم البأس والقوة، أتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستنفر لهم - وهو نبيه ﷺ - غير محتاج إليه ومتوقف نصره عليهم كما لم يحتج إليهم - بحياطة القادر له - فيما مضى من الهجر التي ذكرها، وأن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما عدوه واستدفاع ما أوعدوه في الدارين المشار إلى ذلك كله بقوله ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾(٢) الآية وقوله ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ ﴾ - الآية، فقال: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾))(٣).

من خلال ما سبق نقله، اختلفت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

فالطاهر جعلها استئنافًا بيانيًا جوابًا عن سؤال عن حصول النصر بدون نصير وربطها بقوله ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾(٤). وهذه من تفرداته.

والرازي جعلها ذكر طريق آخر من طرق الترغيب في الجهاد.

والبقاعي ربطها بقوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ وأن من دلائل قدرته أنه غير محتاج إليهم في نصرته فقد نصره حين كان في الغار.

فتكون المناسبة أنه لما ختم تعالى الآية السابقة بأن قعود المؤمنين عن النفير لن يضر الله ورسوله شيئًا، أتى بعد ذلك بحادثة الهجرة بيانًا لكيفية نصره وقدرته سبحانه، حيث نصره و لم يكن معه سوى رجل واحد. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان تكفّل الله تعالى بنبيه ﷺ، ونصره له في أشد المواطن وأعسرها، حيث لا مدد ولا عدد، إلا الله تعالى يُعين وينصر، ليعلم كل من تقاعس وتثاقل بأن الله غني عنه، وقادر على نصر دينه، ورفعة شأنه، وحماية عباده المؤمنين.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٥١).

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣١٨ ــ ٣١٩).

(٤) جزء من الآية (٣٩) من سورة التوبة.

٢٥_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف لابتداء الكلام على حال المنافقين وغزوة تبوك حين تخلّفوا واستأذن كثيرٌ منهم في التخلّف واعتلّوا بعلل كاذبة ، وهو ناشئ عن قوله: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ﴾ (٢). وانتُقل من الخطاب إلى الغيبة لأنّ المتحدّث عنهم هنا بعض المتثاقلين لا محالة بدليل قوله بعد هذا ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٣). ومن هذه الآيات ابتداء إشعار المنافقين بأنّ الله أطْلَع رسوله ﷺ على دخائلهم)) (٤).

---

(١) الآية (٤٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٤٥) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٨).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بالغ في ترغيبهم في الجهاد في سبيل الله ، وكان قد ذكر قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (١) عاد إلى توري كونهم متثاقلين وبيّن أن أقوامًا مع كل ما تقدم من الوعيد والحث على الجهاد تخلفوا في غزوة تبوك وبين أنه ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾)) (٢).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان هذا العتاب مؤذناً ا بأن فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالاً بنحو الأموال والأولاد، وكان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر والزواجر والمواعظ جدير : بأن يخفف كل متثاقل وينشط كل متكاسل، تشوفت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك فأعلم سبحانه به في أساليب البلاغة المخبرة عن أحوال القاعدين وأقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت المتثاقلين بأسلوب الإعراض المؤذن الغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم المبعثر لقبائحهم المخرج لهم ما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان))(٣).

من خلال المنقول السابق، اتفقت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة لما استنفرهم للجهاد في سبيل الله، وتوعد وهدد، وعاتب وحثّ، ابتدأ هنا في ذكر من لم ينفعه ما سبق من وعظ، وهم المتثاقلون المنافقون الذين تخلّفوا عن الجهاد وعن غزوة تبوك، مخبرًا عن دخائلهم وفضائحهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، تكون هذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين المنافقين والمؤمنين في القتال، فمن تتابع السياق المليء بالمواعظ والترغيب والترهيب، يظهر عدم استجابتهم، وخلودهم إلى التثاقل، وأن بالجهاد تظهر النفوس الصادقة، والقلوب المؤمنة، لما فيه من المشقة، وا لتضحية، والإخلاص. ومن هنا يتنبه المسلم إلى أنه إذا لم ينتفع بما جاء عن ربه وعن رسوله ﷺ، ورضي بهمة دونية، ونفس كسولة، يوشك أن يكون من المنافقين المتثاقلين.

---

(١) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ٥٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٢٢).

٢٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً نشأ عن تبرئة المؤمنين من أن يستأذنوا في الجهاد: ببيان الذين شأنهم الاستئذان في هذا الشأن، وأنّهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر في باطن أمرهم لأنّ انتفاء إيمانهم ينفي رجاءهم في ثواب الجهاد، فلذلك لا يُعرضون أنفسهم له)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((بيّن أن هذا الانتقال لا يصدر إلا عند عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، ثم لما كان عدم الإيمان قد يكون بسبب الشك فيه، وقد يكون بسبب الجزم والقطع بعدمه، بيّن تعالى أن عدم إيمان هؤلاء إنما كان بسبب الشك والريب)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما أخبر بالمتقين، عرّف بغيرهم على وجه الحصر تأكيدًا لتحقيق صفة العلم بما أخبر به سبحانه، فصار الاستئذان منفياً عن المؤمنين مرتين، فثبت للمنافقين على أبلغ وجه ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾)) (٤).

---

(١) الآية (٤٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٢).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٦٢).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٢٧).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنها استئناف بياني جوابًا عن سؤال مقدر من الكلام السابق : من الذين يستأذنونك؟ بعد نفي الاستئذان عن المؤمنين. وهذه من تفردات الطاهر.

والرازي ذكر علة عدم إيمانهم وذلك بسبب الشك والريب.

أما البقاعي فقد جعلها بيانًا، فلما ذكر المتقين، عرّف بغيرهم.

فالمناسبة أنه لما كان المؤمنون الحق لا يستأذنون في الخروج للجهاد، أثبت هنا مرة أخرى عدم استئذانهم ببيان فريق المستأذنين وهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابوا. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، فإنه لا ي نبغي التردد والتحير في فعل الواجبات والخيرات، وأن من شك في شيء فعليه السؤال عنه ليجد إجابة شافية، وليزيل ريبه، لأن من فعل عكس ذلك، شابه في فعله المنافقين المذكورين في الآية. وفيه أن في الجهاد دليل على الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢٧_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني لجملة ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ (٢) لبيان الحكمة من كراهية الله انبعاثهم ، وهي إرادة الله سلامة المسلمين من أضرار وجود هؤلاء بهم ، لأنّهم كانوا يضمرون المكر للمسلمين فيخرجون مرغمين، ولا فائدة في جيش يغزو بدون اعتقاد أنّه على الحقّ)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى بيّن في هذه الآية أنواع المفاسد الحاصلة من خروجهم)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل: ما له ثبطّهم وقد كنا قاصدين سفرًا بعيدًا وعدوًا كثيرًا شديدًا فنحن محتاجون إلى الإسعاد ولو بتكثير السواد ! قيل: و ﴿ لَوۡ ﴾ أي فعل ذلك بهم لأنهم ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم ﴾ أي وإن كانوا قليلاً معمورين بجماعاتكم ﴿ مَّا زَادُوكُمۡ ﴾ أي بخروجهم شيئاً من الأشياء ﴿ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ أي ما أتوكم بشيء زائد على ما عندكم من الأشياء غير الخبال)) (٥).

٣_ قال الألوسي: ((بيان لكراهة الله تعالى انبعاثهم أي لو خرجوا مخالطين لكم ﴿ مَّا زَادُوكُمۡ ﴾ شيئاً من الأشياء ﴿ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ أي شرًا وفسادًا)) (٦).

من خلال ما سبق نقله، اختلفت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

فقد اتفق الطاهر مع البقاعي والألوسي في معنى المناسبة إلا أن الطاهر قد صرّح بأنها استئناف بياني، وفُهم ذلك من كلام البقاعي والألوسي.

وذكر الرازي أنها لبيان أنواع المفاسد الحاصلة من خروجهم.

وجميع المناسبات متلائمة. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٤٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٤٦) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٦).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٦٥).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٢٨).

(٦) روح المعاني (٦/ ١٥٥).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾: ((تذييل قصد منه إعلام المسلمين بأنّ الله يعلم أحوال المنافقين الظالمين ليكونوا منهم على حذر ، وليتوسّموا فيهم ما وسمهم القرآن به ، وليعلموا أنّ الاستماع لهم هو ضرب من الظلم)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال ابن عطية: ((توعد لهم ولمن كان من المؤمنين على هذا الصفة)) (٢).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها إعلام للمسلمين ليكونوا على حذر من المنافقين الظالمين . وما ذكره من مناسبة أوضح وأصرح.

وجعلها ابن عطية وعيدًا للمنافقين وللمؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفة.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر أحوال المنافقين لو خرجوا للقتال مع المسلمين، ذيّل الآية بإعلام المسلمين بعلمه سبحانه بمكائد هؤلاء، ووعيده للمنافقين الظالمين، ولمن استمع لهم لأن الاستماع لهم نوع من الظلم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، تستمر الآيات في فضح قبائح المنافقين، وبيان خطرهم على الجيش الإسلامي، ولو بدا من وجودهم مصلحة ونفع للعقول القاصرة، لأنهم يبطنون الكفر والمكر والخديعة، ولا يألون جهدًا في الإفساد والتفريق في الخفاء.

وفي الآيات أيضًا تسلية للرسول ﷺ، والربط على قلوب المؤمنين، فهم ليسوا بحاجة لجند ولا مدد، ما دام ربهم ينصرهم ويثبتهم.

وأيضًا يظهر أنه أينما وُجِد منافقون، وُجدت آذان مصغية، وعقول ضعيفة، قد تنخدع بالمنافقين، فتفتر العزائم، وتقلّ الهمم، فيجب التنبّه والحذر، والسعي إلى إقصائهم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٤١).

٢٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((تتنزل هذه الجملة منزلة البيان لجملة ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٢)، وما بين الجملتين استدلال على كذبهم في ما اعتذروا به وأظهروا الاستئذان لأجله ، وبُيِّن هنا أن تردّدهم ه و أنّهم يخشون ظهور أمر المسلمين، فلذلك لا يصارحونهم بالإعراض ويودّون خيبة المؤمنين، فلذلك لا يحبّون الخروج معهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: ((اعلم أن هذا نوع آخر من كيد المنافقين ومن خبث بواطنهم)) (٤).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أن مناسبة هذه الآية هي أنه لما ذكر استئذان المنافقين في القتال وترددهم، وعقّبه بذكر أدلة كذبهم في اعتذاراتهم واستئذانهم، جاء هنا ببيان أن ترددهم في الخروج للقتال هو خشيتهم انتصار المسلمين وظهور استيائهم منه .

واقتصر الرازي على أنها في بيان نوع آخر من كيد المنافقين ومكرهم.

فتكون المناسبة التي ذكرها الطاهر إضافة إلى التفسير ومما تفرد به. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن المنافقين يفرحون ويُسرّون بما يصيب الإسلام وأهله. وأنهم يحنقون ويتحون من فوز الإسلام وأهله. وأنهم يفخرون ويدّعون تيقظهم الذي حال دون أن ينالوا ما نال المسلمون من سيئة، وهذا من خبث بواطنهم، وجبنهم وكذبهم، فما كانت اعتذاراتهم إلا لغرض، وما كان استئذانهم إلا لمصلحة لهم، لذا على المسلم أن يتنبّه من تغلغل تلك الفئات في العمل الإسلامي، لأنه مفسدون لا مصلحون، وحانقون لا محبّون، ويشمتون ولا يَصْدُقون.

---

(١) الآية (٥٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٤٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٢).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٦٨).

٢٩_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ ۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة ختام هذه الآية : ((وجملة ﴿ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ في موضع العلّة لنفي التقبّل، ولذلك وقعت فيها (إنَّ) المفيدة لِمعنى فاء التعليل، لأنّ الكافر لا يتقبّل منه عمل البرّ . والمراد بالفاسقين: الكافرون، ولذلك أعقب بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾(٢)) (٣).

من خلال ما سبق نقله، تكون هذه المناسبة من تفردات ابن عاشور والله أعلم. فذكر أنه لما نفى قبول نفقاتهم التطوعية أو المكروهة من قبلهم، ختم الآية بوصفهم بالفسق بمعنى الكفر؛ لأن الكافر لا يُقبل عمله من البر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن أعمال المنافقين الخيرية لم تكن بدافع الإيمان، بل إبطانًا لكفرهم، وتسترًا على مكرهم، ومعلوم أن أعمالهم لا تنفع ولا تُقبل مهما كانت لغياب الإيمان الذي هو سبب قبول العمل الصالح.

---

(١) الآية (٥٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٦).

٣٠_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على جملة ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾(٢) لأنّ هذا بيان للتعليل لعدم قبول نفقاهم بزيادة ذكر سببين آخريْن مانعين من قبول أعمالهم هما من آثار الكفر والفسوق. وهما: أنّهم لا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى، وأنّهم لا ينفقون إلاّ وهم كارهون. والكفر وإن كان وحده كافياً في عدم القبول، إلاّ أنْ ذكر هذين السببين إشارة إلى تمكّن الكفر من قلوبهم وإلى مذمّتهم بالنفاق الدالّ على الجبن والتردّد. فذكر الكفر بيان لذكر الفسوق، وذكر التكاسل عن الصلاة لإظهار أنّهم متهاونون بأعظم عبادة فكيف يكون إنفاقهم عن إخلاص ورغبة. وذكر الكراهية في الإنفاق لإظهار عدم الإخلاص في هذه الخصلة المتحدّث عنها))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما علل بالعراقة في الخروج عن الطاعة، بيّنه في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ ﴾ أي باطناً، ولذا عبر بالمجرد، ولذا بناه للمفعول لأن النافع القبول في نفس الأمر لا كونه من معين ﴿ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ ﴾ أي وإن جلت ﴿ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جبلاتهم وسوء غرائزهم.

ولما كان قبول النفقات مهيئًا للطهارة التي تؤثرها الصلاة، كان السياق لعدم قبولها – ليتسبب عنه النهي عن الصلاة عليهم – أبلغ لأنه أدل على الخبث، فأكد كفرهم بزيادة الجار إشعارًا بأن الكفر بكل منهما على حياله مانع فقال : ﴿ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ أي فسقهم بأنهم غير مؤمنين وهو السبب المانع بمفرده من القبول: ثم قدح في شاهدي ما يظهرون من الإيمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الإنفاق في الخيرات بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي المفروضة وغيرها ﴿ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ أي في حال كسلهم، لا يأتونها قط بنشاط ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ ﴾ أي نفقة من واجب أو غيره ﴿

---

(١) الآية (٥٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٣) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٧).

إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ أي في حال الكراهة وإن ظهر لكم خلاف ذلك، وذلك كله لعدم النية الصالحة واعتقاد الآخرة، وهذا لا ينافي طوعًا لأن ذلك بحسب الفرض أو الظاهر وهذا بحسب الواقع)) (١).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما أخبر في الآية السابقة عن عدم قبول نفقاتهم، لأنهم قوم فاسقون بمعنى كافرون ، بيّن هنا سبب عدم القبول بذكر سببين آخرين، ولكنهما من آثار الكفر والفسوق، وتمكّنهما من قلوبهم، وهما : أنّهم لا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى ، وأنّهم لا ينفقون إلاّ وهم كارهون.

ثم ذكر الطاهر أنه ذكر تهاونهم في الصلاة أعظم العبادات للدلالة على عدم إخلاصهم ورغبتهم في إنفاقهم، وذكر كراهيتهم في الإنفاق لإظهار عدم إخلاصهم فيها.

وعند البقاعي أنه لما بيّن عدم قبول نفقاتهم بسبب فسقهم وهو خروجهم عن الطاعة للرسول، بيّن هنا خبث بواطنهم فهم قد جمعوا بين الكفر وإتيان الصلاة كسالى وكراهية الإنفاق.

وذكر البقاعي أنه ذكر الصلاة والزكاة لأنهما شاهدي الإيمان فأبطل ما يظهرونه.

ومما سبق يظهر تقارب المعنيين، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تعداد صفات أخرى للمنافقين، فهم على كفرهم الباطن، يُظهرون الإسلام خداعًا وتخفيًا لكفرهم، وهي: لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون . وقد سبق ذكر بعض صفاتهم في سورة الرساء: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (٢).

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٣٣).

(٢) الآية (١٤٢) من سورة النساء.

٣١_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((تفريع على مذمّة حالهم في أموالهم، وأن وفرة أموالهم لا توجب لهم طُمَأنِينَة بال ، بإعلام المسلمين أنّ ما يرون بعض هؤلاء المنافقين فيه من متاع الحياة الدنيا لا ينبغي أن يكون محلّ إعجاب المؤمنين ، وأن يحسبوا المنافقين قد نالوا شيئاً من الحظّ العاجل ببيان أنّ ذلك سبب في عذابهم في الدنيا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قطع في الآية الأولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة ، بيّن أن الأشياء التي يظنونها من باب المنافع في الدنيا ، فإنه تعالى جعلها أسباب تعظيمهم في الدنيا ، وأسباب اجتماع المحن والآفات عليهم. ومن تأمل في هذه الآيات عرف أنها مرتبة على أحسن الوجوه ، فإنه تعالى لما بيّن قبائح أفعالهم وفضائح أعمالهم، بيّن مالهم في الآخرة من العذاب الشديد ومالهم في الدنيا من وجوه المحنة والبلية، ثم بيّن بعد ذلك أن ما يفعلونه من أعمال البر لا ينتفعون به يوم القيامة البتة. ثم بين في هذه الآية أن ما يظنون أنه من منافع الدنيا فهو في الحقيقة سبب لعذابهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم ، وعند هذا يظهر أن النفاق جالب لجميع الآفات في الدين والدنيا ، ومبطل لجميع الخيرات في الدين والدنيا ، وإذا وقف الإنسان على هذا الترتيب عرف أنه لا يمكن ترتيب الكلام على وجه أحسن من هذا . ومن الله التوفيق)) (٣).

٢_ قال أبو حيان: ((لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بيّن أن الأشياء التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى أسباباً ليعذبهم بها في الدنيا)) (٤).

٣_ قال البقاعي: ((ولما انتفى عن أموالهم النفع الأخروي الذي هو النفع، تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها وعدم اعتقاد أن فيها بركة ودلالة على خير، فقال – مبيناً ما فيها من الفساد الذي يظن أنه صلاح: ﴿ فَلَا ﴾ – بفاء السبب، فالسياق أبلغ من سياق الآتية بعد النهي عن الصلاة عليهم ﴿ تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ ﴾ أي وإن أنفقوها في سبيلي وجهزوا بها الغزاة . فإن ذلك عن غير إخلاص منهم ولا

---

(١) الآية (٥٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٧).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٧٣ _ ٧٤).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥٥).

حسن نية ولا جميل طوية، وإنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام وأخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب)) (١).

من خلال المنقول السابق، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة أنه لما ذمّ حال المنافقين في أموالهم، وأخبر عدم انتفاعهم بها في الآخرة، حذّر المسلمين من أن يُعجبوا بهم وبما عندهم من متاع الدنيا لأنه سبب في عذابهم وامتحانهم. والله أعلم.

أثر المناسبة:

تحذير المؤمنين من الإعجاب بما حبا الله به هؤلاء المنافقين من متاع دنيوي، فإنه لهم بلاء ومحنة وعذاب في الدنيا.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٣٣_ ٣٣٤).

٣٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذه الجملة معطوفة على ما قبلها من أخبار أهل النفاق . وضمائر الجمع عائدة إليهم ، قصد منها إبطال ما يموّهون به على المسلمين من تأكيد كونهم مؤمنين بالقَسم على أنّهم من المؤمنين)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن كونهم مستجمعين لكل مضار الآخرة والدنيا، خائبين عن جميع منافع الآخرة والدنيا، عاد إلى ذكر قبائحهم وفضائحهم، وبيّن إقدامهم على الأيمان الكاذبة))(٣).

٢_ قال أبو حيان : ((ولما حقر تعالى شأن المنافقين وأموالهم وأولادهم ، عاد إلى ذكر مصالحهم وما هم عليه من خبث السريرة ، فقال ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ على الجملة لا على التعيين ، وهي عادة الله في ستر أشخاص العصاة)) (٤).

٣_ قال البقاعي : ((ولما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين وخروجهم من ربقة (٥) الدين المصحح لوصفهم بالفسق، أوضح لبساً آخر من أحوالهم يقيمونه بالأيمان الكاذبة فقال: ﴿ وَيَحْلِفُونَ ﴾)) (٦).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فالمناسبة العود إلى ذكر قبائح المنافقين واستكمال أخبارهم، وهنا قبيحة أخرى وهي حلفهم الكاذب للمؤمنين بأنهم من المؤمنين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان استخفاف المنافقين بالأيمان وإجرائها على ألسنتهم كذبًا وزورًا ليتوصلوا بها إلى أغراضهم ومصالحهم، فهذا بيان لأسلوب من أساليبهم الماكرة فهم لم يحلفوا إلا خشية افتضاح أمرهم، و خوف ظهور حقيقتهم لعيشهم بين المؤمنين، وهم أهل إخفاء الحقائق، وإبطان الشرور، وفساد النوايا.

---

(١) الآية (٥٦) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٧٧).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥٦).

(٥) الربق بالكسر: حبل فيه عدة عرا تشد به البهم، الواحدة من العرا ربقة. انظر: مختار الصحاح (١/ ٩٨)، باب ر ب ق.

(٦) نظم الدرر (٣/ ٣٣٤).

٣٣_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((جملة معطوفة على جملة: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (٢) باعتبار ما تفرّع عليها من قوله: ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (٣) عطفاً ينبئ عن الحالة المحمودة، بعد ذكر الحالة المذمومة)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما أخبر تعالى عن حالهم السيء الدنيء الذي لا يجديهم في الدنيا ويهلكهم في الأخرى، نبهّهم على ما هو الأصلح لهم من الحال الشريف السني)) (٥).

من خلال المنقول السابق، اتفقت مناسبة الطاهر مع البقاعي في هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر حالة المنافقين المذمومة في لمزهم النبي ﷺ في الصدقات، بيّن هنا الحالة المحمودة التي كان من المفترض بهم أن يكونوا عليها من الرضا وطيب النفس بما قسم الله ورسوله . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن طلب الدنيا والطمع فيها يؤول بالإنسان إلى خسران الدين وتضييعه، وأن طلب الآخرة والرضا بما قسم الله في الدنيا يؤول بالإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة . فهذه الآية تُعلّم الرضا بما قسم الله، والتوكل عليه فيما آتى اعتقادًا ولسانًا وعملاً، واتخاذ ما أتاه لنيل رضوانه، وخدمة دينه، وأنّ ما فات من شؤون الدنيا لا يفوت عند الله في الآخرة.

---

(١) الآية (٥٩) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٥٨) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٣٣).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٣٥).

٣٤_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذه الآية اعتراض بين جملة : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾(٢) وجملة ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾(٣) الآية. وهو استطراد نشأ عن ذكر اللمز في الصدقات أدمج فيه تبيين مصارف الصدقات))(٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن المنافقين لما لمزوا الرسول ﷺ في الصدقات، بيّن لهم أن مصرف الصدقات هؤلاء، ولا تعلق لي بها ، ولا آخذ لنفسي نصيبًا منها، فلم يبق لهم طعن في الرسول بسبب أخذ الصدقات))(٥).

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر تعالى من يعيب الرسول في قسم الصدقات ، بأنه يعطي من يشاء ويحرم من يشاء، أو يخص أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقي ، وكانوا يسألون فوق ما يستحقون ، بيّن تعالى مصرف الصدقات وأنه ﷺ إنما قسم على ما فرضه الله تعالى))(٦).

٣_ قال البقاعي: ((ولما أخبر عن لمزهم في الصدقات وقرر ما هو خير لهم إرشادًا إلى النجاة، علل فعل رسول الله ﷺ فيها وبين أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذي لا يجوز في شرعه الأكمل غيره لمزوا أو تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرًا بأداة القصر على ما ذكر: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾))(٧).

٤_ قال الألوسي: ((ثم إنه سبحانه لما ذكر المنافقين وطعنهم وسخطهم بيّن أن فعله عليه الصلاة والسلام لإصلاح الدين وأهله لا لأغراض نفسانية كأغراضهم فقال جل وعلا ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ الخ يعني أن الذي ينبغي أن يقسم مال الله عليه من اتصف بإحدى هذه الصفات دون غيره

---

(١) الآية (٦٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦١) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٣٤).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ٨٠).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٥٨).

(٧) نظم الدرر (٣/ ٣٣٦).

إذ القصد الصلاح والمنافقون ليس فيهم سوى الفساد فلا يستحقونه وفي ذلك حسم لأطماعهم الفارغة ورد لمقالتهم الباطلة)) (١).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر لمز المنافقين للرسول ﷺ وطعنهم في قسمته للصدقات، بيّن هنا مصارف الصدقات ومستحقيها، وأنها بتقسيم الله تعالى، ردًا عليهم وإسكاتًا لهم، وحدًا لأطماعهم.

ويظهر كذلك تفرد الطاهر عن غيره المفسرين بأن ضمّن هذه المناسبة أنواعًا من البلاغة فذكر الاعتراض والاستطراد والتدميج. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال تتابع الآيات في فضح المنافقين، وهتك أستار نفوسهم الخبيثة، تأتي هذه الآية وسط تلك القبائح بما يُربي النفس على الإحسان، وتخلية القلب من حب الدنيا والمال، عن طريق الشعور بحرمان الآخرين وبؤسهم، والحث على تقديم يد الجود بما آتى الله تعالى، عبادة لله وحبًا لله، فتصفى نفوس المجتمع المسلم وتتكافل، وتندفع الآفات، وتعمّ الخيرات، غنيّهم وفقيرهم، وتندحر العلائق الدنيوية، وترغب النفس وتتشوّق لما عند الكريم المنان.

فالزكاة شكر، وتعاون، وألفة، وسدّ للخلل من جميع الوجوه، وتلمّس لحاجات المسلمين، وهي علاج مقابل لما يبثّه المنافقون من تفريق بين المسلمين، وما دأبوه في التشتيت وإذكاء الفتن.

---

(١) روح المعاني (٦/ ١٦٦).

٣٥_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا كان قولهم : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ ﴾ (٢) اعتذارًا عن مناجاتهم، أي إظهارًا للعذر الذي تناجَوا من أجله، وأنّه ما يحتاجه المتعَب : من الارتياح إلى المزح والحديث في غير الجدّ ، فلمّا كشف الله أمر استهزائهم ، أردفه بإظهار قلّة جدوى اعتذارهم إذ قد تلبّسوا بما هو أشنع وأكبر ممّا اعتذروا عنه ، وهو التباسهم بالكفر بعد إظهار الإيمان . فإن الله لّما أظهر نفاقهم. كان ما يصدر عنهم من الاستهزاء أهون فجملة ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ من جملة القول الذي أمر الرسول أن يقوله، وهي ارتقاء في توبيخهم، فهي متضمّنة توكيدًا لمضمون جملة ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (٣)، مع زيادة ارتقاء في التوبيخ وارتقاء في مثالبهم بأنّهم تلبّسوا بما هو أشدّ وهو الكفر، فلذلك قطعت الجملة عن التي قبلها، على أنّ شأن الجمل الواقعة في مقام التوبيخ أن تقطع ولا تعطف لأنّ التوبيخ يقتضي التعْداد ، فتقع الجمل الموبَّخ بها موقع الأعداد المحسوبة نحو واحد، اثنان، فالمعنى لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي فإنّكم قد عُرفتم بما هو أعظم وأشنع . والنهي مستعمل في التسوية وعدم الجدوى)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((أنه تعالى بيّن أن ذلك الاستهزاء كان كفرًا والعقل يقتضي أن الإقدام على الكفر لأجل اللعب غير جائز فثبت أن قولهم ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ ﴾ ما كان عذرًا حقيقيًا في الإقدام على ذلك الاستهزاء فلما لم يكن ذلك عذرًا في نفسه نهاهم الله عن أن يعتذروا به لأن المنع عن الكلام الباطل واجب فقال ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ أي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم)) (٥).

---

(١) الآية (٦٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآيتي (٦٥) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٥) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥١ــ ٢٥٢).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ٩٩).

٢_ قال البقاعي: ((ولما حقق استهزاءهم، أنتج قوله: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ أي لا تبالغوا في إثبات العذر، وهو ما ينفي الملام، فإن ذلك لا يغنيكم وإن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قَدۡ كَفَرۡتُم ﴾ أي بقولكم هذا)) (١).

من خلال النقل السابق، يظهر تميز الطاهر في هذه المناسبة، حيث أسبغ على المناسبة لونًا بلاغيًا، فذكر علة قطع هذه الآية ع ن التي قبلها، وإن كانت من جملة المقول الذي أُمر الرسول ﷺ أن يقوله. وأشار الطاهر إلى أن الآية ارتقاء في التوبيخ، وهو ما لم يُشر إليه الرازي والبقاعي.

فتكون المناسبة أنه لما اعتذروا في الآية السابقة بأنهم إنما قالوا ما قالوا خوضًا ولعبًا، وفضح الله استهزاءهم، أعقبه بأن نهاهم عن الاعتذار ارتقاء في توبيخهم، لأن اعتذارهم غير صادق ولا يفيد، ووبخهم لتلبّسهم بما هو أشنع وأعظم من الاستهزاء، فهم قد كفروا بعد إظهار الإيمان. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾: ((جاءت هذه الجملة على عادة القرآن في تعقيب النذارة بالتبشير للراغب في التوبة تذكيرًا له بإمكان تدارك حاله. ولمّا كان حال المنافقين عجيبًا كانت البشارة لهم مخلوطة ببقية النذارة، فأنبأهم أنّ طائفة منهم قد يُعفى عنها إذا طلبت سبب العفو : بإخلاص الإيمان، وأنّ طائفة تَبْقى في حالة العذاب ، والمقام دالّ على أنّ ذلك لا يكون عبثاً ولا ترجيحًا بدون مُرجّح ، فما ه و إلاّ أنّ طائفة مرجّوة الإيمان، فيغفر عمّا قدّمته من النفاق، وأخرى تصرّ على النفاق حتّى الموت، فتصير إلى العذاب)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال البقاعي: ((ولما كان الحال مقتضياً لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم، بيّن أنهم قسمان: أحدهما مطبوع على قلبه ومقضي توبته وحبه، ، وهذا الأشرف هو المراد بقوله بانياً للمفعول إعلامًا بأن المقصود الأعظم هو الفعل، لا بالنظر إلى فاعل معين: ﴿إِن نَّعۡفُ﴾ لأن كلام الملك وإن جري في مضمار الشرط فهو مرشد إلى تحققه ليحصل الفرق بين كلام الأعلى والأدنى ﴿عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ أي لصلاحيتها للتوبة ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾ أي قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة)) (٣).

من خلال النقل السابق، تفاوت ما ذكره الطاهر والبقاعي.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٢).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٤٣).

فذكر الطاهر أنه لما أنذرهم في أول الآية، أردف تلك النذارة بالترغيب والبشارة لمن يريد التوبة وتدارك حاله فيُعفى عنه، وطائفة تبقى في حالة العذاب لإصرارها على النفاق . وهذه عادة القرآن الكريم في ذكر الضد.

وذكر البقاعي أنه لما بيّن كفرهم اقتضى أن يبيّن بعد ذلك انقسامهم إلى فريق يرجو التوبة لصلاحيته لها، وفريق مطبوع على الكفر والإجرام.

والمناسبة الأنسب أنه لما بيّن لهم كفرهم وأنذرهم، فتح لهم باب التوبة مع الإنذار الشديد بعذاب من بقي منهم على كفره. وهي مناسبة الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، أوضحت الآيات أن الاستهزاء بالدين كفر بالله تعالى، جدًا كان أو هزلاً، قولاً كان أو فعلاً، لا يمحوه إلا التوبة الصادقة عن ذلك الكفر والنفاق.

٣٦_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((يظهر أن تكون هذه الآية احتراسًا عن أن يظنّ المنافقون أنّ العفو المفروض لطائفة منهم هو عفو ينال فريقًا منهم باقين على نفاقهم ، فعقب ذلك ببيان أنّ النفاق حالة واحدة وأنّ أصحابه سواء ، ليعلم بذلك أن افتراق أحوالهم بين عفو وعذاب لا يكون إلاّ إذا اختلفت أحوالهم بالإيمان والبقاءِ على النفاق، إلى ما أفادته الآية أيضًا من إيضاح بعض أحوال النفاق وآثاره الدالّة على استحقاق العذاب ، ففصل هاته الجملة عن التي قبلها : إمّا لأنّها كالبيان للطائفة المستحقّة العذاب، وإمّا أن تكون استئنافاً ابتدائياً في حكم الاعتراض كما سيأتي عند قوله تعالى : ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾(٢) وإمّا أن تكون اعتراضاً هي والتي بعدها بين الجملة المتقدمة وبين جملة ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ ﴾(٣) كما سيأتي هنالك . وزيد في هذه الآية ذكر ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُۚ ﴾ تنصيصاً على تسوية الأحكام لجميع المتّصفين بالنفاق : ذكورهم وإناثهم، كيلا يخطر بالبال أن العفو يصادف نساءهم، والمؤاخذة خاصّة بذُكرَانهم ، ليعلم الناس أنّ لنساء المنافقين حظًّا من مشاركة رجالهنّ في النفاق فيحذروهنّ ... وجملة ﴿ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ ﴾ مبيِّنة لمعنى الاتّصال والاستواءِ في الأحوال))(٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((هذا ابتداء إخبار عنهم وحكم من الله تعالى عليهم))(٥).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أن هذا شرح نوع آخر من أنواع فضائحهم وقبائحهم والمقصود بيان أن إناثهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة والأفعال الخبيثة فقال ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ أي

---

(١) الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٩) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٩) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٣ _ ٢٥٤).

(٥) المحرر الوجيز (٣/ ٥٦).

في صفة النفاق كما يقول الإنسان أنت مني وأنا منك أي أمرنا واحد لا مباينة فيه ولما ذكر هذا الكلام ذكر تفصيله فقال ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾))(١).

٣_ قال البقاعي: ((ولما بيّن سبحانه أفعالاً وأقوالاً لطوائف من المنافقين – منهم من كان معه ﷺ في العسكر – هي في غاية الفساد، كان ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم؟ فقال جوابًا عن ذلك واستدلالاً على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ﴾ أي الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفران ﴿ بَعْضُهُم ﴾ ولما كان مرجعهم الجمود على الهوى والطبع والعادة والتقليد من التابع منهم للمتبوع، قال : ﴿ مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد، أمورهم متشابهة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، والقصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان ولذلك بيّنه بقوله: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾...))(٢).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه لما ذكر أن مَن تاب من المنافقين يُعفى عنه، عقّب بهذه الآية احتراسًا من أن يظنّ مَن بقي على نفاقه أن العفو يطاله، فحكم أن المنافقين الباقون على نفاقهم فئة واحدة سواء؛ لذا فصّل في الآية بذكر قبائح أعمالهم وتساويهم في الأحوال القبيحة، وإما أن تكون استئنافًا أو اعتراضًا لما بعدها، وفي قوله الثاني وافق ابن عطية.

وفي مناسبة ذكر المنافقات هنا، ذكر الطاهر أنها للتنصيص على أنهم وذكرانهم سواء في الحكم.

وذكر الرازي أن الآية في بيان حكم المنافقين والمنافقات وأنهم سواء في منزلة النفاق والكفر، وأن ما بعدها تفصيل لتشابههم في الأحوال جميعها.

وذكر البقاعي أنها استئناف بياني جوابًا عن سؤال مقدر من الكلام السابق.

ومن خلال ما سبق بيانه، ويظهر تفرد الطاهر في أن المناسبة احتراسًا، وما ذكره أنسب من مما ذكره بقية المفسرين. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ : ((فذلكة للتي قبلها فلذلك فصلت لأنّها كالبيان الجامع . وصيغة القصر في ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ قصر ادّعائي للمبالغة لأنّهم لمّا بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق))(٣).

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٠١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٤٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما تطبعوا بهذه النقائص كلها، اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في أسلوب التعجيب من حالهم)) (١).

من خلال المنقول السابق، اتفق الطاهر في معنى ما ذكره مع البقاعي، فتكون المناسبة أنه لما فصّل وبيّن أعمال هؤلاء المنافقين والمنافقات، أتبعه بفذلكة جامعة مبينة لكل ما سبق بأنهم هم الفاسقون . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

أوضحت الآيات من خلال ما سبق الدور الذي يقوم به مجتمع المنافقين في المجتمع المسلم، فهم على استهزائهم وخبث طويتهم، تشابهت أحوالهم وأفعالهم ومقالاتهم في جميع الأزمنة، فأينما تواجدوا فهم سواء في الإفساد والتخريب، ذكورهم وإناثهم، وهم على ما هم فيه من حال فاقوا الجميع في فسقهم وميلهم عن الحق.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٤٤_ ٣٤٥).

٣٧_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه الجملة إمّا استئنافٌ بياني ناشئ عن قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٢)، وإمّا مبيِّنةٌ لجملة ﴿فَنَسِيَهُمْۚ ﴾ (٣) لأنّ الخلود في جهنم واللعنَ بَيان للمرادِ من نسيان الله إيّاهم)) (٤).

ثم قال: ((وزيادة ذِكر ﴿وَٱلْكُفَّارَۚ ﴾ هنا للدلالة على أنّ المنافقين ليسوا بأهون حالاً من المشركين إذ قد جمع الكفر الفريقين)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن من قبل في المنافقين والمنافقات أنه نسيهم، أي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله أكّد هذا الوعيد وضم المنافقين إلى الكفار فيه، فقال ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ ﴾ ولا شك أن النار المخلدة من أعظم العقوبات)) (٦).

٢_ قال البقاعي: ((ولما بيّن كثيرًا من أحوالهم فاشتد التشوّف إلى مآلهم وكان مقصودها بإظهار الإيمان والاعتذار عن النقائض بتأكيد الأيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التحبب طمعًا في العيش في أكنافهم وفرقاً من المعاجلة بما يستحقون من إتلافهم، بيّن أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم والطرد اللازم ، وجمع معهم المصارحين بالكفر إعلاماً بأنهم إن لم يكونوا أعظم عنادًا منهم فهم سواء))) (٧).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر في قوله الأول أنها استئناف بياني ناشئ عن سؤال مقدر عن قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٨). وهذه من تفرداته.

---

(١) الآية (٦٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٥).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٦).

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٠٢).

(٧) نظم الدرر (٣/ ٣٤٥).

(٨) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

واتفق الطاهر في قوله الثاني مع الرازي في أنه لما ذكر في الآية التي قبلها نسيان الله للمنافقين لما نسوه، بيّن هنا هذا النسيان بأنه الخلود في النار ولعنُهم.

وذكر البقاعي أنه لما بيّن كثيرًا من أحوال هؤلاء المنافقين وخداعهم، زاد التشوف لمعرفة مصيرهم، فبيّن هنا أنهم في النار خالدون جزاء على هذا الخداع.

ومناسب ذكر الكفار هنا في معرض ذكر عذاب المنافقين، لبيان تساويهم وأن المنافقين ليسوا بأقل حالاً من الكافرين المخلدين في النار.

وكل ما ذكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن المنافقين ليسوا بأفضل حالاً من إخوانهم الكافرين، فلفعلهم القبيح وافقوهم فكانوا في العذاب سواء.

٣٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((قيل هذا الخطاب التفات ، عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى المنافقين، إلى خطابهم لقصد التفريع والتهديد بالموعظة ، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة الإمهال بأنّ آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة ، وأن يحقّ عليهم الخسران)) (٢).

وقال أيضًا: ((وقيل هذا من بقية المَقول المأمور بأن يبلغه النبي ﷺ إيّاهم من قوله: ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (٣) الآية. فيكون ما بينهما اعتراضًا بقوله: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ (٤) الخ فضمير الخطاب لهم جار على مقتضى الظاهر بدون التفات والكلام مسوق لتشبيه حالهم في مصيرهم إلى النار)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أن هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، وهذا الكاف للتشبيه ، وهو يحتمل وجوهًا: الأول: قال الفراء (٦): فعلتم كأفعال الذين من قبلكم ، والمعنى: أنه تعالى شبّه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، وقبض الأيدي عن الخيرات ، ثم إنه تعالى وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة من هؤلاء المنافقين وأكثر أموالاً وأولادًا، ثم استمتعوا مدة بالدنيا ثم هلكوا وبادوا وانقلبوا إلى العقاب الدائم ، فأنتم مع ضعفكم وقلة خيرات الدنيا عندكم أولى أن تكونوا كذلك.

---

(١) الآية (٦٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٦).

(٣) جزء من الآية (٦٥) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٧).

(٦) أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي ، مولى بني أسد، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، (ت ٢٠٧هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩)، وفيات الأعيان (٦/ ١٧٦).

والوجه الثاني: أنه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله تعالى لأجل طلب لذات الدنيا ، بمن قبلهم من الكفار، ثم وصفهم تعالى بكثرة الأموال والأولاد وبأنهم استمتعوا بخلاقهم ،...فذكر تعالى أنهم استمتعوا بخلاقهم فأنتم أيها المنافقون استمتعتم بخلاقكم كما استمتع أولئك بخلاقهم))[1].

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة والإعراض عن العاقبة لأنها غائبة متشابهًا لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية والقرون الماضية، بيّن لهم ذلك وختم ببيان سوء أحوالهم وقبح مآلهم بتلاشي أعمالهم فقال ملتفتاً إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع في باب العتاب وأقعد في استجلاب المصالح للمتاب: ﴿كَالَّذِينَ﴾))[2].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما بيّن ما بيّن في الآيات السابقة من عذاب المنافقين ووعيدهم، التفت هنا من أسلوب الغيبة إلى خطاب المنافقين بأنهم شابهوا الذين من قبلهم في أفعالهم، وفي غرورهم بما أُمهلوا، واعظًا لهم ومهددًا بحبط أعمالهم وخسرانهم الأكيد. وبمثله قال الرازي والبقاعي.

وذكر الطاهر مناسبة أخرى أنه قد يكون من بقية قول النبي ﷺ للمنافقين، سيق لتشبيه حالهم بمن قبلهم في مصيرهم إلى النار، وما بين القولين اعتراض. وهذه المناسبة مما تفرد به الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان مراعاة القرآن الكريم حال المخاطبين ونفسياتهم في خطابه لهم، فالأنفع والأوقع في الزجر والعتاب للمنافقين هو الأسلوب المباشر الصريح الذي يواجه سوءاتهم، ويكشف عوراتهم، فلا يجعل لهم مناصًا ولا مخلصًا إلا التوبة والإياب.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٠٢).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٤٥_ ٣٤٦).

٣٩_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه تقابل قوله: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ (٢) لبيان أنّ الطائفة التي ينا لها العفو هي الملتحقة بالمؤمنين . فالجملة معطوفة على جملة : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ وما بينهما جمل تسلسل بعضها عن بعض .

وقوله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ مقابل قوله: في المنافقين ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾. وعبّر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنّهم أولياء بعضٍ للإشارة إلى أنّ اللحمة الجامعة بينهم هي وَلاية الإسلام ، فهم فيها على السواء ليس واحد منهم مقلّدًا للآخر ولا تابعً له على غير بصيرة لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين فكأنّ بَعضَهم ناشئ من بعض في مذامّهم.

وزيد في وصف المؤمنين هنا ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ تنويهًا بأنّ الصلاة هي أعظم المعروف. وقوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ مقابل قوله في المنافقين ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ ﴾ (٣). وقوله ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ مقابل قوله في المنافقين ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ (٤). لأنّ الطاعة تقتضي مراقبة المطاع فهي ضدّ النسيان. وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ مقابل قوله في المنافقين ﴿ فَنَسِيَهُمْۗ ﴾ (٥)) (٦).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بالغ في وصف المنافقين بالأ عمال الفاسدة والأفعال الخبيثة ، ثم ذكر عقيبه أنواع الوعيد في حقهم في الدنيا والآخرة ، ذكر بعده في هذه الآية كون المؤمنين موصوفين بصفات الخير وأعمال البر ، على ضد صفات المنافقين ، ثم ذكر بعده في هذه الآية أنواع ما أعد الله لهم من الثواب الدائم والنعيم المقيم ، فأما صفات المؤمنين فهي قوله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ . فإن

---

(١) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٥) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٦) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٢_ ٢٦٣).

قيل: ما الفائدة في أنه تعالى قال في صفة المنافقين : ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾(١) وههنا قال في صفة المؤمنين ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ فلم ذكر في المنافقين لفظ (مِنْ) وفي المؤمنين لفظ (أَوْلِيَاء).

قلنا: قوله في صفة المنافقين ﴿ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾(٢) يدل على أن نفاق الأتباع كالأمر المتفرع على نفاق الأسلاف ، والأمر في نفسه كذلك ، لأن نفاق الأتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكابر، وبسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة ، أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فإنما حصلت لا بسبب الميل والعادة، بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية ، فلهذا السبب قال تعالى في المنافقين ﴿ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ وقال في المؤمنين ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾... واعلم أنه تعالى لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له فقال ﴿ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ فذكر هذه الأمور الخمسة التي بها يتميز المؤمن من المنافق ، فالمنافق على ما وصفه الله تعالى في الآية المتقدمة يأمر بالمنكر ، وينهى عن المعروف، والمؤمن بالضد منه . والمنافق لا يقوم إلى الصلاة إلا مع نوع من الكسل والمؤمن بالضد منه . والمنافق يبخل بالزكاة وسائر الواجبات كما قال ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ ﴾(٣) والمؤمنون يؤتون الزكاة . والمنافق إذا أمره الله ورسوله بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف بنفسه ويثبط غيره كما وصفه الله بذلك ، والمؤمنون بالضد منهم، وهو المراد في هذه الآية بقوله ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ ثم لما ذكر صفات المؤمنين بين أنه كما وعد المنافقين نار جهنم فقد وعد المؤمنين الرحمة المستقبلة وهي ثواب الآخرة ، فلذلك قال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ وذكر حرف السين في قوله سَيَرْحَمُهُ مُ اللَّهُ للتوكيد والمبالغة))
.(٤)

٢ــ قال أبو حيان: ((لما ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة ذكر المؤمنين والمؤمنات، وقال في أولئك ﴿ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ وفي هؤلاء ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾)) (٥).
.(٥)

---

(١) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) التفسير الكبير (١٠/ ١٠٤ــ ١٠٥).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٧١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما بيّن سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض وما توعدهم به وما استتبعه من تهديدهم بإهلاك من شابهوه، وختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم وعدم اعتبارهم، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيبًا في التوبة طمعًا في مثل حالهم فقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ أي بما جاءهم عن ربهم ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾ ولم يقل: من، كما قال في المنافقين: من ﴿ بَعْضٍ ﴾ دلالة على أن أحدًا منهم لم يقلد أحدًا في أصل الإيمان ولا وافقه بحكم الهوى، بل كلهم مصوبون بالذات وبالقصد الأول إلى اتباع رسول الله ﷺ بالدليل القطعي على حسب فهم كل أحد منهم، فذلك دليل على صحة إيمانهم ورسوخهم في تسليمهم وإذعانهم؛ ثم بيّن ولايتهم بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فقال: ﴿ يَأْمُرُونَ ﴾ أي كلهم على وجه التعاضد والتناصر ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو كل ما عرفه الشرع وأجازه ﴿ وَيَنْهَوْنَ ﴾ أي كذلك ﴿ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ لا يحابون أحدًا.

ولما ذكر الدليل القطعي على صحة الإيمان، أتبعه أفضل العبادات فقال: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يوجدونها على صفة تقتضي قيامها بجميع أركانها و شروطها وحدودها مراقبة لربهم واستعانة بذلك على جميع ما ينوبهم ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق، وذلك مواز لقوله في المنافقين ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾(١) ولما خص أمهات الدين، عم بيانًا لأنهم لا ينسون الله طرفة عين بل يذكرونه في كل حال بقوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا ملك سواه ﴿ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم وجميل عشرتهم))(٢).

٤ــ قال الألوسي: ((بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً بعد بيان حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً، وقوله سبحانه ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ يقابل قوله تعالى فيما مرّ: ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾(٣). وتغيير الأسلوب للإشارة إلى تناصرهم وتعاضدهم بخلاف أولئك وقوله عز وجل ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ظاهر المقابلة (ليأمرون بالمنكر) الخ الكلام في المنكر والمعروف معروف، وقوله جل وعلا ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ في مقابلة ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾(٤)، وقوله تعالى جده ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ في

---

(١) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٥٨).

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

مقابلة ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ ﴾ وقوله تبارك وتعالى ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ أي في سائر الأمور في مقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة ، وقيل: هو في مقابلة ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ زيادة مدح، وقوله تعالى شأنه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ في مقابلة ﴿ فَنَسِيَهُمۡۗ ﴾ المفسر بمنع لطفه ورحمته سبحانه)) (١).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، على اختلاف ألفاظهم.

فاتفق الجميع على أن الآية مقابلة للآية التي سيقت سابقًا في المنافقين والمنافقات وأوصافهم.

وذكر الطاهر أنها لبيان الطائفة التي تابت فعفا الله عنها وألحقها ب المؤمنين. وذكر الرازي وأبو حيان والألوسي أنه لما وصف المنافقين وقبائحهم وجزاءهم، جاء هنا بذكر المؤمنين وأوصافهم المضادة للمنافقين. و لم يختلف عنهما البقاعي إلا أنه جعل ذكر المؤمنين ترغيبًا للتوبة ببيان صفاتهم وحالهم.

وفي مناسبة التعبير بالأولياء في جان ب المؤمنين، واستخدام (من) في جانب المنافقين، هي أن الولاية الجامعة للمؤمنين هي ولاية الإسلام الحاملة على الإخلاص والتناصر، وأن الذي جمع المنافقين هو التقليد والتبعية الجاهلة للأكابر والآباء، فهم كأنهم نشأ بعضهم من بعض.

وذكر الطاهر أنه زاد هنا وصف المؤمنين بإقامة الصلاة لأنها أعظم المعروف، وقوله هذا قريب مما قاله البقاعي والألوسي. حيث ذكر البقاعي أنه لما ذكر دليل إيمان المؤمنين أتبعه بذكر أفضل العبادات وقيامهم بها. وجعل الألوسي إقامة الصلاة هنا في مقابل نسيانهم الله هناك، أو هي زيادة مدح للمؤمنين . أما الرازي فذكر أن المنافقين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى بينما المؤمنون يقيمون الصلاة على وجهها المطلوب.

واتفق الجميع على أن مقابل إيتاء الزكاة هنا، قبض المنافقين أيديهم عنها هناك.

وذكر الطاهر في مقابل طاعة الله ورسوله هنا، ذكر هناك نسيان المنافقين لله تعالى لأن الطاعة تقتضي مراقبة المطاع فهي ضد النسيان، وهذا المعنى ذهب إليه البقاعي أيضًا . وذكر الرازي أنه في مقابل الطاعة هنا، التخلف عن الجهاد والتثبيط للمؤمنين هناك . وذكر الألوسي أن الطاعة هنا مقابل وصف المنافقين بالفسق هناك.

وذكر الطاهر أنه جاء في جانب المؤمنين بأنه سيرحمهم، وفي جانب المنافقين بأنه نسيهم، وبهذا المعنى قال الألوسي. وذكر الرازي أنه لما وعد المنافقين بالخلود في النار، وعد هنا المؤمنين بالرحمة . وهو المعنى ذاته.

---

(١) روح المعاني (٦/ ١٨٨).

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن الآية جاءت في مقابلة ما ورد في وصف المنافقين السابق، للعبرة والعظة، والترغيب في التوبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

١ــ بيان للأسلوب القرآني في ذكر الأضداد، لتكتمل الصورة، وتتضح الفروق، وتنجلي الحقائق، ويعرف الإنسان ما نُهي عنه وضده، ليرى رحمة الله فيه، ويستشعر مصلحته التامة فيما أمر ربه ونهى، فيرغب فيما عنده، ويتجنب ما نهى عنه. فبهذا الأسلوب تبيّنت الفروق الشاسعة بين أهل النفاق وأهل الإيمان، واتضح سبيل الله وطريق الشيطان.

٢ــ بيان أن الولاية بين المؤمنين هي أعظم الولايات وأقومها، فليست قائمة على تقليد وتبعية وعدم بصيرة ومصالح، بل هي لحمة الإيمان، وأخوة الإسلام، كالبناء يكمل بعضه بعضًا، ويشد بعضه أزر بعض.

٣ــ بيان الفروق الخمسة بين أهل النفاق، وأهل الإيمان.

٤٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لمّا أشعر قوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٢). بأنّ لهم عذابين عذاباً أخروياً وهو نار جهنم، تعيَّن أنّ العذاب الثاني عذاب دنيوي وهو عذاب القتل، فلمّا أعقب ذلك بشنائع المنافقين وبضرب المثل لهم بالأمم البائدة، أمر نبيه بجهاد المنافقين وهذا هو الجهاد الذي أنذروا به في سورة الأحزاب ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾(٣) فبعد أن أنذرهم الله بذلك فلم يرتدعوا ومضى عليهم من المدّة ما كُشفت فيه دخيلتُهم بما تكرّر منهم من بوادر الكفر والكيد للمسلمين، أنجز الله ما أنذرهم به بأن أمر رسوله بجهادهم. والجهاد القتال لنصر الدين، وتقدّم في قوله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾(٤).

وقُرن المنافقون هنا بالكفار: تنبيهًا على أنّ سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقّق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفار، ولأنّ الله لمّا قرنهم في الوعيد بعذاب الآخرة إذ قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وأومأ قوله هنالك بأنّ لهم عذاباً آخرَ، لا جرم جَمعَهم عند شرع هذا العذاب الآخرِ لهم))(٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((لما وصف المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بأنواع العقاب، وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم جارية بذكر الوعد مع الوعيد، لا جرم ذكر عقيبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة الطاهرة الطيبة، ووعدهم بالثواب الرفيع والدرجات العالية، ثم عاد مرة أخرى إلى شرح أحوال الكفار والمنافقين في هذه الآية))(٦).

---

(١) الآية (٧٣) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٦٨) من سورة التوبة.

(٣) من الآيتين (٦٠ـ ٦١) من سورة الأحزاب.

(٤) جزء من الآية (٥٤) من سورة المائدة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٥).

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٠٧).

٢ــ قال أبو حيان : ((لم ذكر وعيد غير المؤمنين ، وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾.ولما ذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين أشد شكيمة وأقوى أسباباً في القتال، وإنكاء بتصديهم للقتال قال جاهد الكفار والمنافقين فبدأ بهم)) (١).

٣ــ قال البقاعي : ((ولما ثبتت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للمنافقين والكافرين، وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافياً في الإنابة، وكان من لم يرجع بذلك عظيم الطغيان غريقاً في الكفران، أتبع ذلك الأمر بجهادهم بما يليق بعنادهم... ولما كان الجهاد أعرف في المصارحين، وكانوا أولى به لشدة شكائمهم وقوة نفوسهم وعزائمهم بدأ بهم فقال؛ ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ ﴾ أي المجاهرين ﴿ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي المسائرين كلاً بما يليق به من السيف واللسان)) (٢).

من خلال المنقول السابق، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

حيث ذكر الطاهر أنه لما أخبر سبحانه بوعيده للمنافقين والمنافقات، وبأن لهم عذابين، عذاب الآخرة وهو جهنم، ثم ضرب لهم الأمثال بالأمم البائدة، بيّن هنا عذابهم الدنيوي وهو قتالهم، فجاء الأمر للنبي بجهادهم. وقرن المنافقين بالكفار لبيان أن سبب جهاد الكفار قد تحقق في هؤلاء المنافقين.

وعند الرازي أنها عود إلى شرح أحوال المنافقين والكفار بعد ذكره للمنافقين ووصفهم، والمؤمنين ووصفهم، وعاقبة كلا الفريقين.

أما أبو حيان فذكر أنه لما أخبر عن وعيد المنافقين والكفار، وبدأ في الوعيد بالمنافقين لأن السورة جاءت في فضح أخبارهم، بدأ بالأمر هنا بجهاد الكفار غير المنافقين لأن أسباب قتالهم أقوى من المنافقين.

وذكر البقاعي أنه لما تم إثبات ولاية المؤمنين وقطع ما عداهم، وبالغ في الترغيب والترهيب ليتوب غير المؤمنين، أردف بالأمر بجهاد من طغى ولم يرتدع بعد كل هذا . وفي البدء بجهاد الكفار هنا ذهب البقاعي لمثل ما ذهب إليه أبو حيان.

ومن خلال ما سبق بيانه، يبدو أن ما ذكره الطاهر أرشق وأنسب من كل ما ذُكر . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٧٢ــ ٧٣).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٦٠).

بيان شدة الوعيد على المنافقين، لشأفتهم من بين المسلمين، وتحقق الكفر فيهم، لذا كان عذابهم عذابين، جهادهم في الدنيا، وجهنم وبئس المصير في الآخرة.

٤١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا كان معظم ما أخِذ على المنافقين هو كلمات دالّةً على الطعن في الرسول ﷺ ونحو ذلك من دلائل الكفر وكانوا إذا نُقِل ذلك عنهم تنصّلوا منه بالأيمان الكاذبة ، عُقّبت آية الأمر بجهادهم بالتنبيه على أنّ ما يتنصّلون به تنصلٌ كاذب وأن لا ثِقة بحَلفهم، وعلى إثبات أنّهم قالوا ما هو صريح في كفرهم . فجملة ﴿ يَحۡلِفُونَ ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً يثيره الأمر بجهادهم مع مشاهدة ظاهر أحوالهم من التنصّل ممّا نقل عنهم ، إن اعتبر المقصود من الجملة تكذيبهم فِي حلفهم.

وقد تكون الجملة في محلّ التعليل للأمر بالجهاد إن اعتبِر المقصود منها قوله: ﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ وما بعده، وأن ذلك إنّما أخّر للاهتمام بتكذيب أيمانهم ابتداء، وأتى بالمقصود في صورة جملة حاليَّة . ومعلوم أنّ القيد هو المقصود من الكلام المقيَّد . ويرجّح هذا أنّ معظم ما في الجملة هو شواهد كفرهم ونقضِهم عهد الإسلام، إذ لو كان المقصود خصوص تكذيبهم فيما حلفوا لاقتُصر على إثبات مقابله وهو ﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ ، ولم يكن لما بعده مزيد اتّصال به . وأيّاً ما كان فالجملة مستحقّة الفصل دون العطف)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال البقاعي: ((ولما أتى بالدليل العام على إجرامهم، أتبعه الدليل الخاص عليه وهو أيضًا دليل على دليل)) (٣).

٢_ قال الألوسي: ((استئناف لبيان ما صدر منهم من الجرائم الموجبة لما مرّ)) (٤).

---

(١) الآية (٧٤) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٦٠).

(٤) روح المعاني (٦/ ١٩٢).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما أمر بجهاد هؤلاء المنافقين ، عقّب استئنافًا بالتنبيه على إطلاقهم الأيمان الكاذبة تنصلاً، وساق الدليل وراء الدليل على أن ما قالوه صريح في كفرهم ، وموجب لجهادهم. وبمثل هذا المعنى قال الألوسي.

ثم ذكر الطاهر مناسبة أخرى وهي : أنه لما أمر أمر بجهاهم، علل هنا سبب هذا الأمر . وهي من تفردات الطاهر.

وذكر البقاعي أنه لما جاء بالدليل العام على إجرامهم، جاء هنا بالدليل الخاص.

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ : ((التفريع على قوله: ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ (١) على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والعكس فلمّا أمر بجهادهم والغِلظة عليهم وتوعّدهم بالمصير إلى النار ، فرّع على ذلك الإخبارَ بأنّ التوبة مفتوحة لهم وأنَّ تدارك أمرهم في مكنتهم ، لأنّ المقصود من الأمر بجهادهم قطع شأفة مضرّتهم أو أن يصلح حالهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي : ((ولما نبّعلى أن هذه المساوئ قابلوا بها المحسن إليهم، رغّبهم بأنه قابل المتاب عليهم، ورهّبهم بأنه لا مردّ لما يريد من العذاب)) (٣).

من خلال النقل السابق، تكون المناسبة عند الطاهر، أنه لما أمر بالجهاد والغلظة على الكفار والمنافقين، أعقبه بفتح باب التوبة لهم لأن المقصود من الجهاد ردعهم وإصلاح حالهم.

وعند البقاعي أنه لما ذكر حلفهم الكذب ومساوئ أعمالهم الأخرى، رغّبهم في التوبة، ورهّبهم من العذاب.

ومن خلال ما سبق بيانه، تكون مناسبة الطاهر أجمل وأنسب للأمر السابق بالجهاد. والله تعالى أعلم.

---

(١) جزء من الآية (٧٣) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧١).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٦١_ ٣٦٢).

أثر المناسبات:

من خلال الآيات تظهر الأدلة متتابعة على أن الأمر بجهاد هؤلاء المنافقين وتوعّدهم كان لأفعالهم القبيحة، وصفاقم الدنيئة، ومنها ما جاء هنا من حلفهم الكاذب للتنصل والتبرير.

ومع هذا كله فإن الآيات ما زالت تفتح باب التوبة لهم كعادة القرآن الكريم في تعقيب الوعيد بالوعد والترغيب بالترهيب؛ لأن المقصود هو إيمانهم وانتهاؤهم عما هم عليه.

٤٢_ المناسبة في قوله تعالى:﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي. وهذه الآية تشير إلى ما حصل للمنافقين عند الاستنفار لغزوة تبوك فيكون المراد بالمخلّفين خصوص من تخلّف عن غزوة تبوك من المنافقين . ومناسبة وقوعها في هذا الموضع أنّ فرحهم بتخلّفهم قد قَوِي لمّا استغفر لهم النبي ﷺ وظنّوا أنّهم استغفلوه فقضَوا مأربهم ثم حصَّلوا الاستغفار ظنّاً منهم بأنّ معاملة الله إياهم تجري على ظواهر الأمور)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق، والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين، ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه، وتخلفوا عن الجهاد، واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة حتى أذن لهم، فكشف الله للرسول ﷺ عن أحوالهم، وأعلمه بسوء فعالهم)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم، وأتى بالظاهر موضع المضمر إشارة إلى اتصافهم به وتعليقاً للحكم بالوصف، علل رسوخهم في الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم كالجسد الواحد بقوله: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ ﴾)) (٤).

من خلال النقل السابق، فيذكر الطاهر أنه لما استغفر الرسول ﷺ لمن تخلّف عن غزوة تبوك من المنافقين، عقّب هنا ببيان أنهم فرحوا أشد الفرح وظنوا أنهم نفذوا بمأربهم وباطنهم الخبيث، ففضحهم وبيّن أمرهم.

وعند أبي حيان، أنه لما ذكر حال مَن خرج لغزوة تبوك واستهزاءهم، ذكر هنا حال مَن لم يخرج لغزوة تبوك من المنافقين، واعتذارهم الكاذب ليأذن لهم الرسول ﷺ في التخلف، وفَضَح أمرهم، وأخبر عن سوء فعلهم.

---

(١) الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٠).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٨٠).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٦٨).

وذكر البقاعي أنه لما حرمهم من استغفار الرسول ﷺ لفسقهم، جاء بعده بتعليل هذا الفسق ورسوخهم فيه حيث فرحوا بتخلّفهم. وهذا ربط للآية بذيل الآية السابقة.

ومن خلال ما سبق بيانه، يمكن القول بتوافق معنى ما ذكره الطاهر مع معنى قول أبي حيان، فتكون المناسبة هي أنه لما استأذن المنافقون في التخلف عن غزوة تبوك، واطمأنّوا لاستغفار الرسول ﷺ لهم، بيّن هنا سوء حالهم، وفضح فرحهم الشديد بالتخلّف. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

أوضحت الآيات اغترار المرافق بحاله، وقصر نظره على واقعه، لذا اشتد فرحه بركونه وتخلّفه عن ركب الصالحين، ومواكب السائرين، وحصر دنياه في الظل والدعة، والخمول والراحة، ونسي الآخرة وحرّ السعير.

٤٣_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((تفريع كلام على الكلام السابق مِن ذِكر فَرحهم، ومِن إفادة قوله : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ ﴾ (٢) من التعريض بأنّهم أهلها وصائرون إليها)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان غاية السرور الضحك، وكان اللازم لهم في الآخرة البكاء في دار الشقاء الذي هو غاية الحزن لهم، فيها زفير وشهيق وهم يصطرخون فيها، قال تعالى مهددًا لهم مسببًا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرًا في صورة الأمر إيذاناً بأنه أمر لا بد من وقوعه : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا ﴾ أي فليتمتعوا في هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع الذي غاية السرور به الضحك – يسيرًا، فإنها دار قلعة وزوال وانزعاج وارتحال ﴿ وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ أي في نار جهنم التي أغفلوا ذكر حرورها وأهملوا الاتقاء من شديد سعيرها بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ أي من الفرح بالمعاصي والسرور بالشهوات والانهماك في اللذات)) (٤).

من خلال النقل السابق، اتحد معنى ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي على اختلاف ألفاظهما.

فذكر الطاهر أنه فرّع بهذه الآية للتعريض بأنهم أهل النار ومصيرهم إليها، بعد أن ذكر فرحهم بالقعود وركونهم لظل الدنيا ونسيانهم حرّ جهنم.

وعند البقاعي أنه لما كان غاية الفرح والسرور الضحك، عقّب مهددًا بأن اضحكوا في الدنيا بتخلفكم، فإنها زائلة راحلة، فستبكون كثيرًا في نار جهنم التي أغفلتموها ونسيتم حرّها.

ومن خلال السابق، تكون المناسبة أنه لما ذكر فرحهم بالتخلف، وبيّن أن نار جهنم أشد حرًا، فرّع بهذه الآية تهديدًا بأنهم أهل جهنم فليفرحوا في الدنيا قليلاً. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) الآية (٨٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٦٨_ ٣٦٩).

بيان أن العبرة بالضحك والسرور في النهاية، فالمنافقون ضحكوا في دنياهم، وتمتعوا بظلها، وركنوا إلى الراحة والدعة، ولكنهم في الآخرة سيبكون في ج هنم وبئس المصير على تضييعهم واغترارهم وتخلفهم في جميع الأمور.

٤٤ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الفاء للتفريع على ما آذن به قوله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ ﴾(٢) إذ فرّع على الغضب عليهم وتهديدهم عقاب آخر لهم ، بإبعادهم عن مشاركة المسلمين في غزواتهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما بيّن مخازي المنافقين وسوء طريقتهم ، بيّن بعد ما عرف به الرسول أن الصلاح في أن لا يستصحبهم في غزواته لأن خروجهم معه يوجب أنواعً من الفساد))(٤).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان المسرور بشيء الكاره لضده الناهي عنه لا يفعل الضد إلا تكلفاً ولا قلب له، إليه وكان هذا الدين مبنيًا على العزة والغنى، أتبع ذلك بقوله مسبباً عن فرحهم بالتخلف : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ أي الملك الذي له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفرك هذا ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي وهم الذين يمد الله في أعمارهم إلى أن ترجع إليهم، وهذا يدل على أنه أهلك سبحانه في غيبته بعضهم، فأردت الخروج إلى سفر آخر ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ ﴾ أي طلبوا أن تأذن لهم ﴿لِلْخُرُوجِ ﴾ أي معك في سفرك ذلك ﴿ فَقُل ﴾ عقوبة لهم وغنى عنهم وعزة عليهم ناهيًا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علمًا من أعلام النبوة وبرهاناً من براهين الرسالة ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ أي في سفر من الأسفار لأن الله قد أغناني عنكم وأحوجكم إليّ ﴿ وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ ﴾ لأنكم جعلتم أنفسكم في عداد ربات الحجال ولا تصلحون لقتال)) (٥).

من خلال ما سبق نقله، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

---

(١) الآية (٨٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٢).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٠).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٦٩).

فذكر الطاهر أنه لما هددهم بعذاب جهنم وحرورها، فرّع هنا بعقاب آخر هو منعهم من الخروج للغزو مع المسلمين.

وذكر الرازي أنه بعدما بيّن سوء أحوال المنافقين، بيّن أن خروجهم مع الرسول ﷺ للغزو لا فائدة فيه إلا الإفساد وعدم الصلاح.

وعند البقاعي أنه لما كان الإسلام مبينًا على العزة، وكان القعود محبوبًا إلى المنافقين، والخروج مكروهًا عندهم، فعاقبهم هنا بالاستغناء عنهم ومنعهم من المشاركة في الغزو.

ومن خلال ما سبق بيانه، يمكن القول بأن جميع ما ذكروه متلائم فلما بيّن حال هؤلاء المنافقين من التخلف وغيره، وهددهم بالنار المحرقة، جاء هنا بمنعهم من الخروج للجهاد والاستغناء عنهم حيث لا نفع من خروجهم إلا الضرر والإفساد، والإسلام غني عنهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان للأسلوب الأمثل والحاسم في التعامل مع هؤلاء المتخلفين من المنافقين، وهو منعهم من الخروج للقتال مع المسلمين مستقبلاً، فعلى المسلمين إقصاؤهم وإبعادهم عن كل محفل إسلامي لأن تواجدهم ليس فيه إلا الفساد والإفساد.

وبيان أن مَن أعرض عوقب بالإعراض والصدّ، ومَن أقبل جوزي بالإقبال والثواب.

٤٥_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا انقضى الكلام على الاستغفار للمنافقين الناشئ، عن الاعتذار والحلف الكاذبيْن وكان الإعلام بأن الله لا يغفر لهم مشوبًا بصورة التخيير في الاستغفار لهم، وكان ذلك يبقي شيئًا من طمعهم في الانتفاع بالاستغفار لأنهم يحسبون المعاملة الربانية تجري على ظواهر الأعمال والألفاظِ كما قدمناه في قوله : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ (٢)، هيّأ الحال للتصريح بالنهي عن الاستغفار لهم والصلاةِ على موتاهم، فإنّ الصلاة على الميت استغفار)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى أمر رسوله بأن يسعى في تخذيلهم وإهانتهم وإذلالهم، فالذي سبق ذكره في الآية الأولى وهو منعهم من الخروج معه إلى الغزوات سبب قوي من أسباب إذلالهم وإهانتهم، وهذا الذي ذكره في هذه الآية وهو منع الرسول من أن يصلي على من مات منهم، سبب آخر قوي في إذلالهم وتخذيلهم)) (٤).

٢_ قال أبو حيان: ((النهي عن الصلاة على المنافقين إذا ماتوا عقوبة ثانية وخزي متأبد عليهم)) (٥).

٣_ قال البقاعي: ((ولما أتم سبحانه الكلام في الاستغفار وتعليله إلى أن ختم بإهانة المتخلفين، وكان القتل المسبب عن الجهاد سببًا لترك الصلاة على الشهيد تشريفًا له، جعل الموت الواقع في القعود المرضي به عن الجهاد سببًا لترك الصلاة إهانة لذلك القاعد، فقال عاطفًا على ما أفهمت جملة : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ ﴾ (٦) الآية، من نحو: فلا تستغفر لهم أصلاً : ﴿ وَلَا تُصَلِّ ﴾ أي الصلاة التي شرعت لتشريف المصلى عليه والشفاعة فيه)) (٧).

من خلال النقل السابق، اختلفت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

---

(١) الآية (٨٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٤).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٢١).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٨٣).

(٦) جزء من الآية (٨٠) من سورة التوبة.

(٧) نظم الدرر (٣/ ٣٧٠).

ذكر الطاهر أنه لما جعل الاستغفار سابقًا بصورة التخيير، أتبعه بأن أيّسهم من كل طمع في استغفار الرسول ﷺ لهم، فجاء الأمر الصريح بالنهي عن الصلاة على موتاهم لأن الصلاة استغفار.

وذكر الرازي أنه لما أهانهم وخذّلهم بأن منعهم من الخروج للغزو، عقّب هنا بسبب آخر لتخذيلهم وإهانتهم بمنع الرسول ﷺ من الصلاة عليهم. وبمثله قال أبو حيان.

وعند البقاعي أنه لما أتم الحديث عن الاستغفار، ثم أهان المتخلفين لقعودهم، وكان الشهيد لا يُصلى عليه تشريفًا، عطف بهذه الآية للنهي عن الاستغفار والصلاة عليهم، فجعل القاعد عن الجهاد إذا مات لا يُصلى عليه خذلانًا وإهانة، لأن الصلاة تشريف.

ويمكن القول بأن ما ذهب إليه البقاعي فيه قليل تكلف، وما بقي من المعاني المذكورة يمكن قبوله مناسبة للآية، وإن كان ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان أنسب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، أسقطت الآيات كل اعتبار للمنافقين، أحياء وأمواتًا، فقد نالوا المهانة والذلة في حياتهم وبعد موتهم. ففي حياتهم فضح أمرهم، وأهانهم وشدّد عليهم لما فيهم من الخبث والمكر والفساد، ومنع الرسول ﷺ من الاستغفار لهم، وأمره بجهادهم، وبعد موتهم نُهي الرسول ﷺ عن الصلاة عليهم لأن الصلاة استغفار ودعاء وتكريم، فجمعوا خزي الحياة وخزي الممات.

٤٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((ومناسبة ذكر هذا الكلام هنا أنّه لما ذُكر ما يدلّ على شقاوتهم في الحياة الآخرة كان ذلك قد يثير في نفوس الناس أنّ المنافقين حصلوا سعادة الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد وخسروا الآخرة . وربما كان في ذلك حيرة لبعض المسلمين أن يقولوا : كيف مَنَّ الله عليهم بالأموال و الأولادِ وهم أعداؤه وبُغضاء نبيه . وربما كان في ذلك أيضًا مسلاة لهم بين المسلمين ، فأعلم الله المسلمين أنّ تلك الأموال والأولاد وإن كانت في صورة النعمة فهي لهم نقمة وعذاب ، وأنّ الله عذّبهم بها في الدنيا بأن سلبهم طمأنينة البال عليها لأنّهم لما اكتسبوا عداوة الرسول والمسلمين كانوا يحذرون أن يُغريَ اللَّهُ رسوله بهم فيستأصلهم، كما قال :﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾(٢)، ثم جعل ذلك مستمرًا إلى موتهم على الكفر الذي يصيرون به إلى العذاب الأبدي))(٣).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما جاء الكلام على مصير المنافقين الآخروي، ربما ظن البعض أن المنافقين نالوا سعادة الدنيا بأموالهم وأولادهم، وربما تعجبوا من إنعام الله عليهم بها رغم سوئهم، لذا جاء بهذه الآية لتسلية قلوب المسلمين، وليُعلِم المسلمين أن تلك الأموال والأولاد ما هي إلا نقمة وعذابًا، سلب بهما طمأنينة بال المنافقين خشية أن يُغِير عليهم الرسول والمؤمنون.

وهذه قد تكون من تفردات الطاهر _ على حدّ إطلاعي _ والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تُظهر الآيات موقفًا حاسمًا من المنافقين وأحوالهم، فابتداء منعهم من الخروج للجهاد، ثم نهى عن الصلاة على موتاهم، ثم عاد هنا ونهى عن الاغترار بأموالهم وأولادهم فهي عذاب لهم على فسقهم وكفرهم.

---

(١) الآية (٨٥) من سورة التوبة.

(٢) الآيتان (٦٠_ ٦١) من سورة الأحزاب.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٦).

٤٧_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذا عطف غرض على غرض قصد به الانتقال إلى تقسيم فرق المتخلّفين عن الجهاد من المنافقين وغيرهم وأنواع معاذيرهم ومراتِبها في القبول. دعا إليه الإغلاظ في تقريع المتخلّفين عن الجهاد نفاقاً وتخذيلاً للمسلمين، ابتداء من قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (٢) ثم قوله: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا ﴾ (٣) وكلّ ذلك مقصود به المنافقون . ولأجل كون هذه الآية غرضاً جديدًا ابتدأت بذكر نزول سورة داعية إلى الإيمان والجهاد)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى بيّن في الآيات المتقدمة أن المنافقين احتالوا في رخصة التخلف عن رسول الله ﷺ والقعود عن الغزو ، وفي هذه الآية زاد دقيقة أخرى ، وهي أنه متى نزلت آية مشتملة على الأمر بالإيمان وعلى الأمر بالجهاد مع الرسول ، استأذن أولو الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو ، وقالوا لرسول الله ذرنا نكن مع القاعدين أي مع الضعفاء من الناس والساكنين في البلد)) (٥).

٢_ قال البقاعي: ((ولما افتتحت قصتهم بأن المتقين لا يتوقفون في الانتداب إلى الجهاد على أمر جديد ولا استئذان، بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه والندب إليه فيبادرون إليه الطرف ولا يحاذرون الحتف، وأن من المنافقين من يستأذن في الجهاد جاعلاً استئذانه فيه باباً للاستئذان في التخلف عنه، ومنهم من يصرح بالاستئذان في القعود ابتداء من غير تستر، وعقب ذلك بالنهي عن الإعجاب بأموالهم وأولادهم ثم مر في ذكر أقسامهم وما لزمهم من فضائحهم وآثامهم، إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هي لفتنتهم لا لرحمتهم، ولمحنتهم لا لمنحتهم، أتبع ذلك بدليله من أنهم لا يتوصلون بها إلى جهاد، ولا يتوسلون إلى دار المعاد، فقال عاطفاً على ما أفهمه السياق من نحو أن يقال لأنهم لا يفعلون بها خيراً ولا

---

(١) الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٤٢) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٧_ ٢٨٨).

(٥) التفسير الكبير (١٠/ ١٢٤).

يكسبون أجرًا، أو بائيًا حالاً من الكاف في (تعجبك): ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ أي وقع إنزال قطعة من القرآن))[1].

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية انتقال إلى غرض جديد وهو تقسيم فرق المتخلفين عن الجهاد من المنافقين وبيان معاذيرهم ومراتب قبولها. وهذه المناسبة من تفرداته.

وعند الرازي أنه لما ذكر تخلّف المنافقين عن الغزو وتنصّلهم منه احتيالاً، زاد هنا ببيان حال المنافقين أصحاب الثروات والقدرة على القتال عند نزول آية تأمرهم بالإيمان والجهاد، وهو استئذانهم للقعود.

أما البقاعي فذكر أنه لما امتدح المتقين بالجهاد دون تعذّر أو تقاعس، وأن المنافقين من هم من استأذن صريحًا ومنهم من تستّر للقعود عن الخروج، ولما نهى عن الإعجاب بما في أيدي المنافقين، وأن أموالهم وأولادهم فتنة وامتحان لتعذيبهم، أردف ببيان الدليل على أنهم لا يستعملونها للجهاد ولا للخيرات، فإذا جاء الأمر استأذن أصحاب المال والقدرة أن يتخلّفوا.

ومن خلال السابق بيانه، يظهر تلاؤم جميع المناسبات المذكورة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان انقسام المنافقين في تخلفهم عن الجهاد، وبيان أعذارهم، وأيضًا بيان انعدام الخير تمامًا من التابعين والمتبوعين من المنافقين، فأصحاب الأموال والقدرة على الجهاد بالنفس منهم أحبّوا المهانة والذلة فاستأذنوا للتخلف والقعود.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٧٢).

٤٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف قصد منه التعجيب من دناءة نفوسهم وقلّة رجلتهم بأنّهم رضوا لأنفسهم بأن يكونوا تبعاً للنساء))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((لما استأنف به أو بيّن من قوله : ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ﴾ أي كوناً كأنه جبلة لهم ﴿مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ أي النساء ﴿وَطُبِعَ﴾ أي وقع الطبع المانع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي حتى رضوا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا ونار في العقبى))(٣).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما ذكر استئذانهم للقعود، استأنف هنا بذمهم والتعجب من دناءتهم حيث رضوا بالقعود مع النساء الخوالف.

وقد ذكر البقاعي كذلك أنها استئناف، ولكنه لم يُبين القصد منه، لذا هذه إضافة من الطاهر . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان قبول المنافقين للدون والأدنى في أمور الآخرة، ورضاهم بالخسّة والدناءة على أنفسهم لأنه طبع وجبلة متأصلة في كل لئيم مخادع.

---

(١) الآية (٨٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٩).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٧٢_ ٣٧٣).

٤٩_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((افتتاح الكلام بحرف الاستدراك يؤذن بأنّ مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله أصلاً وتفريعًا. فلمّا كان قعود المنافقين عن الجهاد مسببًا على كفرهم بالرسول ﷺ كان المؤمنون على الضدّ من ذلك . وابتدئ وصف أحوالهم بوصف حال الرسول لأنّ تعلّقهم به واتّباعهم إياه هو أصل كمالهم وخيرهم ... وقوله: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ ﴾ مقابل قوله : ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾(٢). وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ مقابل قوله : ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(٣)))(٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما شرح حال المنافقين في الفرار عن الجهاد بيّن أن حال الرسول والذين آمنوا معه بالضد منه ، حيث بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله والتقرب إليه . وقوله ﴿ لَٰكِنِ ﴾ فيه فائدة، وهي أن التقدير أنه إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو ، فقد توجه من هو خير منهم ، وأخلص نية واعتقادًا))(٥).

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر أنّ أولئك المنافقين اختاروا الدعة وكرهوا الجهاد وفروا من القتال، وذكر ما أثر ذلك فيهم من الطبع على قلوبهم ذكر حال الرسول والمؤمنين في المثابرة على الجهاد ، وذلك ما لهم من الثواب، ولكن وضعها أنْ تقع بين متنافيين، ولما تضمن قول المنافقين ذرنا واستئذانهم في القعود كان ذلك تصريحً بانتفاء الجهاد فكأنه قيل : رضوا بكذا و لم يجاهدوا ، ولكنّ الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا ، والمعنى إنْ تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجه إلى الجهاد من هو خير منهم وأخلص نية))(٦).

---

(١) الآية (٨٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآيتي (٨٧) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٠).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٥).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٨٦).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما افتتح القصة بمدح المتقين لمسابقتهم إلى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك وذكر ما أعد لهم فقال معلمًا بالغنى عنهم بمن هو الخير المحض تبكيتًا لهم وتقريعًا...))(١).

من خلال ما سبق نقله، تكون المناسبة أنه لما ذكر سوء حال المنافقين وكفرهم، وقعودهم عن الجهاد، وإمساكهم الأموال، ذكر بعده الفريق المقابل وهم المؤمنين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، فلا ضرر من تخلف هؤلاء. وهو معنى كلام الطاهر الذي وافق فيه الرازي وأبا حيان.

أما البقاعي فقد ربط الآية بالمتقين، وبأنه تعالى امتدحهم أولاً لمسابقتهم إلى الجهاد دون استئذان، ثم ختم القصة بالمتقين وما أُعدّ لهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان الأسلوب القرآني في ذكر الفريقين، وحالهما، وعاقبة كل منهما، فدومًا هناك طريقان، طريق للخير، وطريق للشر، فريق للحق، وفريق للباطل، وبضدها تتبيّن الأشياء.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٧٣).

٥٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني لجواب سؤال مقدّر ينشأ عن تهويل القعود عن الغزو وما توجّه إلى المخلّفين من الوعيد. استيفاءً لأقسام المخلّفين من ملوم ومعذور من الأعراب أو من غيرهم. وإعادة حرف النفي في عطف الضعفاء والمرضى لتوكيد نفي المؤاخذة عن كلّ فريق بخصوصه)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن الوعيد في حق من يوهم العذر، مع أنه لا عذر له، ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية، وبيّن أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط)) (٣).

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه، ذكر حال من له عذر في تركه)) (٤).

٣_ قال البقاعي: ((ولما كان من القاعدين من أهل المدر والوبر من له عذر، استثناهم سبحانه وساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة)) (٥).

من خلال المنقول السابق، اتحدت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية معنى دون اللفظ.

فتكون المناسبة أنه لما هوّل من التخلف، وتوعّد مَن لا عذر له، أتبع ذلك باستيفاء أقسام المخلفين من ذوي الأعذار. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان رحمة الله تعالى بالمؤمنين الصادقين، أصحاب الأعذار الحقيقية، فهم صادقون في طلب الطاعة، ولكن منعهم من ذلك مرض أو فقر أو ضعف، أو قلة ذات اليد، فلما أظهروا صدقهم وشدة رغبتهم،

---

(١) الآية (٩١) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٤).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٧).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٨٧).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٧٤).

كافأهم ربهم تعالى بإسقاط الجهاد عنهم، لأن من صدق يصدقه الله، على عكس فئة المنافقين الذين تخلفوا بأعذار وهمية، وتنصلوا بأكاذيب عديدة، لذا شدد الله تعالى عليهم وفضحهم وأخزاهم.

٥١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما نفت الآيتان السابقتان أن يكون سبيلٌ على المؤمنين الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون والذين لم يجدوا حمولة ، حصرت هذه الآية السبيل في كونه على الذين يستأذنون في التخلف وهم أغنياء ، وهو انتقال بالتخلص إلى العودة إلى أحوال المنافقين كما دل عليه قوله بعدُ ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ (٢)))(٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ : ((مستأنفة لجواب سؤال ينشأ عن علة استئذانهم في التخلف وهم أغنياء، أي بعثهم على ذلك رضاهم بأن يكونوا مع الخوالف من النساء)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((لما قال في الآية الأولى ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ ﴾(٥)قال في هذه الآية إنما السبيل على من كان كذا وكذا . ثم الذين قالوا في الآية الأولى المراد ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ ﴾ في أمر الغزو والجهاد ، وأن نفي السبيل في تلك الآية مخصوص بهذا الحكم ، قالوا: السبيل الذي نفاه عن المحسنين، هو الذي أثبته في هؤلاء المنافقين ، وهو الذي يختص بالجهاد ، والمعنى: أن هؤلاء الأغنياء الذين يستأذنونك في التخلف سبيل الله عليهم لازم ، وتكليفه عليهم بالذهاب إلى الغزو متوجه ، ولا عذر لهم البتة في التخلف.

فإن قيل: قوله ﴿ رَضُوا۟ ﴾ ما موقعه؟

قلنا: كأنه استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء ؟ فقيل: رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف)) (٦).

---

(١) الآية (٩٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٥).

(٤) المصدر السابق (١١/ ٦).

(٥) جزء من الآية (٩١) من سورة التوبة.

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٩_ ١٣٠).

٢ــ قال أبو حيان: ((أثبت في حق المنافقين ما نفاه في حق المحسنين ، فدل لأجل المقابلة أنّ هؤلاء مسيئون وأي إساءة أعظم من النفاق والتخلف عن الجهاد والرغبة بأنفسهم عن رسول الله ... و ﴿رَضُواْ﴾ استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا في القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد ؟ فقيل: رضوا بالدناءة وانتظامهم في سلك الخوالف)) (١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما نفى السبيل عمن وصفه كرّ على ذم مَن انتفى عنه هذا الوصف فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ (٢) أي باللوم وغيره ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ أي يطلبون إذنك في التخلف عنك راغبين فيه ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ أي فلا عذر لهم في التخلف عنك وعدم مواساتك، وتضمن قوله تعالى مستأنفاً ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ﴾ أي كوناً كأنه جبلة لهم ﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ انتفاء الضعف والمرض عنهم من حيث إنه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فأفهم ذلك أنه لا علة لهم سواه، وأفهم أيضاً أن كل من كان كذلك كان مثلهم ولو أنه ضعيف أو مريض، وكرر ذكر الخوالف تكريرًا لعيبهم برضاهم بالكون في عداد النساء إذ كان ذلك من أعظم المعايب عند العرب)) (٣).

٤ــ قال الألوسي في مناسبة ﴿رَضُواْ﴾ : ((استئناف بياني كأنه قيل: لم استأذنوا أو لم استحقوا؟ فأجيب بأنهم ﴿رَضُواْ﴾ بأن يكونوا مع الخوالف)) (٤).

من خلال النقل السابق، تعرّض المفسرون لمناسبة هذه الآية لما قبلها، ومناسبة جملة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ .

فذكر الطاهر أنه لما نفت الآيات السابقة السبيل عن بعض الطوائف صاحبة الأعذار الحقيقية كالمرض والضعف وعدم المال، حصرت هذه الآية السبيل على فئة الأغنياء الذين يستأذنون في التخلف وهم المنافقين، فهذه الآية تخلص إلى العودة إلى الحديث عن أحوال المنافقين.

واختلفت ألفاظ الرازي كثيرًا لكن المعنى واحد، فذكر أنه لما نفى السبيل عن المحسنين، أثبته على المنافقين. وهو أيضًا معنى ما ذكره أبو حيان والبقاعي فلما أثبت لهؤلاء الإحسان جاء في المقابل إثبات الإساءة للمنافقين.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٩٢ــ ٩٣).

(٢) جزء من الآية (٩٣) من سورة التوبة.

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٧٥).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٢٦).

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن جميع المناسبات ذات معنى واحد، فتكون المناسبة أنه لما نفى السبيل عن طوائف المحسنين ذوي الأعذار، انتقل إلى ذكر طائفة المسيئين وهم المنافقون الذين تخلّفوا بلا عذر.

وفي مناسبة جملة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾، اتفق جميع المفسرون على أنها جملة مستأنفة لسؤال: ما علة استئذانهم وهم أغنياء؟ فجاء الجواب : كونهم رضوا بأن يكونوا في الدناءة والقعود مع الخوالف من النساء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

١ــ بيان الأسلوب القرآني في حسن الانتقال والتخلص إلى الكلام السابق دون إخلال بالمعنى(١).

٢ــ بيان المذمة التامة للمنافقين، فهم طُبعوا وجُبلوا على عدم الانتفاع بالخيرات، وكذا زادهم الله تعالى حرمانًا وعمى على طغيانهم.

---

(١) يراجع معنى التخلص في (ص ٨٣) من هذا البحث.

٥٢_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الجملة مستأنفة ابتدائية تعداد لأحوالهم . ومعناها ناشئ عن مضمون جملة ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾(٢) تنبيهًا على أنهم لا يرعوون عن الكذب ومخادعة المسلمين ، فإذا قيل لهم ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ حلفوا على أنهم صادقون ترويجًا لخداعهم: وهذا إخبار بما سيلاقِي به المنافقون المسلمين قبل وقوعه وبعد رجوع المسلمين من الغزو)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان : ((لما ذكر أنهم يصدر منهم الاعتذار ، أخبر أنهم سيؤكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف، وأنّ سبب الحلف هو طلبتهم أنْ يعرضوا عنهم فلا يلوموهم ولا يوبخوهم)) (٤).

٢_ قال الألوسي: ((تأكيدًا لمعاذيرهم الكاذبة وترويجًا لها)) (٥).

من خلال النقل السابق، لم يختلف معنى ما ذهب إليه المفسرون في مناسبة هذه الآية.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر أن المنافقين سيعتذرون للمؤمنين عند رجوعهم من الغزو، أخبر هنا أنهم لا يتوانون عن الكذب، وأنهم سيحلفون لتأكيد أعذارهم وخداعهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

استمرار الآيات في ذكر فضائح المنافقين، والإخبار عنهم بالغيب، بأن حالهم سيكون كيت وكيت عندما يرجع المؤمنون من القتال.

والإخبار بما في المستقبل من معجزات الرسول ﷺ، وهذا فيه مزيد تبكيت للمنافقين بأن الله قد أحاط بهم وأخبر نبيه عنهم، وأن جزاءهم جهنم وساءت مصيرًا.

---

(١) الآية (٩٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٨_ ٩).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٩٣).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٢٧).

٥٣_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي رجع به الكلام إلى أحوال المعذّرين من الأعراب والذين كذبوا الله ورسوله منهم، وما بين ذلك استطراد دعا إليه قرن الذين كذبوا الله ورسوله في الذكر مع الأعراب . فلما تقضّى الكلام على أولئك تخلص إلى بقية أحوال الأعراب . وللتنبيه على اتصال الغرضين وقع تقديم المسند إليه، وهو لفظ (الأعراب) للاهتمام به من هذه الجهة، ومن وراء ذلك تنبيه المسلمين لأحوال الأعراب لأنهم لبعدهم عن الاحتكاك بهم والمخالطة معهم قد تخفى عليهم أحوالهم ويظنون بجميعهم خيرًا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((إنما أعاد هذه الأحكام ، لأن المقصود منها مخاطبة منافقي الأعراب، ولهذا السبب بيّن أن كفرهم ونفاقهم أشد، وجهلهم بحدود ما أنزل الله أكمل)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولم ترتب سبحانه الاستئذان في القعود والرضى بما فيه من الدناءة على عدم الفقه تارة والعلم أخرى وختم بصنف الأعراب، بيّن أن الأعراب أولى بذلك لكونهم أعرق في هذا الوصف وأجرأ على الفسق لبعدهم عن معدن العلم وصرفهم أفكارهم في غير ذلك من أنواع المخازي لتحصيل المال الذي كلما داروا عليه طار عنهم فأبعد . فهم لا يزالون في همه قد شغلهم ذلك عن كل هم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا)) (٤).

من خلال النقل السابق، اتفقت أقوال المفسرين في معنى هذه المناسبة على اختلاف تعبيراتهم.

فالمناسبة أنه رجوع إلى الحديث عن المعذرين من الأعراب وبيان أحوالهم، فلما أخبر سبحانه عن أحوال العرب بالمدينة، عاد إلى ذكر أحوال الأعراب خارجها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) الآية (٩٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٠_ ١١).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٣١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٧٧).

التنبيه على أحوا ل البعيدين عن مركز الإسلام آنذاك وهم الأعراب، وأن فيهم كافرون ومنافقون ومؤمنون، وهذا حسن تخلص واستطراد (١).

---

(١) يراجع معنى التخلص في (ص ٨٣) من هذا البحث.

٥٤_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عُقِّب ذكر الفرق المتلبسة بالنقائص على تفاوت بينها في ذلك بذكر القدوة الصالحة والمثل الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله ليحتذِي مُتطلب الصلاح حذوَهم، ولئلا يخلوَ تقسيم القبائل الساكنة بالمدينة وحَواليها وبَواديها، عن ذكر أفضلِ الأقسام تنويهًا به. وبهذا تم استقراء الفرق وأحوالها . فالجملة عطف على جملة: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ (٢))) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما ذكر فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وصلوات الرسول، وما أعد لهم من الثواب ، بيّن أن فوق مترلتهم منازل أعلى وأعظم منها ، وهي منازل السابقين الأولين)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر القسم الصالح منهم وكانوا متفاوتين فمنهم السابق وأكثرهم التابع اللاحق، أتبعه السابقين على وجه شامل حاصر لصنفي البادي والحاضر إشارة إلى أنه - وإن أجره - أصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى أهل الكمال في مطلق الانخراط في ملكهم والفوز بد رجتهم لإحسانه في اتباعهم ترغيبًا لأهل القدرة والرحمة في اتباع أهل الرضوان والنعمة)) (٥).

٣_ قال الألوسي: ((بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان طائفة منهم)) (٦).

من خلال النقل السابق، اتحد معنى ما ذهب إليه المفسرون في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم.

---

(١) الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩٨) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ١٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٣٤).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٧٩).

(٦) روح المعاني (٦/ ٢٣٣).

فالمناسبة أنه لما ذكر الأعراب وتقسيماهم وتفاوهم، وأن منهم الصالح ومنهم المسيء، بيّن أن هناك مرتبة أعلى حتى من الصالحين منهم، ليحتذى بهم، ويقتفى أثرهم ، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وبالتالي استوفى جميع التقسيمات في الحاضرة والبادية، وأعلاها كمالاً وأجدرها اقتداء، وأدناها حالاً ومآلاً. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

الثناء والإشادة بأفضل الفرق رتبة، وأعلاها مترلة، الذين سبقوا كل فاضل وصالح بالإيمان والهجرة والنصرة، فرضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه، ففازوا بأعظم الجزاء من رب العالمين.

٥٥_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾: ((استئناف بياني للجواب عن سؤال يثيره قوله: ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾، وهو أن يسأل سائل عن أثر كون الله تعالى يعلمهم . فأعلم أنه سيعذبهم على نفاقهم ولا يفلتهم منه عدمُ علم الرسول عليه الصلاة والسلام بهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ثم استأنف جزاءهم بقوله: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم ﴾)) (٣).

من خلال النقل السابق، تكون المناسبة أنه لما ذكر علم الله تعالى بمنافقي الأعراب وتخفّيهم، فكأنه أثار سؤالاً: فماذا سيحصل لهم؟ فجاء ببيان جزائهم وتوعدهم بالعذاب مرتين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان الوعيد الشديد للمنافقين أينما كانوا، بأن الله يعلم أمرهم، وفاضح شأنهم، ومعذبهم مرتين في الدنيا، ثم مردهم إلى عذاب غليظ في الآخرة.

---

(١) الآية (١٠١) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٨١).

٥٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما كان من شرط التوبة تدارك ما يمكن تداركه مما فات وكان التخلف عن الغزو مشتملاً على أمرين هما عدم المشاركة في الجهاد، وعدم إنفاق المال في الجهاد ، جاء في هذه الآية إرشاد لطريق تداركهم ما يُمكن تَدَارُكه مما فات وهو نفع المسلمين بالمال، فالإنفاقُ العظيم على غزوة تُبوك استنفد المال المعد لنوائب المسلمين ، فإذا أخذ من المخلفين شيء من المال انجبر به بعض الثلم الذي حلّ بمال المسلمين . فهذا وجه مناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها . وقد روي أن الذين اعترفوا بذنوبهم قالوا للنبي ﷺ هذه أموالنا التي بسببها تخلفنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال لهم: لم أؤمر بأن آخذ من أموالكم. حتى نزلت هذه الآية فأخذ منهم النبي ﷺ صدقاتهم (٢))) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((هذه الآية كلام مبتدأ ، والمقصود منها إيجاب أخذ الزكاة من الأغنياء وعليه أكثر الفقهاء إذ استدلوا بهذه الآية في إيجاب الزكوات ، وقالوا في الزكاة إنها طهرة . أما القائلون بالقول الأول ، فقد احتجوا على صحة قولهم بأن الآيات لا بد وأن تكون منتظمة متناسقة ، أما لو حملناها على الزكوات الواجبة ابتداء، لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها، ولا بما بعدها، وصارت كلمة أجنبية، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى ، وأما القائلون بأن المراد منه أخذ الزكوات الواجبة ، قالوا: المناسبة حاصلة أيضًا على هذا التقدير، وذلك لأنهم لما أظهروا التوبة والندامة عن تخلفهم عن غزوة تبوك. وهم أقروا بأن السبب الموجب لذلك التخلف حبهم للأموال وشدة حرصهم على صونها عن الإنفاق ، فكأنه قيل لهم إنما يظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة والندامة لو أخرجتم الزكاة الواجبة ، ولم تضايقوا فيها، لأن الدعوى لا تتقرر إلا بالمعنى، وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان ، فإن أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والإنابة ، وإلا فهم كاذبون مزورون بهذا الطريق . لكن حمل هذه الآية على التكليف بإخراج الزكوات الواجبة مع أنه يبقى نظم هذه الآيات سليمًا أولى، ومما يدل على أن المراد الصدقات الواجبة، قوله ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ والمعنى تطهرهم عن الذنب بسبب أخذ تلك الصدقات، وهذا إنما يصح لو قلنا إنه لو لم يأخذ تلك الصدقة لحصل الذنب ، وذلك إنما يصح حصوله في الصدقات

---

(١) الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٢) انظر: جامع البيان (١١/ ١٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٧٨)، البحر المحيط (٥/ ٩٩)، روح المعاني (٦/ ٢٤١_ ٢٤٢).

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٢٢).

الواجبة. وأما القائلون بالقول الأول ، فقالوا: إنه عليه الصلاة والسلام لما عذر أولئك التائبين وأطلقهم ، قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي بسببها تخ لفنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله تعالى هذه الآيات...)) (١).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان من شأن الرضوان قبول القربان، أمره ﷺ تطهيرًا لهم وتطييبًا لقلوبهم بقوله: ﴿خُذۡ﴾ ورحمهم بالتبعيض فقال: ﴿مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ أي تطيب أنفسهم بإخراجها ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ أي هي من ذنوبهم وتجري بهم مجرى الكفارة)) (٢).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما فتح باب التوبة، وكان من شروطها تدارك ما فات، وكانوا قد تخلفوا عن الجهاد وعن الإنفاق في تجهيز الجيش لموقعة تبوك، جاء في هذه الآية ببيان طريقة تداركهم وهي الصدقة بالمال لجبر الثلم الذي حدث في مال المسلمين جراء إنفاقهم الأموال الكثيرة في التجهيز لغزوة تبوك.

وذهب الرازي إلى أن الآية في أخذ الزكوات الواجبة من هؤلاء المتخلفين، وتكون المناسبة أنه لما تيب على هؤلاء الذين أظهروا الندامة على تخلفهم عن تبوك بسبب الأموال، جعل التصديق على تلك التوبة بإيتاء الزكاة المفروضة وإخراجها، فالزكاة تنمية وطهارة فإن أدوها عن طيب نفس كانوا صادقين في توبتهم.

وعند البقاعي أنه لما فتح باب التوبة والرضوان، فتح لهم باب قبول أموالهم لتطهيرهم والتكفير عما فعلوه.

وجميع معاني المناسبات السابقة متشابهة، وقد تفاوتت أقوال المفسرين بين كون هذه الأموال صدقة وبين كونها الزكاة الواجبة، وعلى ذلك دارت المناسبة، وسواء كانت الأموال المأمور أخذها صدقة أم زكاة مفروضة، فإن كليهما تنمية وكفارة وتطهير، جاء بالأمر بأخذها منهم ليدللوا على توبتهم . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

فتح باب التوبة مجددًا للمتخلفين، كيف لا وهي سورة التوبة؟! لكن في هذه المرة جاء الإرشاد العملي والتطبيقي لهذه التوبة، مما يدل على أن التوبة يتبعها العمل والإصلاح وتدارك ما فات تصديقاً لدعوى

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٤١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٨٢).

التوبة والإياب . وفي الآية الحث على الصدقة والإنفاق لأنها تزكية وطهارة للنفس والمال، وتكفير للسيئات.

٥٧_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((إن كان الذين اعترفوا بذنوبهم وعرضوا أموالهم للصدقة قد بقي في نفوسهم اضطراب من خوف أن لا تكون توبتهم مقبولة وأن لا يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قد رضي عنهم وكان قوله: ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (٢) مشيرًا إلى ذلك، وذلك الذي يشعر به اقتران قبول التوبة وقبول الصدقات هنا ليناظر قوله : ﴿ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ (٤) كانت جملة: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ ﴾ استئنافًا بيانيًا ناشئًا عن التعليل بقوله : ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾، لأنه يثير سؤال من يسأل عن موجب اضطراب نفوسهم بعد أن تابوا ، فيكون الاستفهام تقريرًا مشوبًا بتعجيبٍ من ترددهم في قبول توبتهم . والمقصود منه التذكير بأمر معلوم لأنهم جروا على حال نسيانه، ويكون ضمير ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائدًا إلى الذين اعترفوا بذنوبهم.

وإن كان الذين اعترفوا بذنوبهم لم يخطر ببالهم شك في قبول توبتهم وكان قوله: ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ مجرد إرشاد من الله لرسوله إلى حكمة دعائه لهم بأن دعاءه يصلح نفوسهم ويقوي إيمانهم كان الكلام عليهم قد تم عند قوله : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٥)، وكانت جملة ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا على طريقة الاستطراد لترغيب أمثال أولئك في التوبة ممن تأخروا عنها ، وكان ضمير ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائدًا إلى ما هو معلوم من مقام التنزيل وهو الكلام على أحوال الأمة، وكان الاستفهام إنكاريًا. ونُزل جميعهم منزلة من لا يعلم قبول التوبة ، لأن حالهم حال من لا يعلم ذلك سواء في ذلك من يعلم قبولها ومن لا يعلم حقيقةً، وكان الكلام أيضًا مسوقًا للتحْضيض)) (٦).

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٠٢) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٥) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٦) التحرير والتنوير (١١/ ٢٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما حكى عن القوم الذين تقدم ذكرهم أنهم تابوا عن ذنوبهم وأنهم تصدقوا وهناك لم يذكر إلا قوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾(١) وما كان ذلك صريحاً في قبول التوبة ذكر في هذه الآية أنه يقبل التوبة وأنه يأخذ الصدقات، والمقصود ترغيب من لم يتب في التوبة، وترغيب كل العصاة في الطاعة))(٢).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما ساق توبتهم سبحانه في حيز ﴿عَسَى﴾، وكان الأصل فيها الترجية في المحبوب والإشفاق في المكروه، وأمر سبحانه بالأخذ من أموالهم لذلك، وكان إخراج المال شديداً على النفوس لا سيما في ذلك الزمان، كان ربما استوقف الشيطان من لم يرسخ قدمه في الإيمان عن التوبة وما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بأنها تقبل، فأتبع ذلك سبحانه بقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي المعترفون بالذنوب حتى تسمح أنفسهم بالصدقة أو غيرهم حتى يرغبوا في التوبة والصدقة...))(٣).

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أنه بعد أن ذكر أن صلاة الرسول ودعاءه سكن لهم، وكان ذلك مثار سؤال عن علة اضطراب نفوسهم وترددهم في قبول توبتهم، جاءت هذه الآية للتعجب من ترددهم، ولتذكيرهم بما هو معلوم بأن الله تعالى يقبل التوبة . وبالتالي كان استفهامًا للتقرير والتعجب . وهو معنى ما ذكره الرازي والبقاعي.

ثم ذكر الطاهر مناسبة أخرى، وهي أنه لما ذكر صلاة الرسول وأنها إرشاد من الله بأن دعاءه لهم فيه صلاحهم وتقوية إيمانهم، استطرد بعد ذلك في ترغيب من لم يعترفوا بذنوبهم لينالوا أمثال ما ناله من تابوا. فجاء بالاستفهام الإنكاري بأنه معلوم بأن الله يقبل التوبة. وهي من تفرداته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان سعة رحمة الله تعالى وقبوله لتوبة مَن تاب، وأوبة مَن عاد، فالله تعالى يفرح بتوبة عبده مهما عظم ذنبه، ويقبل منه إحسانه بعد إساءته، وأنه لما جاء لفظ الجلالة (الله) في الآية نبّه على أن كونه إلهًا له العظمة الكاملة، والقدرة البالغة، وبيده الرحمة العامة التامة، يوجب قبول التوبة.

---

(١) جزء من الآية (١٠٢) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ١٤٦).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٨٣).

٥٨_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على جملة : ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ ﴾ (٢) الذي هو في قوة إخبارهم بأن الله يقبل التوبة وقل لهم اعملوا، أي بعد قبول التوبة ، فإن التوبة إنما ترفع المؤاخذة بما مضى فوجب على المؤمن الراغب في الكمال بعد توبته أن يزيد من الأعما ل الصالحة ليجبر ما فاته من الأوقات التي كانت حقيقة بأن يعمرها بالحسنات فعمرها بالسيئات فإذا وردت عليها التوبة زالت السيئات وأصبحت تلك المدة فارغة من العمل الصالح ، فلذلك أمروا بالعمل عقب الإعلام بقبول توبتهم لأنهم لما قُبلت توبتهم كان حقاً عليهم أن يدلوا عل ى صدق توبتهم وفرط رغبتهم في الارتقاء إلى مراتب الكمال حتى يَلحقوا بالذين سبقوهم، فهذا هو المقصود ، ولذلك كان حذف مفعول ﴿ ٱعۡمَلُواْ ﴾ لأجل التعويل على القرينة ، ولأن الأمر من الله لا يكون بعمل غير صالح. والمراد بالعمل ما يشمل العمل النفساني من الاعتقاد والنية. وإطلاق العمل على ما يشمل ذلك تغليب.

وتفريع ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ زيادة في التحْضيض. وفيه تحذير من التقصير أو من ارتكاب المعاصي لأن كون عملهم بمرأى من الله مما يبعث على جعله يرضي الله تع الى. وذلك تذكير لهم باطلا ع الله تعالى بعلمه على جميع الكائنات)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن هذا الكلام جامع للترغيب والترهيب ، وذلك لأن المعبود إذا كان لا يعلم أفعال العباد لم ينتفع العبد بفعله ، ... فقوله ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ ترغيب عظيم للمطيعين ، وترهيب عظيم للمذنبين، فكأنه تعالى قال: اجتهدوا في المستقبل، فإن لعملكم في الدنيا حكمًا وفي الآخرة حكمًا. أما حكمه في الدنيا فهو أنه يراه الله ويراه الرسول ويراه المسلمون ، فإن كان طاعة حصل منه الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، وإن كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا

---

(١) الآية (١٠٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٠٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٢٥).

والعقاب الشديد في الآخرة. فثبت أن هذه اللفظة الواحدة جامعة لجميع ما يحتاج المرء إليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده)) (١).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما أمره من تطهيرهم بما يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل الذنب، عطف على قوله ﴿ خُذْ ﴾(٢) قوله تحذيرًا لهم من مثل ما وقعوا فيه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾ أي بعد طهارتكم ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ عَمَلَكُمْ ﴾ أي بما له من إحاطة العلم والقدرة فاعملوا عمل من يعلم أنه بعين الله)) (٣).

٣ــقال الألوسي: ((والجملة تعليل لما قبله أو تأكيد لما يستفاد منه من الترغيب والترهيب)) (٤).

من المنقول السابق، تشابهت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية معنى، واختلفت لفظًا.

فذكر الطاهر أنه عَقِب الإعلام بقبول التوبة، أَعْلَمهم بضرورة إِتْباع تلك التوبة بالعمل الصالح؛ لجبر ما فات، وللتدليل على صدق توبتهم، ورغبتهم في اللحاق بركب من سبقهم في الصلاح والكمال، ثم فرّع بأنه تعالى يراهم للتحذي من أي نقص أو عصيان، ولترغيبهم في التزام جادّة الطاعة.

أما عند الرازي فالآية لترهيب المذنبين، وترغيب الطائعين، بأن الله تعالى يراهم فلْيَعْمَلوا ولْيجتهدوا.

وأما البقاعي فقد ذكر أنه لما أمره بأخذ بعض أموالهم لتطهيرهم مما كانوا عليه، أردف محذّرًا ب أن يعودوا لمثله بأنه يرى أعمالهم ويحيط بها.

وقد جمع الألوسي بين قولي الرازي والبقاعي.

ويظهر مما سبق أن جميع أقوال المفسرين السابقة تمحورت حول الحثّ على العمل الصالح بعد التوبة، والتحذير من المعاصي، وكلام الطاهر أوفى وأجزل لأن التوبة النصوح يصدّقها العمل النابع من الذات لتصحيح ما فات. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن من شروط التوبة: إِتْباع السيئة الحسنة، فلا أدلّ على التوبة من عمل صالح يمحو الزلل، ويجبر الخلل.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٤٩).

(٢) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٨٣ــ ٣٨٤).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٤٤).

٥٩ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذا كلام على فريق آخر من المؤاخَذين بأعمال عملوها غضب الله عليهم من أجلها، وهم فريق من المنافقين بنوا مسجدًا حول قباء لغرض سيء لينصرف إخوانهم عن مسجد المؤمنين وينفردوا معهم بمسجد يخصهم. فالجملة مستأنفة ابتدائية على قراءة من قرأها غيرَ مفتتحة بواو العطف... ونكتة الاستئناف هنا التنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها وبين حال المراد بالجملة التي قبلها وهم المرجون لأمر الله . وقرأها البقية بواو العطف في أولها ، فتكون معطوفةً على التي قبلها لأنها مثلها في ذكر فريق آخر مثل مَن ذكر فيما قبلها . وعلى كلتا القراءتين فالكلام جملة إثر جملة وليس ما بعد الواو عطف مفرد))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكر أصناف المنافقين وطرائقهم المختلفة قال ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾))(٣).

٢ــ قال أبو حيان: ((لما ذكر طرائق ذميمة لأصناف المنافقين ، أقوالاً وأفعالاً، ذكر أنّ منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعًا للمنافقين، يدبرون فيه ما شاءوا من الشر، وسمّوه مسجدًا))(٤).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر الذين أقامهم في مقام الخطر أتبعه تعيين طائفة من القسم الأول المستور الموصوف بالمرود، فألحق بهم الضرر فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ وهو معطوف في قراءة من أثبت الواو على قوله ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾(٥) وخبره على ما يليق بالقصة : منافقون ماردون، وأما على قراءة المدنيين وابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل، وذلك أنه لما قال تعالى ﴿ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾(٦) تشوّفت

---

(١) الآية (١٠٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٥٣).

(٤) البحر المحيط (٥/ ١٠١).

(٥) جزء من الآية (١٠٦) من سورة التوبة.

(٦) جزء من الآية (١٠١) من سورة التوبة.

النفس إلى الإعلام بهم، فلما قال ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾(١) اشتغل السامع بتفهمه، وربما ظن أنه يأتي في آخر الكلام من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال، فلما انتقل بقوله ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾(٢) إلى قسم آخر، وختم الآية بصفتي العلم والحكمة ليعلم أن الترديد للتقسيم وأنه إن كان شك فهو بالنسبة إلى العباد وأما الله تعالى فمتره عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار في خلده ومال إليه قلبه من الإعلام بالماردين على النفاق، فاشتد تشوفه إليه فكان كأنه قال : منْ منَ الماردين منهم؟ فقال تعالى الذين ﴿ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ﴾ أي من الماردين وهم من أعظمهم مهارة في النفاق وإخفاء الكيد والشقاق لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن كلفوا أنفسهم الأخذ لأعظم عرى الدين مع المنازعة للفطرة الأولى والحذر من أن يفضحوا، فكان ختام هذه الآية من بديع الختام فإن احتراس عما يتوهم فيما قبله ودليل على ما بعده، ولذلك ختم قصتهم أيضاً بصفتي العلم والحكمة، ولاح من هذا أن قوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾(٣) يمكن أن يراد به : مرة برجوعك، ومرة بإخرابك مسجدهم وتفريقك لشملهم بعد هتك سرائرهم بكشف ضمائرهم)) (٤).
(٤).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أن الآية مستأنفة للابتداء على قراءة حذف واو العطف، بالتالي هي لبيان اختلاف حال المذكورين هنا في الآية عن حال مَن قبلهم وهم المرجون لأمر الله.

وإذا كانت افتتحت بواو العطف تكون معطوفة على ما قبلها في ذكر فريق آخر وهم المنافقون الذين اتخذوا مسجد الضرار. ووافق في هذا كلام الرازي وأبي حيان و البقاعي في كلامه عن قراءة العطف.

وذكر البقاعي أنها على قراءة الحذف استئناف بياني على تقدير سؤال، فلما ذكر تعالى أنه يعلمهم، وتشوّقت النفوس لمعرفة مَن هم، وذكر بعده المعترفون بذنوبهم، ثم انتقل للمرجون، وختم بصفتي العلم والحكمة، ليعلم المتشوفون أن الله يعلم بما في قلوبهم من التشوّف للمعرفة، فاشتد شوقهم لمعرفة الماردين الذين يعلمهم الله، فذكر أنهم الذين اتخذوا مسجد الضرار.

ومن خلال ما سبق بيانه، يتبيّن أن من العلماء من جعلها معطوفة على ما قبلها في ذكر فريق آخر ممن سبق، وعلى قراءة الحذف جعلها الطاهر مستأنفة للابتداء، وجعلها البقاعي مستأنفة للبيان . والله تعالى أعلم.

---

(١) جزء من الآية (١٠٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٠٦) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٠١) من سورة التوبة.

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٨٤_ ٣٨٥).

أثر المناسبة:

بيان قبائح طرق المنافقين في الإفساد والتفريق وتنوعها، حيث بنوا مقرًا لهم يدبّرون فيه المكائد والخطط المضرّة بالإسلام وأهله الحقيقيين، فظاهره الهدى والصلاح، وباطنه المكر والخداع.

٦٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((يجوز أن تكون مستأنفة لتعدَاد مساوي مسجد الضرار بذكر سوءِ عواقبه بعد أن ذكرَ سوء الباعث عليه وبعد أن ذكر سوء وقعه في الإسلام بأن نهى الله رسوله عن الصلاة فيه وأمرَه بهدمه ، لأنه لما نهاه عن الصلاة فيه فقد صار المسلمون كلهم منهيين عن الصلاة فيه، فسلب عنه حكم المساجد ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بهدمه. ويرجح هذا الوجه أنه لم يؤت بضمير المسجد أو البنيان بل جيء باسمه الظاهر.

ويجوز أن تكون خبرًا ثانياً عن ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾(٢) كأنه قيل: لا تقم فيه ولا يزال ريبةً في قلوبهم، ويكون إظهار لفظ ﴿بُنْيَٰنُهُمُ﴾ لزيادة إيضاحه. والرابط هو ضمير ﴿قُلُوبِهِمْ﴾. والمعنى أن ذلك المسجد لما بنوه لغرض فاسد فقد جعلهُ اللّهُ سببًا لبقاء النفاق في قلوبهم ما دامت قلوبهم في أجسادهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان ما تقدم غير قاطع في إخرابه لما ثبت للمساجد من الحرمة، استأنف الإخبار عن أنه لا يعد في عداد المساجد بوجه، وإنما هو في عداد بيوت الأصنام فهو واجب الإعدام ... أو يكون المراد أنه لا يزال حاملاً لهم على التصميم على النفاق إلى أن يموتوا، فهو كناية عن عدم توبتهم)) (٤).

من خلال السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية إما مستأنفة لتعداد مساوي مسجد الضرار بعد ذكره لباعث بنائه، والنهي عن الصلاة فيه، والأمر بهدمه لأنه سُلب عنه حكم المساجد . أو هي _ كما يقول الطاهر _ إخبار آخر عن الذين بنوه، فهم لما بنوه لغرض فاسد، أخبر سبحانه هنا بأن هذا سبب في إبقاء النفاق في قلوبهم.

وعند البقاعي أنه لما ذكر مساوئ مسجد الضرار، وكانت للمساجد حرمتها، أخبر هنا بأنه خرج من حكم المساجد قطعًا.

ومن خلال ما سبق بيانه، فقد اتفق الطاهر في قوليه مع قولي البقاعي. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (١١٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١٠٧) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٣٥_ ٣٦).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٨٨).

أثر المناسبة:

بيان أن كل بناء في الإسلام يجب أن يُبنى لأجل الخير والإصلاح، وعلى أساس من التقوى ولا سيما المساجد، التي هي مواطن العبادة والعلم واجتماع الأمة.

وفيه تنبيه للمسلمين على أن يحرصوا في كل عمل ومشروع أن يُبنى على أسس متينة من التقوى وصلاح النية وبما يُرضي الله تعالى في جميع الوجوه، ليبارك الله فيه ويستمر، وإلا كان مصيره الانهيار.

٦١ــ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي للتنويه بأهل غزوة تبوك وهم جيش العُسْرة، ليكون توطئة وتمهيدًا لذكر التوبة على الذين تخلفوا عن الغزوة وكانوا صادقين في أيمانهم، وإنْباءِ الذين أضمروا الكفر نفاقاً بأنهم لا يتوب الله عليهم ولا يستغفر لهم رسوله ﷺ والمناسبة ما تقدم من ذكر أحوال المنافقين الذين تسلسل الكلام عليهم ابتداءً من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (٢) الآيات، وما تولد على ذلك من ذكر مختلف أحوال المخلفين عن الجهاد واعتلالهم وما عقب ذلك من بناء مسجد الضرار.

وافتتحت الجملة بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر ، المتضمنة على أنه لما كان فاتحة التحريض على الجهاد بصيغة الاستفهام الإنكاري وتمثيلهم بحال من يُستنهض لعمل فيتثاقل إلى الأرض في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ ناسب أن يترل المؤمنون مترلة المتردد الطالب في كون جزاء الجهاد استحقاق الجنة)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما شرع في شرح فضائح المنافقين وقبائحهم لسبب تخلفهم عن غزوة تبوك فلما تمم ذلك الشرح والبيان وذكر أقسا مهم وفرع على كل قسم ما كان لائقً ا به عاد إلى بيان فضيلة الجهاد وحقيقته فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾)) (٤).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما تقدم الإنكار على المتثاقلين عن النفر في سبيل الله في قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ ﴾ ثم الجزم بالأمر بالجهاد بالنفس والمال في قوله ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾ (١) وكان أمره

---

(١) الآية (١١١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٣٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٥٨).

تعالى كافياً للمؤمن الذي صدق إيمانه بالإسلام في امتثاله لذلك في منشطه ومكرهه، وكان كثير منهم قد فعلوا بتثاقلهم ما يقدح في إيمانهم طعمًا في ستره بمعاذيرهم وإيمانهم، اقتضى المقام تبكيت المتثاقلين وتأنيب المنافقين على وجه مهتك لأستارهم مكشف لأسرارهم، فلما استوفى تعالى في ذلك أقسامهم، ونكس ألويتهم وأعلامهم، وختمهم بهذه الطائفة التي ظهر فيها امتثاله ﷺ لقوله تعالى ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ (٢) أن هدّ مسجدهم وحرقه بالنار وأزال بنيانه وفرقه، وقدّ أديمه عن جديد الأرض ومزقه، أتبع ذلك سبحانه بتذكير المؤمنين ما أمرهم به في قوله تعالى ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ (٣) وقوله ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ (٤) ليفعلوا فيه ما فعله رسول الله ﷺ فيما أمر به، فساق مساق الجواب لسؤال من كأنه قال: لقد طال المدى وعظم الخطب في هذه السورة في إبانة الفضائح وهتك السرائر وإظهار القبائح، فلم فعل ذلك وقد جرت عادته بالأمر بالستر وأخذ العفو؟)) (٥).

٣ــ قال الألوسي: ((ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان حال المتخلفين عنه)) (٦).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه بعد ذِكْر أحوال المنافقين والمخلفين عن الجهاد، وحال الذين اتخذوا مسجد الضرار، استأنف استئنافًا ابتدائيًا هنا بذِكر الجهاد للتمهيد لغزوة تبوك والتنويه بأهلها، ولذكر توبة الثلاثة الذين خُلّفوا، فكأنه عاد إلى ترغيبهم بما أمرهم به ابتداء من الجهاد والقتال بعد التفصيل في قبائح ومكائد المنافقين والمتخلفين. وهذه من تفرداته.

وذكر الرازي أنها ترغيب في الجهاد وبيان فضيلته بعد بيان حال المتخلفين عنه . وبمثل هذا المعنى قال الألوسي.

وأما البقاعي فقد جعلها استئنافًا بيانيًا، فلما ذكر المتثاقلين عن الجهاد، وبيّن أقسامهم وفَضَحهم، وأمر بجهادهم، أتبع ذلك بتذكير المؤمنين بالجهاد والنفرة، فساق مساق الجواب لسؤال من كأنه قال: لقد طال المدى وعظم الخطب في هذه السورة في إبانة الفضائح وهتك السرائر وإظهار القبائح، فلم فعل ذلك وقد جرت عادته بالأمر بالستر وأخذ العفو؟

---

(١) جزء من الآية (٤١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٧٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٢٩) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٤١) من سورة التوبة.

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٨٨ــ ٣٨٩).

(٦) روح المعاني (٦/ ٢٥٩).

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم، ومناسبة الطاهر أجمل. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ((مستأنفة استئنافاً بيانياً، لأن اشتراء الأنفس والأموال لغرابته في الظاهر يثير سؤال من يقول: كيف يبذلون أنفسهم وأموالهم؟ فكان جوابه ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الخ))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((مقطوع ومستأنف))(٢).

٢ــ قال أبو حيان: ((مستأنف ذُكر أعظم أحوالهم، ونبّه على أشرف مقامهم))(٣).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر المبيع أتبعه الثمن فقال: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي خاصة بهم مقصورة عليهم، لا يكون لغير مؤمن، فميزهم حتى يقابل كل بما يستحقه، فكأنه قيل: اشترى منهم ذلك بماذا؟ فقيل: ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾))(٤).

٤ــ قال الألوسي: ((بياناً لمكان التسليم وهو المعركة))(٥).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني مناسبات المفسرين في هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فالمناسبة أنه لما ذكر أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، استأنف هنا ببيان سؤال مثار: كيف اشترى تلك الأنفس والأموال؟ فجاء الجواب: يقاتلون في سبيل الله، وهذا أشرف أحوال المؤمنين وأعظمها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، تستمر الآيات في بيان أهمية الجهاد وفضيلته، في عرض متسلسل، وأساليب شتى، فهو ابتداء أمر به، ثم أردف بنشر قبائح المنافقين، وأحوال المتخلفين، فهتك الأستار، وشنّ حملة قوية على الأشرار، حكى فيها وعدّد، ورغّب ورهّب، ووعد وتوعّد، ليصل البلاغ الأخير للجميع،

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٣٨).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٨٧).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٠٦).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٨٩).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٦٠).

وليعلم المؤمنون أن الصفقة مع العزيز الجبار، فخسر من تخلف ونافق واعتذر، وفاز وربح من أقدم وباع واعتبر.

ومن أساليب القرآن الكريم التوطئة والتمهيد للحدث المهم في السورة، وبما أن أهم أحداث هذه السورة هو توبة الله تعالى على الثلاثة الذين خلفوا، كان ما سبق من ذكر أحوال المجتمع في مدينة رسول الله ﷺ وما حولها كالمقدمة لغزوة تبوك وما جرى فيها من أحداث ذات عبرة.

٦٢_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾: ((تذييل مناسب للجملة السابقة، ووقوع ﴿إِنَّ ﴾ في أولها يفيد معنى التفريع . والتعليل مضمون للجملة السابقة، وهو أن الله لا يضل قومً ا بعد أن هداهم حتى يبين لهم الحق)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((لما بيّن أنه لا يستغفر للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، كان في هذه الآية وفي التي بعدها تباين ما بين القرابة حتى منعوا من الاستغفار لهم ، فمنع رسول الله ﷺ من الاستغفار لعمه أبي طالب، وهو الذي تولى تربيته ونصره وحفظه إلى أن مات ، ومنع إبراهيم من الاستغفار لأبيه وهو أصل نشأته ومربيه، وكذلك منع المسلمون من الاستغفار للمشركين أقرباء وغير أقرباء ، فكأنه قيل: لا تعجب لتباين هؤلاء، هذا خليل الله ، وهذا حبيب الله ، والأقرباء المختصون بهم المشركون أعداء الله ، فإضلال هؤلاء لم يكن إلا بعد أن أرشدهم الله إلى طريق الحق بما ركز فيهم من حجج العقول التي أغفلوها وتبيين ما يتقون بطريق الوحي ، فتظافرت عليهم الحجج العقلية والسمعية ، ومع ذلك لم يؤمنوا و لم يتبعوا ما جاءت الرسل به عن الله تعالى ، ولذلك ختمها بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيضل من يشاء ويختص بالهداية من يشاء)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان الذي يأمر بسلوك طريق ثم يترك فيها ما يحتاج إلى البيان إنما يؤتى عليه من الجهل أو النسيان. نفي ذلك سبحانه عن نفسه فقال معللاً لعدم الإضلال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي المحيط بصفات الكمال ﴿ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي بالغ العلم فلا يتطرق إليه خفاء بوجه من الوجوه في حين من الأحيان فهو يبين لكم جميع ما تأتون وتذرون وما يتوقف عليه الهدى، وما تركه فهو إنما يتركه رحمة لكم)) (٤).

٣_ قال الألوسي: ((تعليل لما سبق أي إن الله تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى البيان فيبين لهم وقيل إنه استئناف لتأكيد الوعيد المفهوم مما قبله)) (٥).

---

(١) الآية (١١٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٤٨).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٠٩_ ١١٠).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٩٥).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٧٧).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، رغم اختلاف ألفاظهم.

فيذكر الطاهر مناسبة مجيء ﴿إِنَّ﴾ في هذا التذييل، فوقوعها هنا أفاد معنى التفريع والتعليل لما سبق، فإنه تعالى لا يُضِلّ ولا يُعاقب حتى يُبيّن الحق، فهو عليم سبحانه بكل شيء وبأحوال الناس.

وهو ذات معنى ما ذهب إليه بقية المفسرين إلا أن الألوسي ذكر أنها قد تكون استئنافًا لتأكيد الوعيد بالإضلال، وهذا المعنى لا يخرج عن المعنى السابق فإنه لن يوقع عليهم الضلال إلا بعد التبيين.

فالمناسبة أنه سبحانه نفى عن نفسه الإضلال قبل البيان، فهو عليم بكل شيء لا يخفى عنه شيء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان سنة من سنن الله تعالى وهي عدم المؤاخذة والعقاب إلا بعد البيان والبلاغ وثبوت الحجة . وتدل الآية على أن المعاصي والذنوب هي سبيل للهلاك والضلال والزيغ عن طريق الرشاد، وتعريض الإنسان نفسه للعقاب.

٦٣ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((تذييل ثان في قوة التأكيد لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾(٢) ، ولذلك فُصل بدون عطف لأن ثبوت ملك السماوات والأرض لله تعالى يقتضي أن يكون عليمًا بكل شيء لأن تخلف العلم عن التعلق ببعض المتملكات يفضى إلى إضاعة شؤونها ... وزيادة جملتي : ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ ﴾ لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره. وعطف جملة: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ لتأييد المسلمين بأنهم منصورون في سائر الأحوال لأن الله وليهم فهو نصير لهم ، ولإعْلامهم بأنهم لا يخشون الكفار لأن الكافرين لا مولى لهم لأن الله غاضب عليهم فهو لا ينصرهم . وذلك مناسب لغرض الكلام المتعلق باستغفارهم للمشركين بأنه لا يفيدهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((لما أمر بالبراءة من الكفار بيّن أنه له ملك السموات والأرض، فإذا كان هو ناصرًا لكم، فهم لا يقدرون على إضراركم ، وثانيها: أن القوم من المسلمين قالوا : لما أمرتنا بالانقطاع من الكفار، فحينئذ لا يمكننا أن نختلط بآبائنا وأولادنا وإخواننا لأنه ربما كان الكثير منهم كافرين . والمراد أنكم إن صرتم محرومين عن معاونتهم ومناصرتهم ، فالإله الذي هو المالك للسموات والأرض والمحيي والمميت ناصركم، فلا يضركم أن ينقطعوا عنكم . وثالثها: أنه تعالى لما أمر بهذه التكاليف الشاقة كأنه قال وجب عليكم أن تنقادوا لحكمي وتكليفي لكوني إلهكم ولكونكم عبيدًا لي)) (٤).

٢ـ قال أبو حيان: ((ولما ذكر تعالى علمه بكل شيء، فهو يعلم ما يصلح لكل أحد وما هيئ له في سابق الأزل ذكر ما دل على القدرة الباهرة ، من أنه له ملك السموات والأرض فيتصرف في عباده بما شاء ، ثم ذكر من أعظم تصرفاته الإحياء والإماتة)) (٥).

---

(١) الآية (١١٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١١٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٤٨).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٦٩).

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٠).

٣ــ قال البقاعي: ((ثم علل علمه بكل شيء بأن قدرته شاملة فهو قادر على نصرة من يريد والانتقام ممن يريد، فلا ينبغي لأحد أن يحب إلا فيه ولا يبغض إلا فيه ولا يهتم بعداوة أحد منم عاداه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ ... ثم علل قدرته وعلمه بما يشاهد متكرراً من فعله في الحيوان والنبات وغير ذلك فقال : ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ ﴾ أي بكل معنى فهو الذي أحياكم وغيركم الحياة الجسمانية وخصّ كم أنتم بالحياة الإيمانية، وكما جعل غيركم بعضهم أولياء بعض وجمعهم كلهم على ولاية عدو هم الشيطان جعلكم أنتم أولياء ربكم الرحمن فهو وليكم وناصركم﴿ وَمَا ﴾ أي والحال أنه ما ﴿ لَكُم ﴾ ولما كان ليس لأحد أن يجوز كل ما دون رتبته سبحانه، أثبت الجار فقال. ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي الملك الذي له الأمر كله، وأغرق في النفي بقوله: ﴿ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي قريب يفعل معكم من الحياطة والنصح ما يفعل القريب من النصرة وغيره.

ولما كان الإنسان قد ينصره غير قريبه قال. ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي فلا توالوا إلا من كان من حزبه وأهل حبه وقربه، وفيه تهديد لمن أقدم على ما ينبغي أن يتقي لا سيما الملاينة لأعداء الله من المساترين والمصارحين، فإن غاية ذلك موالاتهم وهي لا تغني من الله شيئاً)) (١).

٤ــ قال الألوسي: ((تعليل لما سبق أي إن الله تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى البيان فيبين لهم وقيل إنه استئناف لتأكيد الوعيد المفهوم مما قبله وكذا قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ ... ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ وقال غير واحد: إنه سبحانه لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم رأسًا بيّن لهم أن الله سبحانه مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصر إلا منه تعالى ليتوجهوا إليه جل شأنه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين إلا إياه)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه لما أثبت لنفسه تعالى صفة العلم بكل شيء، أثبت لنفسه ملك السموات والأرض الذي يقتضي أن يكون عليمًا بكل شيء من باب التأكيد فكأنها تذييل ثانٍ للآية قبلها، وأتى بعدها بالإحياء والإماتة لتصوير معنى الملك بشكل محسوس وتام، ثم ذكر النصرة لأن الله هو الناصر فلا يخشى المسلمون الكفارَ، وليعلموا أنهم منصورون، وهذا متعلق بما جاء سابقًا من الاستغفار للمشركين.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٩٥).

(٢) روح المعاني (٦/ ٢٧٧).

وعند الرازي أنه لما أمر بالبراءة من الكفار، بيّن أنه تعالى هو الملك الناصر، أو أنه بيّن لهم وجوب الانقياد لحكمه فهو الإله القادر.

وذكر أبو حيان أنه لما أثبت صفة العلم، أثبت القدرة الباهرة في السموات والأرض وفي عباده، ومن أعظمها الإحياء والإماتة.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر علمه الشامل التام، ذكر قدرته على النصر والانتقام بذكر ملكه للسموات والأرض، ثم علل ذلك العلم، وتلك القدرة بشاهد هو الإحياء والإماتة، ثم ذكر النصرة والولاية.

وذكر الألوسي أنها تعليل لصفة العلم وتوكيد للوعيد، ثم ذكر أن الولاية والنصرة من عنده سبحانه في سياق الحديث عن البراءة وعدم الاستغفار للمشركين.

ومن خلال السابق بيانه، تشابهت المعاني المذكورة وكادت تتحد، ويظهر أن عبارة الطاهر أوفاها وأنسقها. ويمكن القول بأن المناسبة هي إثبات القدرة المطلقة لله تعالى بعد إثبات العلم، وتصوير تلك القدرة في مشهد محسوس وهو الإحياء والإماتة، ثم ذكر ولاية الله ونصرته ليتناسب مع غرض ذكر البراءة من المشركين وعدم الاستغفار لهم ولو كانوا أولي قربى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تؤكد الآيات أن النصر من الله المالك القادر، فلا قريب يُرجى نصره، ولا بعيد يُخشى غدره، فالله تعالى عليم بمن في السموات والأرض.

ويظهر أيضًا من خلال الآيات استخدام الصورة المحسوسة لقربها من النفوس، وإدراكها بالحواس، وأن في هذا الأسلوب أبلغ الأثر في إثبات الأمر وتقريره واقعًا مُعاشًا . وهذا مرتبط بما في الآية السابقة من الإتيان بالبينات والحجج الظاهرات قبل المؤاخذة . فالإسلام جاء بجميع الحجج العقلية والنقلية التي تدل على صحته، وأنه شريعة الله تعالى ومنهجه، فطاشت بذلك كل الأعذار.

٦٤_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال من التحريض على الجهاد والتحذير من التقاعس والتوبيخ على التخلف ، وما طرأ على ذلك التحريض من بيان أحوال الناس تُجاه ذلك التحريض وما عقبه من أعمال المنافقين والضعفاء والجبناء إلى بيان فضيلة الذين انتدبوا للغزو واقتحموا شدائده، فالجملة استئناف ابتدائي)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما استقصى في شرح أحوال غزوة تبوك ، وبيّن أحوال المتخلفين عنها ، وأطال القول في ذلك على الترتيب الذي لخصناه في هذا التفسير ، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها ومن بقية تلك الأحكام أنه قد صدر عن رسول الله ﷺ نوع زلة جارية مجرى ترك الأولى ، وصدر أيضاً عن المؤمنين نوع زلة، فذكر تعالى أنه تفضل عليهم وتاب عليهم في تلك الزلات)) (٣).

٢_ قال أبو حيان: ((لما تقدم الكلام في أحوال المنافقين، من تخلفهم عن غزوة تبوك، واستطرد إلى تقسيم المنافقين إلى أعراب وغيرهم، وذكر ما فعلوا من مسجد الضرار ، وذكر مبايعة المؤمنين الله في الجهاد وأثنى عليهم وأنه ينبغي أن يباينوا المشركين حتى الذين ماتوا منهم بترك الاستغفار لهم ، عاد إلى ذكر ما بقي من أحوال غزوة تبوك ، وهذه شنشنة (٤) كلام العرب، يشرعون في شيء ثم يذكرون بعده أشياء مناسبة ، ويطيلون فيها، ثم يعودون إلى ذلك الشيء الذي كانوا شرعوا فيه)) (٥).

٣_ قال البقاعي: ((ولما أشار إلى أنه هو وليهم أحياهم بروح منه مبين لهم ما يصلحهم وأنه لا ولي لهم غيره، أقام الدليل على ذلك بقوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ﴾)) (٦).

---

(١) الآية (١١٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٤٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٠).

(٤) الشنشنة: الطبيعة والخليقة والسجية. انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٤٣).

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٠).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٣٩٦).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها استئناف انتقل به من الحديث عن الجهاد والتحريض عليه، وعن المتخلفين وأحوالهم، والمنافقين وأعمالهم، إلى بيان حال الفضلاء الذين انتدبوا للمعركة، وقاموا بالجهاد.

وما ذكره الطاهر هو عين معنى ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان، حيث ذكرا أنه لما ف صّل أحوال المنافقين والمتخلفين عن غزوة تبوك، عاد إلى إكمال أحكام غزوة تبوك وأحداثها.

أما البقاعي فذكر أنه لما أخبر بأنه ولي المؤمنين، دلل على ذلك بأن أعلمهم بتوبته عليهم مما جنوه.

وتكون المناسبة الأنسب هي ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان ووافقهم فيه ال طاهر، لأن الحديث في هذه الآية وما بعدها مختص بغزوة تبوك وأحداثها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أسلوب من أساليب العرب وهو الشروع في حديث ما، ثم التفصيل في أمور متعلقة بذلك الحديث تتناسب معه، ثم العودة لذلك الحديث المبدوء به . وقد جاء القرآن الكريم بلغة العرب وأساليبهم ولكنه تحداهم بها وفَاقَهم بإعجازه.

٦٥ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((فهذه الآية بمترلة التذييل للقصة فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم و جهادهم فرضي الله عنهم، وذِكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير وحلفوا كذباً فغضب الله عليهم ، وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم، فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وبأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين ، فجاء هذا الأمر اعتراضاً في أثناء الكلام إذ عن في القصة ما يجب التنبيه على امتثاله)) (٣).

٢ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما حكم بقبول توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل ما مضى، وهو التخلف عن رسول الله ﷺ في الجهاد فقال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في مخالفة أمر الرسول ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ يعني مع الرسول وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت)) (٤).

٣ـ قال أبو حيان : ((هو خطاب للمؤمنين ، أمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأزاحهم عن ربقة النفاق ، واعترضت هذه الجملة تنبيهاً على رتبة الصدق، وكفى بها أنها ثانية لرتبة النبوة في قوله ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾(٥)))(٦).

---

(١) الآية (١١٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٥٤).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٤ـ ٩٥).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٥).

(٥) جزء من الآية (٦٩) من سورة النساء.

(٦) البحر المحيط (٥/ ١١٣).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما كان الذي نالوا به الإقبال من مولاهم عليهم - مما وصفهم به من الضيق وما معه - هو التقوى والصدق في الإيمان كما كان ما يجده الإنسان في نفسه مما الموت عنده والقذف في النار أحب إليه من التلفظ به صريح الإيمان بشهادة المصطفى ﷺ، رغّب سبحانه في الصدق))(١).

من خلال السابق نقله، ذكر الطاهر أن هذه الآية بمترلة التذييل للقصة العجيبة، ولأحوال جميع المخلفين على اختلافهم، لبيان أن النجاة في جميع الأحوال كانت بسبب الصدق، لذا جاء الأمر بالتقوى والصدق كحال الثلاثة الذين اتقوا وصدقوا فأنجاهم الله وقبل توبتهم.

واعتبر ابن عطية أن الأمر بالتقوى والصدق بعد ذكر قصة الثلاثة اعتراض للتنبيه على امتثالهما . وكذلك أبو حيان ذكر أنها اعتراض للتنبيه على أنهما يُخرِجان من دائرة النفاق، وعلى علو مرتبة الصدق.

وعند الرازي أنه لما ذكر قصة الثلاثة وتوبته عليهم، أتبعه بالأمر بالتقوى التي تبعث على الطاعة، ورغّبهم في الصدق الذي يبعث على الجهاد وعدم التخلف والنفاق. وهذا معنى ما ذهب إليه البقاعي.

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن المناسبة التي ذكرها الطا هر أنسب وأجمل لختم أحداث قصة تبوك، التي نجا فيها من اتقى وصَدَق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن عاقبة التقوى والصدق هي النجاة والفلاح، والخلوص من النفاق، فجاءت هذه الخاتمة أنسب ما يكون لختم قصة غزوة تبوك بالحثّ على أن يكون المؤمن متقيًا وصادقًا مهما كان حاله.

أيضًا في الآية تنبيه على أن التقوى والصدق لازمان لقبول التوبة، وفي كل الآيات السابقة في السورة ذُكرت التقوى إيماء أو إشارة أو تنبيهًا، إلا أنها جاءت هنا بالأمر الصريح مع الصدق للدلالة على أن التوبة يلزمها تقوى، وأن التقوى تحتاج لدليل يصدّقها، وهذا ما حدث في قصة الثلاثة الذين خلّفوا.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٩٩).

٦٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على جملة ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (٢)، وهو انتقال من عداد الكُلف التي تصدر عنهم بلا قصد في سبيل الله إلى بعض الكلف التي لا تخلو عن استشعار من تحِل بهم بأنهم لقُوها في سبيل الله، فالنفقة في سبيل الله لا تكون إلا عن قصد يتذكر به المنفق أنه يسعى إلى ما هو وسيلة لِنصر الدين ، والنفقةُ الكبيرة أدخل في القصد ، فلذلك نبّه عليها وعلى النفقة الصغيرة ليعلم بذكر الكبيرة حكم النفقة الصغيرة لأن العلة في الكبيرة أظهر وكان هذا الإطناب في عدّ مناقبهم في الغزو لتصوير ما بذلوه في سبيل الله)) (٣).

من خلال السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية استمرار في تعداد مناقب المؤمنين في الجهاد، وتصوير لما بذلوه في سبيل الله عن قصد واعتناء كإنفاق أموالهم، بعد أن ذكر في الآية التي قبلها المشاق التي تعتريهم بلا قصد، فهو إطناب في تعداد مناقبهم في الجهاد.

ويظهر أن ما ذكره الطاهر هو إضافة جديدة ومما تفرد به على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الجهاد مشاق بدنية ومالية، وأن كل بذل مالي في سبيل الله مهم وذو دور، فلا يحتقر الإنسان نفقة بذلها قليلة كانت أو كثيرة . وربما كان ذكر النفقة والتفصيل فيها لكون الزمن وقت عسرة، وقد تشح النفوس بالقليل، وقد لا تجد الكثير. والله تعالى أعلم.

أيضًا ما جاء في الآية ينطبق على عدم احتقار أي معروف ولو كان صغيرًا، فرب كلمة أو نفقة أو فعل حسن ينفع أو يدفع، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

---

(١) الآية (١٢١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢٠) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٥٧_ ٥٨).

٦٧ــ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((كان غالب ما تقدم من هذه السورة تحريضًا على الجهاد وتنديدًا على المقصرين في شأنه ، وانتهى الكلام قبل هذا بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله ﷺ فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين للغزو. وإذ قد كان من مقاصد الإسلام بث علومه وآدابه بين الأمة وتكوين جماعات قائمة بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها ، من أجل ذلك عُقب التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جُندًا ، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخَرُ يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه ما يضمن انتظام أمره وطول دوامه ، فإن اتساع الفتوح وبسالة الأمة لا يكفيان لاستبقاء سلطانها إذا هي خلت من جماعة صالحة من العلماء والسَّاسَة وأولي الرأي المهْتمين بتدبير ذلك السلطان ... وإذ قد كانت الآية السابقة قد حرضت فريقًا من المسلمين على الالتفاف حول رسول الله ﷺ في الغزو لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يُذكر عقبها نَفْر فريق من المؤمنين إلى رسول الله ﷺ للتفقه في الدين ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((وتجيء هذه الآية مبينة لذلك مطردة الألفاظ مت صلة المعنى من قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ يَحْذَرُونَ ﴾ بيّن في آخر الآية العموم الذي في أولها إذ هو معرض أن يتأول فيه ألا يتخلف بشر)) (٣).

٢ــ قال الرازي: ((اعلم أنه يمكن أن يقال هذه الآية من بقية أحكام الجهاد ، ويمكن أن يقال إنها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد.

---

(١) الآية (١٢٢) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٥٨ــ ٥٩).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٦).

أما الاحتمال الأول ... والمعنى: أنه لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا بكليتهم إلى الغزو والجهاد، بل يجب أن يصيروا طائفتين؛ تبقى طائفة في خدمة الرسول ، وتنفر طائفة أخرى إلى الغزو ، وذلك لأن الإسلام في ذلك الوقت كان محتاجاً إلى الغزو والجهاد وقهر الكفر، وأيضاً كانت التكاليف تحدث والشرائع تنزل ، وكان بالمسلمين حاجة إلى من يكون مقيماً بحضرة الرسول ﷺ فيتعلم تلك الشرائع ، ويحفظ تلك التكاليف ويبلغها إلى الغائبين، فثبت أن في ذلك الوقت كان الواجب انقسام أصحاب رسول الله ﷺ إلى قسمين أحد القسمين ينفرون إلى الغزو والجهاد ، والثاني يكونون مقيمين بحضرة الرسول ، فالطائفة النافرة إلى الغزو يكونون نائبين عن المقيمين في الغزو ، والطائفة المقيمة يكونون نائبين عن النافرين في التفقه ، وبهذا الطريق يتم أمر الدين بهاتين الطائفتين...

وأما الاحتمال الثالث : وهو أن يقال هذه الآية ليست من بقايا أحكام الجهاد ، بل هو حكم مبتدأ مستقل بنفسه، وتقريره أن يقال إنه تعالى لما بيّن في هذه السورة أمر الهجرة ، ثم أمر الجهاد، وهما عبادتان بالسفر، بيّن أيضاً عبادة التفقه من جهة الرسول ﷺ وله تعلق بالسفر)) (١).

٣ــ قال أبو حيان : ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ كلا النفيرين هو في سبيل الله ، وإحياء دينه، هذا بالعلم، وهذا بالقتال)) (٢).

٤ــ قال البقاعي: ((ذلك مظنة أن لا يتخلف بعدها أحد عن رسول الله ﷺ وعمن يقوم مقامه فيتمكن حينئذ الأعداء من الأموال والذراري والعيال، فأتبع ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الذين حثهم على النَّفر الرسوخ في الإيمان ﴿لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ أي جميعًا فإن ذلك يخل بكثير من الأغراض الصالحة، وهو تعليم لما هو الأنسب بالدين والدنيا من انقسام الناس قسمين: قسمًا للجهاد، وقسمًا للنفقة وحفظ الأموال والأولاد، كل ذلك بأمره عليه الصلاة والسلام والعمل بما يرضاه، ولا يخفى ذلك على المخلص)) (٣).

٥ــ قال الألوسي: ((والمراد نهيهم عن النفير جميعاً لما فيه من الإخلال بالتعلم)) (٤).

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أنه بعد التحريض الشديد على الجهاد، بيّن أن التمحض فيه وترك التعلم والتفقه ليس من مصلحة المسلمين، لذا عقّب بهذه الآية لبيان أن الغزو والعلم عملان يقومان في تأييد الدين وتثبيته. ثم ذكر الطاهر التناسب بين افتتاح هذه الآية وما قبلها.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٩ــ ١٨٠).

(٢) البحر المحيط (٥/ ١١٦).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٤٠٢).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٨٨).

وهذا المعنى هو ما ذهب إليه المفسرون على اختلاف ألفاظهم إلا أن الرازي ذكر أن الآية إما متعلقة بالجهاد، فتكون المناسبة هي أنه لما ذكر المنافقين وفضحهم لتخلفهم، وحرّض على الجهاد، فكان المؤمنون يتسارعون للنفير كلهم حتى لا يُكتبوا من المنافقين، وكان الإسلام بحاجة للغزو، وكانت الشرائع تترل، فجاءت هذه الآية لينقسم المسلمون إلى قسمين، قسم للجهاد، وآخر للتفقه . وفي هذا المعنى وافق الرازي بقية المفسرين، والقول الثاني للرازي أنها ابتداء غير متعلقة بالجهاد، فذكر أنه لما بيّن في السورة أمر الهجرة ثم الجهاد وكلاهما عبادتان فيها سفر، بيّن هنا أن التفقه في الدين عبادة لها تعلق بالسفر . وهذا معنى لطيف لكنه لا يتناسب وسياق الآيات.

وأولى المناسبات هو ما ذكره الطاهر ووافق فيه بقيةَ المفسرين إلا أن الطاهر تميز بحسن العرض ودقة الفهم، وهذه إضافة جديدة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن العلم والجهاد سبيلان لنشر الدين، وفي طلب العلم جهاد، وفي الجهاد علوم وآداب، وعلى الأمة أن لا تُغفل جوانب الإصلاح الأخرى كالتعليم والتعمير، فتتلاقى جميع الجهود من جهاد وتعليم وعمران، كل طائفة وفرقة تقوم بدورها، فهذا يجاهد بعلمه وطلبه للعلم، وذاك يجاهد بسلاحه ودحر العدو، فيزول كل باطل، ولا تبقى حجة لمحتج.

٦٨_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((فالجملةُ مستأنفة استئنافاًابتدائياً تكملة للأمر بما يتعيّن على المسلمين في ذيول غزوة تبوك . وفي توجيه الخطاب للذين آمنوا دون النبي إيماء إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يغزو بعد ذلك وأن أجله الشريف قد اقترب . ولعل في قوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ إيماء إلى التسلية على فقد نبيهم عليه الصلاة والسلام وأن الله معهم))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((لما حضّ تعالى على التفقه في الدين، وحرّض على رحلة طائفة من المؤمنين فيه، أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار، فجمع من الجهاد جهاد الحجة وجهاد السيف))(٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما علمت المقاصد وتهيأت القلوب لقبول الفوائد، وأمر بالإنذار بالفقه، وكان من الناس من لا يرجع إلا بشديد البأس، أقبل على الكل مخاطباً لهم بأدنى أسنان القلوب ليتوجه إلى الأدنى ويتناول الأعلى منه من باب الأولى)) (٤).

من خلال السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية مستأنفة لإكمال ما يتعيّن على المسلمين بعد غزوة تبوك، ولم يُخاطِب النبي هنا مع المؤمنين إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزو بعد ذلك ولاقتراب أجله، وأخبرهم بأنه معهم تسلية لقلوبهم على فقده ﷺ.

وعند أبي حيان أنه لما حضهم على التفقه وطلبه، أَمَر بقتال من يليهم من الكفار، فجمع جهاد الحجة والسيف.

أما البقاعي فذكر أنه لما تبينت المقاصد، وأمر بالإنذار بالفقه، وكان من الناس من لا يستجيب، أَمَر بقتال الكفار الذين يلونهم ثم ما بعدهم.

من خلال ما سبق بيانه، تكون المناسبة التي ذكرها الطاهر أنسب للسياق، وتعد من إضافاته . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) الآية (١٢٣) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٦٣).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١١٧).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٤٠٣).

في الآية بلاغ أخير وأمر للمؤمنين بقتال الأقرب من الكفار ثم الأبعد، فكأنه لما حرّضهم على الجهاد، وأمرهم بالتفقه والعلم، وضع لهم الخطة التي يسيرون عليها في الجهاد، والقاعدة التي يجب اتباعها كما اتبعها رسول ﷺ في جهاده: وهي البدء بالأقرب فالأقرب في نشر الدين الإسلامي، كما بدأت الدعوة الغراء بالمقربين ثم الأبعد فالأبعد.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: ((تأييد وتشجيع ووعد بالنصر إن اتقوا بامتثال الأمر بالجهاد)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((ثم وعد تعالى في آخر الآية وحض على التقوى التي هي ملاك الدين والدنيا وبها يلقى العدو)) (٢).

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان التقدير: وليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال ولا جاه فإنها ملاك الأمر كله، قال منبهًا على ذلك بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ فلا تخافوا أن يؤدي شيء من مصاحبتها إلى وهن فإن العبرة بمن كان الله معه)) (٣).

٣_ قال الألوسي: ((بالعصمة والنصرة، والمراد بهم المخاطبون والإظهار للتنصيص على أن الإيمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين... فالكلام تعليل وتأكيد لما قبله)) (٤).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت مناسبة الطاهر مع ما ذكره ابن عطية والبقاعي، ومعنى كلامهم أنه ذيّل الآية بالإعلام بأنه تعالى مع المتقين، حضًا على التقوى ولتكون الباعث على القتال والغلظة، وتأكيدًا للنصر إن امتثلوا الجهاد وأحكامه التي ارتضاها الله تعالى.

وجعلها الألوسي تعليلاً وتأكيدًا لما قبلها، وفيه كذلك معنى الوعد والتشجيع للمجاهدين

ومما سبق بيانه فالمناسبات جميعها ذات معانٍ متقاربة. والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٦٤).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٩٧_ ٩٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٤٠٤).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٩٠).

أثر المناسبة:

لما أوضحت الآيات الطريقة التي يجب امتثالها في جهاد الكفار، والغلظة وقت المعركة على المحاربين، جاء الحضّ على التقوى لينقطع كل داعٍ للجهاد، وكل مطمع في القتال، غير إعلاء كلمة الله ونشر دينه، وليُعلَم أن النصر حليف المتقين، وأن الله معهم ولن يخذلهم، فلا تُخشى قوة في الأرض، ولكي تُطبّق أحكام الجهاد وآدابه المشروعة على تقوى من الله.

٦٩_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على قوله : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ ﴾(٢) وهذا عود إلى بيان أحوال المنافقين وما بينهما اعتراضات: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾(٣) ، ولما في قوله قبل هذا: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ (٤)))(٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((ولما استطرد من سفر الغزو وتأنيب المتخلفين عن الرسول إلى سفر التفقه في الدين ، ثم أمر بقتال من يلي من الكفار ، والغلظة عليهم عاد إلى ذكر مخازي المنافقين ، إذ هم الذين نزل معظم السورة فيهم وكان في الآية قبلها إشارة إلى الغلظة على الكفار وهم منهم))(٦).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر هذه السورة أي الطائفة الحاضة بصيغة " لولا " على النفر مع رسول الله ﷺ الآمرة بجهاد الكفار والغلظة عليهم، وكان لا يحمل على ذلك إلا ما أشار إليه ختم الآية السالفة من التقوى بتجديد الإيمان كلما نزل شيء من القرآن، وكان قد ذكر سبحانه المخالفين لأمر الجهاد بالتخلف دون أمر الإيمان حين قال ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾(٧) التفت إلى ذلك ليذكر القسم الآخر وهو القاعد عن الإيمان فقال : ﴿ وَإِذَا ﴾ وأكد بزيادة النافي تنبيهًا على فضل الإيمان فقال: ﴿ مَآ ﴾. ولما كان المنكي لهم مطلق النزول، بني للمفعول قوله: ﴿ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ ﴾ أي قطعة من القرآن، أي في معنى من المعاني))(٨).

---

(١) الآية (١٢٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة

(٤) جزء من الآية (١٢٣) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١١/ ٦٤_ ٦٥).

(٦) البحر المحيط (٥/ ١١٨).

(٧) جزء من الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٨) نظم الدرر (٣/ ٤٠٤).

من خلال السابق نقله، ذكر الطاهر أن هذه الآية عود إلى بيان أحوال المنافقين، وهي معطوفة على ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾وما بينهما اعتراضات.

أما أبو حيان فقد ذكر أنه بعد الاستطراد في سفر القتال والتفقه، والأمر بجهاد الأقرب من الكفار، فلما ذكر القتال والغلظة على هؤلاء، وكانت السورة تنزل في المنافقين، كان ذلك إشارة إلى المنافقين، فعاد إلى بيان مخازيهم.

وعند البقاعي أنه لما سبق وذَكَر المخالفين لأمر الجهاد دون الإيمان بالتخلف في ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾، ثم ذكر الأمر بجهاد الكفار والغلظة عليهم، وجدد الإيمان بالتقوى، التفت هنا لذكر القسم القاعد عن الإيمان . وذكر البقاعي أنه جاء بالتأكيد تنبيهًا على فضل الإيمان.

من خلال ما سبق بيانه، فإن الجميع متفق على أنه عود للحديث عن المنافقين، ولكنهم اختلفوا في ربطها بما قبلها. وأنسب الأقوال بدون تكلف هو ما ذهب إليه الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

استطراد أخير في ذكر فئة المنافقين وعودة إلى بيان مخازٍ أخرى ليكون ختام الحديث عنهم في هذه السورة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((والفاء في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ للتفريع على حكاية استفهامهم بحملِهِ على ظاهر حاله وصرفه عن مقصدهم منه . وتلك طريقة الأسلوب الحكيم، وهو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكتة ، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحدًا إيماناً قياساً على أحوال قلوبهم فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثرَ من الزيادة، وهو حصول البشر لهم . وارتُقِيَ في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأن السورة ليست منفياً عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط بل الأمر أشد إذ هي زائدة في كفرهم ، فالقِسم الأول المؤمنون زادهم إيماناً وأكسبتهم بشرى فحصل من السورة لهم نفعان عظيمان، والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. فالوجه أن تكون جملة ﴿وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا﴾ وأن تكون جملة: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ

كَٰفِرُونَ ﴾ معطوفة على جملة: ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا ﴾(١) لأن مضمون كلتا الجملتين مما أثرته السورة . أما جملة: ﴿ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ فهي حال من ضمير ﴿ وَمَاتُواْ ﴾. وقوبل قوله: ﴿ وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ في جانب المؤمنين بقوله: ﴿ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ في جانب المنافقين تحسيناً بالازدواج، بحيث كانت للسورة فائدتان للمؤمنين ومصيبتان على المنافقين، فجُعل موتهم على الكفر المتسبب على زيادة السورة في كفرهم بمنزلة مصيبة أخرى غير الأولى وإن كانت في الحقيقة زيادة في المصيبة الأولى . هذا وجه نظم الآية على هذا النسج من البلاغة والبديع، وقد أغفل فيما رأيت من التفاسير، فمنها ما سكت عن بيانه . ومنها ما نُشرت فيه معاني المفردات وترك جانب نظم الكلام)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((ثم ابتدأ ﷻ الرد عليهم والحكم بما يهدم لبسهم ، فأخبر أن المؤمنين الموقنين قد زادتهم إيماناً، وأنهم يستبشرون من ألفاظها ومعانيها برحمة الله ورضوانه)) (٣).

٢ــ قال الرازي: ((ثم إنه تعالى أجاب فقال إنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران، وحصل للكافرين أيضاً أمران، أما الذي حصل للمؤمنين: فالأول: هو أنها تزيدهم إيماناً إذ لا بد عند نزولها من أن يقروا بها ويعترفوا بأنها حق من عند الله ،... والثاني: ما يحصل لهم من الاستبشار ...ثم جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين ، فقال ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾(٤) يعني المنافقين ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾...والأمر الثاني: أنهم يموتون على كفرهم ، فتكون هذه الحالة كالأمر المضاد للاستبشار الذي حصل في المؤمنين ، وهذه الحالة أسوأ وأقبح من الحالة الأولى وذلك لأن الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرجاسة، وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكفر وموتهم عليه)) (٥).

٣ــ قال البقاعي: ((﴿ فَمِنۡهُم ﴾ أي من المنزل إليهم ﴿ مَّن يَقُولُ ﴾ أي إنكارًا واستهزاء، وهم المنافقون ﴿ أَيُّكُمۡ ﴾ أي أيها العصابة المنافقة ﴿ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ ﴾ إيهامًا لأنهم متصفون بأصل الإيمان، لأن الزيادة ضم الشيء إلى غيره مما يشاركه في صفته، هذا ما يظهرون تسترًا، وأما حقيقة حالهم عند أمثالهم

---

(١) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٦٥ــ ٦٦).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٨).

(٤) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ١٨٣).

فالاستهزاء استبعادًا لكونها تزيد أحدًا في حاله شيئًا، وسبب شكهم واستفهامهم أن سامعيها انقسموا إلى قسمين: مؤمنين ومنافقين، ولذلك أجاب تعالى بقوله مسبباً عن إنزالها: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾)) (١).

٤ـ قال الألوسي: ((﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جواب من جهته تعالى شأنه وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلاً وآجلاً. وقال بعض المدققين إن الآية دلت على أنهم مستهزئون وأن استهزاءهم منكر فجاء قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (٢) الخ تفصيلاً لهذين القسمين)) (٣).

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أن هذا التفريع جواب على استفهامهم بغير ما كانوا يترقبون، فبيّن أن الذين آمنوا زادتهم إيمانًا وبشرى، وهاتان فائدتان عظيمتان، فأبطل ما قصده المنافقون من أن السورة لا تزيد أحدًا إيمانًا قياسًا على أنفسهم، وزاد في الجواب بأنها تزيدهم كفرًا ورجسًا على ما هم فيه ويموتون عليه، وهاتان مصيبتان عظيمتان. وبمثل هذا المعنى قال الرازي، إلا أنه يظهر حسن عرض الطاهر للمناسبة، وصبغها بالصبغة البلاغية، وهو مما يعتبر من إضافاته.

واقتصرت أقوال المفسرين على أن الإتيان بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جواب وبيان لحال المنافقين الذي استهزأوا و أنكروا زيادة الإيمان باستفهامهم، وهذا الجواب بيّن كونهم فريقين في التأثر بالمنزّل.

ومن خلال ما سبق يكون هذا التفريع جوابًا وردًّا على المنافقين من الله تعالى إبطالاً لمزاعمهم بذكر ما يحصل للمؤمنين وما يحصل للمنافقين، وما ذكره الطاهر والرازي أوفى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أثر القرآن الكريم على المنافقين، فهذه هي آخر الآيات التي نزلت في هذه السورة بالحديث عنهم، وهذه صفة أخرى وعلامة فارقة، تُضاف إلى قائمة صفاتهم القبيحة السابقة.

وتُبيّن الآية طريقة المنافقين في تلقي آيات الله، وهي التساؤل في ريب وشك عن أثر السورة في زيادة الإيمان الذي يدّعونه. فبيّن الله حالهم، وندد به، وبيّن حال المؤمنين المعاكس ونوّه به، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٤٠٤).

(٢) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٣) روح المعاني (١١/ ٢٩١).

ويظهر من نظم الآية إتيان الجواب مفرعًا غير مرتقب لدحض ما ذهبوا إليه، وقَلبِ استفهامهم المتهكم عليهم، وبيان عاقبتهم، وهكذا يجب أن يكون الرد على أهل الباطل، سريعًا مباشرًا واضح النتائج.

٧٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على جملة ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ (٢) إلى آخره فهي من تمام التفصيل)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى لما بيّن أن الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون ، وذلك يدل على عذاب الآخرة، بيّن أنهم لا يتخلصون في كل عام مرة أو مرتين عن عذاب الدنيا)) (٤).

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر أنهم بموتهم على الكفر رائحون إلى عذاب الآخرة، ذكر أنهم أيضاً في الدنيا لا يخلصون من عذابها)) (٥).

٣_ قال البقاعي: ((ولما كان التقدير تسبيباً عما جزم به من الحكم بعراقتهم في الرجس وازديادهم منه : أفلا يرون إلى تماديهم في النفاق وثباتهم عليه؟ عطف عليه تقريرهم بعذاب الدنيا والإنكار عليهم)) (٦).

من خلال النقل السابق، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم.

فلما ذُكر في الآية السابقة أن من عذاب المنافقين موتهم وهم كافرون، وكان هذا عذابهم في الآخرة، فصّل هنا عذابهم في الدنيا وزيادة الرجس المذكور في الآية السابقة، بأنهم يفتنون في كل عام . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

رغم جميع المنبهات، والتذكير بشتى الأساليب والوسائل، إلا أن المنافقين لا يرتدعون، فلا هم يتوبون ولا هم يذّكرون، لذا جمعوا مع عذاب الآخرة، عذاب الدنيا المتكرر من الفتن والمحن وغيرها، والعياذ بالله من ذلك كله.

---

(١) الآية (١٢٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٦٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٨٤).

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٩).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٤٠٥).

٧١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على جملة: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ ﴾(٢) والظاهر أن المقصود عطف جملة: ﴿ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ على جملة: ﴿ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ ﴾. وإنما أعيدت جملة الشرط لبعد ما بين الجملة المعطوفة وجملة الجزاء، أو للإشارة إلى اختلاف الوقت بالنسبة للتزول الذي يقولون عنده ﴿ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ ﴾ وبالنسبة للسورة التي عند نزولها ينظر بعضهم إلى بعض، أو لاختلاف السورتين بأن المراد هنا سورة فيها شيء خاص بهم)) (٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ﴾: ((بيان لجملة ﴿ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ لأن النظر تفاهموا به فيما هو سِرّ بينهم؛ فلما كان النظر نظر تفاهم صح بيان جملته بما يدل على الاستفهام التعجبي، ففي هذا النظم إيجازُ حذف بديعٌ دلت عليه القرينة . والتقدير: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحةُ أمرهم نظر بعضهم إلى بعض بخائنة الأعين مستفهمين متعجبين من اطلاع النبي ﷺ على أسرارهم، أي هل يراكم من أحد إذا خلوتم ودبرتم أموركم، لأنهم بكفرهم لا يعتقدون أن الله أطْلع نبيه عليه الصلاة والسلام على دخيلة أمرهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان : ((ذكر أولاً ما يحدث عنهم من القول على سبيل الاستهزاء ثم ذكر ثانياً ما يصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الإيماء والتغامز بالعيون إنكارًا للوحي وسخرية ... نظر بعضهم إلى بعض على جهة التقرير يفهم من تلك النظرة التقرير هل يراكم من ينقل عنكم هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم ثم انصرفوا أي عن طريق الاهتداء وذلك أنهم حين ما بين لهم كشف أسرارهم

---

(١) الآية (١٢٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٦٨).

(٤) المصدر السابق (١١/ ٦٩).

والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة النظر الصحيح والاهتداء)) (١).

٢ــ البقاعي: ((ولما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء، أتبعه تأكيدًا لزيادة كفرهم وتوضيحًا لتصويره ما يحدث من فعلهم استهزاء من الإيمان والتغامز بالعيون)) (٢).

قال الألوسي: ((بيان لأحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما أن الأول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه)) (٣).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أن هذه الآية معطوفة على أختها، فقد جاء في الأولى استفهام المنافقين عند نزول السورة عن زيادتها للإيمان، وفي هذه عَطَفَ عليها حالة أخرى من استهزائهم وهي نظرهم إلى بعضهم البعض.

وبالتأمل فيما ذكره بقية المفسرين، فإن معاني المناسبات المذكورة واحد ولكن الألفاظ مختلفة.

فتكون المناسبة أنه لما بيّن مقالتهم المُستهزئة عند نزول السورة، بيّن بعد ذلك أفعالهم المُستهزئة حال نزول السورة وكونهم في مجلس الوحي. والله تعالى أعلم.

وذكر الطاهر ــ في مناسبته الثانية ــ وأبو حيان أنه لما ذكر تغامزهم بالنظر إلى بعضهم البعض، أتبعه بذكر استفهامهم التعجبي من إطلاع النبي ﷺ على أسرارهم ومكائدهم دليلاً على كفرهم وبُعدهم عن الاهتداء. وهي مناسبة واضحة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أساليب المنافقين في الاستهزاء من الوحي حين نزوله، فتارة بالمقول وتارة بالفعل.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: ((وزيادة جملة: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ﴾ لإفادة أنهم لم يكتسبوا من نزول السورة التي أطلعت المؤمنين على أسرارهم عبرةً ولا قُربًا من الإيمان، بل كان قصارى أمرهم التعجب والشك في أن يكون قد اطلع عليهم من يبوح بأسرارهم ثم انصرفوا كأن لم تكن عبرة. وهذا من جملة الفتن التي تحل بهم ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون. وجملة: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا، لأن ما أفاده قوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ﴾ من عدم انتفاعهم بما في تلك

---

(١) البحر المحيط (٥/ ١٢٠).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٤٠٦).

(٣) روح المعاني (٦/ ٢٩٢).

السورة من الإخبار بالمغيبات الدال على صدق الرسول ﷺ يثير سؤال من يسأل عن سَبب عدم انتفاعهم بذلك واهتدائهم، فيجاب بأن الله صرف قلوبهم عن الفهم بأمر تكويني فحُرموا الانتفاع بأبلغ واعظ))[1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((لما كان الكلام في معرض ذكر التكذيب بدأ بالفعل المنسوب إليهم وهو قوله ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ ثم ذكر فعله تعالى بهم على سبيل المجازاة لهم على فعلهم))[2].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجنًا، أشار إلى شدة قبحه بأداة التراخي فقال: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ أي إن لم يكن أحد يراهم، وإن رآهم أحد من المؤمنين تجشموا المشقة وثبتوا؛ ولما كانوا مستحقين لكل سوء، أخبر عنهم في أسلوب الدعاء بقوله : ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ﴾ أي الذي له الغنى المطلق والكمال كله ﴿قُلُوبَهُم﴾ أي عن الإيمان))[3].

من خلال ما سبق نقله، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الجملة.

فيذكر الطاهر أنه لما ذكر انصرافهم وعدم انتفاعهم بالهدى، كان ذلك مثار سؤال سائل عن السبب في عدم الانتفاع، فبيّن أنه تعالى صرف قلوبهم.

وذكر أبو حيان أنهم لما قاموا بالانصراف، أتبعه ببيان فعل الله لهم على سبيل المجازاة.

أما البقاعي فذكر أنهم لما انصرفوا وكان فعلهم قبيحًا في هذا المقام، قابل ذلك بالدعاء عليهم بصرف قلوبهم.

ومن خلال ما سبق بيانه، تتشابه مناسبتا أبي حيان والبقاعي، وتكون مناسبة الطاهر من إضافاته . وجميع ما ذكروه من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان مجازاة الله تعالى للمنصرفين عن هديه، والمعرضين عن وحيه، بصرف قلوبهم ومنعهم من الانتفاع لأنهم منعوا أنفسهم ابتداء.

والانصراف والإعراض صفة من صفات المنافقين، وخصلة قبيحة اتصفوا بها.

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٦٩).

(٢) البحر المحيط (٥/ ١٢٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٤٠٦).

٧٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هاتين الآيتين لما قبلها : ((كانت هذه السورة سورة شدة وغلظة على المشركين وأهل الكتاب والمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، وأمْرًا للمؤمنين بالجهاد، وإنحاء على المقصرين في شأنه. وتخلل ذلك تنويه بالمتصفين بضد ذلك من المؤمنين الذين هاجروا والذين نصروا و اتبعوا الرسول في ساعة العسْرة. فجاءت خاتمة هذه السورة آيتين بتذكيرهم بالمنة ببعثة محمد ﷺ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال. ومن أخصها حرصهُ على هداهم ، ورغبته في إيمانهم ودخولِهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفًا رحيمًا بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢)، بحيث جاء في هاتين الآيتين بما شأنه أن يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيبًا للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة، وكذلك عادة القرآن . فقد انفتح بهاتين الآيتين باب حظيرة الإيمان والتوبة ليدخلها من وفقه الله إليها . فالجملة مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا. وفي وقوعها آخر السورة ما يكسبها معنى التذييل والخلاصة)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله عليه السلام أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة، ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف، وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم. وأيضًا فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم ، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة ، إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق ، وأن الأب مشفق ، صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة ، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان . فكذا ههنا لما عرفتم أنه رسول حق من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير)) (٤).

---

(١) الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٧٠).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٨٦_ ١٨٧).

٢ــ قال أبو حيان : ((لما بدأ السورة ببراءة الله ورسوله من المشركين، وقص فيها أحوال المنافقين شيئًا فشيئًا خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمن عليهم ، بكونه جاءهم رسول من جنسهم، أو من نسبهم عربيًا قرشيًا يبلغهم عن الله متصف بالأوصاف الجميلة، من كونه يعز عليه مشقتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب، ويحرص على هداهم، ويرأف بهم ويرحمهم)) (١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما أمر ﷺ أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة جدًا من أمر هذه السورة، وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى، وأما المنافقون فيكرهون ذلك وكان انصرافهم دالاً على الكراهة، عرفهم أن الأمر كان يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي لهم المقتضي لملازمته والبعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه، وأن أحواله الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التي أوجبت لهم منهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به والمغالاة فيه، وأن كل ما يحصل بهذا القرآن من العز والشرف في الدنيا فهو لكل من آمن به فقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، تقاربت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

فالمناسبة عند الطاهر أنه لما جاء في السورة بأوامر وتكليفات، وتنويهات بالمؤمنين المجاهدين المنفقين والتائبين، وتنديدات بالمنافقين والمتخلفين والأعراب المتشددين، وبراءة من أهل الكتاب والمشركين، ناسب أن يختم السورة بالتذكير النعمة المسداة، والرحمة المهداة، محمد سيد خلق الله ﷺ، وبصفاته الجامعة للكمال والرحمة، فكل ما جاء به من تشريعات هو لإصلاح حال الناس وشفقة بهم، وقد جاءت هذه الخاتمة بعد ذكر الغلظة والشدة كعادة القرآن الكريم، فاتحة باب التوبة والرحمة للجميع.

وعند الرازي أنه لما جاءت السورة بتكاليف ومشاق، ختم السورة بسهولة ما يوجب تحملها ب أن مبلغها هو رسول الله ﷺ من أنفسكم، وما جاء به فيه عزكم، وعائد إليكم بالخير إذا طبقتموه دنيا وأُخرى.

وذكر أبو حيان أنه لما افتتح السورة بالبراءة من المشركين، وحكى أحوال المنافقين، جاء هنا بمخاطبة العرب بالمن عليهم ببعثة الرسول ﷺ منهم، وباتصافه بصفات جميلة جليلة.

وذكر البقاعي أنه لما أُمر الرسول ﷺ ببلاغ ما في هذه السورة، وكان المنافقون يكرهون ذلك وينصرفون عنه، جاء هنا ببيان الدواعي التي تقتضي محبة الرسول ﷺ والإقبال عليه، وأن كل ما جاء به هو شرف لهم في الدنيا.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ١٢٠).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٤٠٧).

وجميع ما ذُكر من مناسبات يلتقي في أن هذا الختام جاء بعد الأوامر الشديدة التي تضمنتها هذه السورة، وأنسبها وألطفها أن ذكر الرسول ﷺ هنا وهو المرسل رحمة للعالمين بعد هذه التكاليف، فيه فتح لباب التوبة، وامتنان بالنعم، ودعوة للامتثال.

ومما سبق يظهر تميز الطاهر في حسن العرض، وجودة السبك، وجعل هذ ه الآية كأنها تذييل للسورة، وخلاصة لها. وهو مما تفرد به على غيره من المفسرين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

١ــ ذُكِر الرسول ﷺ في أول آية من هذه السورة خلال الحديث عن البراءة والشدة على المشركين بنبذ عهودهم، وذُكر الرسول ﷺ هنا في الختام في سياق الامتنان وتعداد النعم والرحمات وهو المبعوث رحمة للعالمين والمبلغ لشرع الله، وهذا يدل على أن كل ما تضمنته السورة من تكليفات شديدة هي في النهاية رحمة وخير وفلاح.

٢ــ رغم كل الشدة والغلظة التي حوتها السورة من أولها لآخرها، إلا أنه فتح في كثير من المواضع باب التوبة للناس كافة، وأكد هذا المعنى في هذا الختام.

٣ــ سُنة ذكر الرسول ﷺ في الختام، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا وأبدًا، ما سطع القمران، وتعاقب الجديدان، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله المتفضل بكل إنعام، حمدًا يليق بذي الجلال والإكرام، حمدًا كثيرًا مباركًا على الدوام، أحمده سبحانه على توفيقه وعونه وتسخيره، فلقد أنعم عليّ بأن أدرس المناسبات القرآنية من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور في سورتي الأنفال والتوبة، وكان لهذا البحث نتائجه المهمة ومن أهمّها ما يلي:

١ـ مكانة علم المناسبات، وأنه ذو وجوه إعجازية وبيانية وبلاغية عديدة.

٢ـ أن بيان المناسبة القرآنية واستنباطها يعتمد على التأمل والتدبر والنظر في محور السورة الرئيس ومقاصدها وأغراضها الأخرى.

٣ـ أن المناسبات بين الآيات موجودة دون شك، قد تظهر حينًا وتخفى حينًا أخرى على المفسر، وأنه لا ينبغي التكلف في طلبها.

٤ـ أن إظهار المناسبة القرآنية فيه ردّ قاطع على كل طعن في ترابط آيات القرآن الكريم.

٥ـ أن الآية قد يكون لها أكثر من مناسبة من أوجه مختلفة.

٦ـ أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين اسم السورة وأهم أغراضها.

٧ـ أن الطاهر بن عاشور كان عالمًا بارزًا في علم المناسبات القرآنية.

٨ـ أن الطاهر لم يكن مجرد ناقل للمناسبات القرآنية عمن سبقه من المفسرين، بل في أحيان كثيرة كان مستقلاً بآرائه، مستفيدًا من غيره.

٩ـ أن الطاهر كان معتدلاً في بيان المراسبات بين الآيات.

١٠ـ أن الطاهر بحث علم المناسبات بين الآيات والمقاطع وأجزاء الآية الواحدة، ولم يبحث المناسبات بين السور.

١١ـ أن هناك أثرًا في كل مناسبة، وهذا يزيد من وضوح غرض الآية ومقصودها.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتتضمن الآتي:

١ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ـ فهرس الآثار.

٤ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥ـ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٦ـ فهرس القبائل.

٧ـ فهرس الأماكن والبلدان.

٨ـ فهرس الأبيات الشعرية.

٩ـ فهرس المصادر والمراجع.

١٠ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	البقرة: ٣	٢	٧٢
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾	البقرة: ٤	٢	٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾	البقرة: ١٥٣	٢	٧٢
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ ﴾	البقرة: ٩٦	٢	١٨٥
﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾	البقرة: ١٩٤	٢	٢٥٢
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾	البقرة: ٢٣٥	٢	١٠٠
﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾	البقرة: ٢٦٩	٢	٥٢
﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾	آل عمران: ٧٣	٣	٥٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ ﴾	آل عمران: ١٥٥	٣	٨٦

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾	النساء: ١	٤	٣٥
﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾	النساء: ٦٩	٤	٣٤٦
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾	النساء: ١٠٥	٤	٥١
﴿ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾	النساء: ١٠٧	٤	١٥٤
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	النساء: ١٤٢	٤	٢٧١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	المائدة: ١١	٥	٣٣
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	المائدة: ٣١	٥	١٩٣
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾	المائدة: ٣٨	٥	١٨
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴾	المائدة: ٤٨	٥	٥١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾	المائدة: ٥٤	٥	٢٩٤
﴿تَكۡسِبُونَ﴾	الأعراف: ٣٩	٧	١٢٢
﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾	الأعراف: ١٩٩	٧	٣٤
﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾	الأعراف: ٢٠٣	٧	٣٤
الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	الأنفال: ١	٨	٣٢، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٩١، ٩٢، ١٢٧
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾	الأنفال: ٢	٨	٣٤، ٦٧، ٧٣
﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	الأنفال: ٣	٨	٧١
﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾	الأنفال: ٤	٨	٧٣، ٧٥
﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾	الأنفال: ٥	٨	٧٤، ٧٨
﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾	الأنفال: ٦	٨	٧٥

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	الأنفال: ٧	٨	٧٨ ، ٨٠، ٩١
﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾	الأنفال: ٨	٨	٧٨، ٩١
﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾	الأنفال: ٩	٨	٨٠، ٨٩
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ١٠	٨	٨٢
﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾	الأنفال: ١١	٨	٨٢
﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾	الأنفال: ١٢	٨	٨٤، ٨٦
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴾	الأنفال: ١٣	٨	١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾	الأنفال: ١٥	٨	٦٤، ٨٤، ٩١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنفال: ١٧	٨	٨٤، ٨٦، ٨٨ ، ٨٩، ٩١
﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	الأنفال: ١٨	٨	٨٨ ، ٨٩
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الأنفال: ١٩	٨	٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾	الأنفال: ٢٠	٨	٦٥، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١١١
﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾	الأنفال: ٢١	٨	٩٥، ١١٦
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	الأنفال: ٢٢	٨	٩٥
﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	الأنفال: ٢٣	٨	٩٥، ١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	الأنفال: ٢٤	٨	٦٥، ٩٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾	الأنفال: ٢٥	٨	١٠٣
﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	الأنفال: ٢٦	٨	١٠٥، ١١٤، ١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	الأنفال: ٢٧	٨	٦٥، ١٠٧
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾	الأنفال: ٢٨	٨	١٠٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	الأنفال: ٢٩	٨	٦٥، ١١١
﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾	الأنفال: ٣٠	٨	١١٤، ١١٦
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآۙ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	الأنفال: ٣١	٨	٣٤، ١١٦
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٣	٨	١١٧

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الأنفال: ٣٤	٨	١١٧، ١٢٠، ١٢١
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٥	٨	١٢٠، ١٢٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٦	٨	١٢٣
﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٧	٨	١٢٣
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	الأنفال: ٣٨	٨	١٢٥
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	الأنفال: ٣٩	٨	١٢٧
﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الأنفال: ٤١	٨	٣١، ١٢٧، ١٢٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنفال: ٤٢	٨	١٢٩
﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ ﴾	الأنفال: ٤٤	٨	١٣١، ١٣٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	الأنفال: ٤٥	٨	٦٥، ١٣١، ١٣٧
﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	الأنفال: ٤٦	٨	٥٢، ٦٥، ٨٦، ١٣١، ١٣٧
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾	الأنفال: ٤٧	٨	١٣٧، ١٣٩
﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾	الأنفال: ٤٨	٨	١٣١، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	الأنفال: ٤٩	٨	١٤١
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾	الأنفال: ٥٠	٨	١٤٤
﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾	الأنفال: ٥٢	٨	٣٤، ١٤٦، ١٤٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾	الأنفال: ٥٣	٨	٥٣، ١٤٦
﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾	الأنفال: ٥٤	٨	١٤٧، ١٥١
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	الأنفال: ٥٥	٨	١٥١
﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾	الأنفال: ٥٦	٨	١٥١
﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾	الأنفال: ٥٧	٨	١٥٣، ١٥٨، ١٥٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾	الأنفال: ٥٨	٨	١٥٣
﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴾	الأنفال: ٥٩	٨	١٥٦، ١٥٨، ١٥٩
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾	الأنفال: ٦٠	٨	١٥٨
﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	الأنفال: ٦١	٨	١٦١
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	الأنفال: ٦٢	٨	١٦٣
﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٣	٨	١٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	الأنفال: ٦٤	٨	١٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾	الأنفال: ٦٥	٨	١٧٠

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٧	٨	١٧٢، ١٧٥
﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٨	٨	١٧٤، ١٧٥
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٩	٨	١٧٥، ١٨٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأنفال: ٧٠	٨	١٧٨
﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ٧١	٨	١٨٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	الأنفال: ٧٢	٨	١٨١، ١٨٣، ١٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾	الأنفال: ٧٣	٨	١٨٣، ١٨٥

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾	الأنفال: ٧٤	٨	١٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾	الأنفال: ٧٥	٨	١٨٥، ١٨٧
﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	التوبة: ١	٩	١٩٩، ٢٠٤، ٢٢١
﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	التوبة: ٢	٩	١٩٣، ١٩٧
﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	التوبة: ٣	٩	١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١١
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ٤	٩	٢٠١، ٢١١
﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	التوبة: ٥	٩	٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٤٢، ٢٥٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ٧	٩	٢٠٤، ٢١١، ٢١٣
﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾	التوبة: ٨	٩	٢١١، ٢١٣
﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	التوبة: ٩	٩	٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣
﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾	التوبة: ١٠	٩	٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٣
﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾	التوبة: ١١	٩	٢٠٧
﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾	التوبة: ١٢	٩	٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧
﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	التوبة: ١٣	٩	٢١٣، ٢١٧
﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾	التوبة: ١٤	٩	٢١٧، ٢١٩، ٢٤٣

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ١٥	٩	٢١٩
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾	التوبة: ١٧	٩	٢٢١، ٢٢٤، ٢٤٥
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾	التوبة: ١٨	٩	٢٢٤، ٢٣١
﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	التوبة: ١٩	٩	٢٢٨، ٢٣٢
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾	التوبة: ٢٠	٩	٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤
﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾	التوبة: ٢١	٩	٢٣٤
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	التوبة: ٢٢	٩	٢٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	التوبة: ٢٣	٩	٢٠٨، ٢٣٧
﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾	التوبة: ٢٤	٩	٢٣٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾	التوبة: ٢٥	٩	٢٤٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	التوبة: ٢٨	٩	٢٢١، ٢٤٢
﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	التوبة: ٢٩	٩	٣٣٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾	التوبة: ٣٤	٩	٣١، ٢٤٧
﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ٣٦	٩	٥٥، ٢٥٢، ٢٥٧

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	التوبة: ٣٧	٩	٢٥٧
﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾	التوبة: ٣٨	٩	٢٦١، ٢٦٣، ٣٠٩، ٣٣٥
﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	التوبة: ٣٩	٩	٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢ ،
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	التوبة: ٤٠	٩	٢٦١
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾	التوبة: ٤١	٩	٣٣٥، ٣٣٦
﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾	التوبة: ٤٢	٩	١٩١، ٢٦٣، ٣٠٩ ،
﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾	التوبة: ٤٥	٩	٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾	التوبة: ٤٦	٩	٢٦٦
﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	التوبة: ٤٧	٩	٢٦٦
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ ﴾	التوبة: ٤٩	٩	١٩١
﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾	التوبة: ٥٠	٩	٢٦٨
﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾	التوبة: ٥٣	٩	٢٦٩، ٢٧٠
﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾	التوبة: ٥٤	٩	٢٦٩، ٢٧٠
﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾	التوبة: ٥٥	٩	٢٧٢
﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾	التوبة: ٥٦	٩	٢٧٤
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾	التوبة: ٥٨	٩	١٩٩، ٢٧٦، ٢٧٧

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾	التوبة: ٥٩	٩	٢٧٦
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	التوبة: ٦٠	٩	٢٧٧
﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ﴾	التوبة: ٦١	٩	١٩١، ٢٧٧
﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾	التوبة: ٦٥	٩	٢٧٩، ٢٨٧
﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾	التوبة: ٦٦	٩	٢٧٩
﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	التوبة: ٦٧	٩	٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٧ ، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾	التوبة: ٦٨	٩	٢٨٥، ٢٩٤

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾	التوبة: ٦٩	٩	٢٨٢، ٢٨٧
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	التوبة: ٧١	٩	٢٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	التوبة: ٧٣	٩	٢٩٤، ٢٩٨، ٣٣٦
﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾	التوبة: ٧٤	٩	٢٩٧
﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ﴾	التوبة: ٨٠	٩	٣٠٠، ٣٠٦
﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾	التوبة: ٨١	٩	٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦
﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	التوبة: ٨٢	٩	٣٠٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾	التوبة: ٨٣	٩	٣٠٤،
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾	التوبة: ٨٤	٩	٣٠٦
﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾	التوبة: ٨٥	٩	٣٠٨
﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾	التوبة: ٨٦	٩	٣٠٩، ٣١٢، ٣٥٥
﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	التوبة: ٨٧	٩	٣١١، ٣١٢
﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	التوبة: ٨٨	٩	٣١٢
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ٩١	٩	٣١٤، ٣١٥
﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	التوبة: ٩٣	٩	٣١٥، ٣١٦

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾	التوبة: ٩٤	٩	٣١٥، ٣١٨
﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	التوبة: ٩٥	٩	٣١٨
﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾	التوبة: ٩٧	٩	٣١٩
﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾	التوبة: ٩٨	٩	٣٢٠
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾	التوبة: ١٠٠	٩	٣٢٠
﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾	التوبة: ١٠١	٩	٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣١
﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ ﴿عَسَى﴾	التوبة: ١٠٢	٩	٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣١
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	التوبة: ١٠٣	٩	٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	التوبة: ١٠٤	٩	٣٢٦، ٣٢٨
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	التوبة: ١٠٥	٩	٣٢٨
﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ ﴾	التوبة: ١٠٦	٩	٣٣٠، ٣٣١
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾	التوبة: ١٠٧	٩	٣٣٠، ٣٣٣
﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ١١٠	٩	٣٣٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	التوبة: ١١١	٩	٣٣٥
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾	التوبة: ١١٥	٩	٣٣٩، ٣٤١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾	التوبة: ١١٦	٩	٣٤١
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	التوبة: ١١٧	٩	٣٤٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	التوبة: ١١٩	٩	٣٤٦
﴿ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ ﴾ ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾	التوبة: ١٢٠	٩	٣٤٨
﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	التوبة: ١٢١	٩	٣٤٨
﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾	التوبة: ١٢٢	٩	٣٤٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ١٢٣	٩	٣٥٢، ٣٥٥
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾	التوبة: ١٢٤	٩	٣٥٥، ٣٦١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾	التوبة: ١٢٥	٩	٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠
﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾	التوبة: ١٢٦	٩	٣٦٠
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾	التوبة: ١٢٧	٩	٣٦١
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	التوبة: ١٢٨	٩	١٢٨، ٣٦٤
﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	يونس: ١١	١٠	٣٣
﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	يونس: ٦٥	١٠	٣٢، ٣٣
﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾	يونس: ٦٦	١٠	٣٤

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	هود: ١	١١	٢٩
﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾	يوسف: ٣	١٢	٥٢
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾	النحل: ٨٩	١٦	٥١
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	الأنبياء: ١٠٧	٢١	٣٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	الحج: ١	٢٢	٣٥
﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾	الفرقان: ٢٣	٢٥	٢٢٣
﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾	القصص: ٣	٢٨	٣٣
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾	القصص: ٥٨	٢٨	٥٣، ١٧٦
﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾	العنكبوت: ٤٣	٢٩	٢٠٩
﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	الأحزاب: ٦٠	٣٣	٢٩٤، ٣٠٨
﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾	الأحزاب: ٦١	٣٣	٢٩٤، ٣٠٨
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	ص: ٢٩	٣٨	٢٨، ٥١
﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾	الشورى: ٣٨	٤٢	٥٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾	ق: ١٦	٥٠	١٠١
﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾	الحديد: ٢٠	٥٧	١١٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾	المنافقون: ٩	٦٣	٢٤١
﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾	المنافقون: ١٠	٦٣	١٠٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾	التغابن: ١٤	٦٤	٢٤٠
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	القلم: ٤	٦٨	٥١
﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	البروج: ٨	٨٥	٢٠٦
﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾	الفجر: ٢٨	٨٩	٢٣٥

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءة ١٩١
إِنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَن ١٦٥
بَعَثَني أبو بَكْرٍ في تِلْكَ الْحَجَّةِ في مُؤَذِّنِينَ يوم النَّحْرِ ١٩٠/ ٢٢١
فأذَّن معنا علي بن أبي طالب في أهل منى ببَراءة ١٩٠
فتتبعتُ القرآن حتّى وجدت آخرَ سورة التوبة ١٩٠
قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: سُوْرَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ.............................. ٦٢
كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن ٥١
كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ أَبُو جَهْلٍ فَإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَى القَوْمُ ٨٨
لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا ١٣١
لا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ٦٩
لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ ٢٤١
لما أسروا الأسارى يوم بدر وفيهم صناديد المشركين ١٧٢
لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْر ٦١
ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلاَّ أنْ أسقي الحاج ٢٢٨
لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ.. ٢٢٧
مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ٧٥
وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ٦٩

فهرس الآثار

إذا حدثتَ عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله، وما بعده ١٨
إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا (ابن مسعود ﵁) ١٧

فهرس الأعلام المترجم لهم

إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (البقاعي) ١٧
أبو خزيمة الأنصاري ٢٢٥
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (أبو جعفر بن الزبير الأندلسي) ٢١
أحمد بن حنبل ١٧٢
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) ٢٧
أحمد بن محمد بن إسماعيل (أبو جعفر النحاس) ١٥٤
بشار بن برد ٤٧
الحارث بن خزيمة (أبو خزيمة الأنصاري) ١٩٠
الحجاج بن يوسف بن الحكم ٦٢
جالينيوس ٤٠
حبيب بن أوس بن الحارث (أبو تمام) ٤٧
حذيفة بن اليمان ١٩٢
حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب (الخطابي) ١٩
حمزة بن حبيب بن عمارة (أبو عمارة الكوفي) ٥٣
خالد بن زيد ١٩٣
خلف بن هشام بن ثعلب ٥٣
زهر بن عبد الملك بن زهر ٤٠
زياد بن معاوية الذبياني (النابغة) ٤٧
زيد بن ثابت ١٩٠
سالم بن عمر بوحاجب النبيلي ٤١
سفيان بن سعيد الثوري ١٩٤

سعد بن أبي وقاص ٦١
سعد بن عبادة ٧٥
سعيد بن جبير ٦١
سيد بن قطب ٢٤
عامر بن شراحيل (أبو عمرو الشعبي الكوفي) ١٦٨
عبد الحق بن غالب بن عبد الملك (ابن عطية) ٢٠
عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (جلال الدين السيوطي) ٢٣
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني ١٦٨
عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة) ١٩٠
عبد الله بن أبي سلول ١٥٦
عبد الله بن عباس ٦١
عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٩٢
عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ٥٠
عبد الله بن محمد بن جعفر (الأصبهاني) ٦٢
عبد الله بن محمد بن زياد (أبو بكر النيسابوري) ١٨
عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ٢٥
عبد الله بن مسعود........................ ١٧
عبد العزيز بن عبد السلام ٢٩
عبد الملك بن قريب الأصمعي ١٨
عبد الملك بن عاشور ٤٢
عبيد بن عمير........................ ١٩٣
عثمان بن طلحة ٢٢٨
علي بن أحمد بن الحسين الحرالي ٢١
علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (أبو الحسن الواحدي) ٦١

علي بن حمزة الكسائي ٥٣
عمر بن أحمد ابن الشيخ ٤١
عمر بن علي (ابن عادل الحنبلي) ٧٤
عمرو بن هشام (أبو جهل) ٨٨
مالك بن أنس الأصبحي ٤٠
محمد بن إدريس الشافعي ١٨
محمد بن أحمد الأنصاري (القرطبي) ٥٠
محمد بن إسحاق بن يسار (ابن إسحاق) ٦٢
محمد بن إسماعيل البخاري ٤٠
محمد بن جرير الطبري ١٨
محمد بن الحسن بن محمد (أبو بكر النقاش) ١٦٧
محمد بن الطيب بن محمد (أبو بكر الباقلاني) ١٩
محمد بن عبد الله بن بهادر (الزركشي) ١٦
محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (أبو بكر ابن العربي) ١٦
محمد بن عثمان النجار ٤٢
محمد بن علي بن عبد الواحد (ابن الزملكاني) ٢٢
محمد بن علي بن محمد (الشوكاني) ٣٠
محمد بن عمر بن الحسين (فخر الدين الرازي) ٢٠
محمد بن عيسى الترمذي ١٧٢
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود) ٢٤
محمد بن يوسف بن علي بن حيان (أبو حيان الأندلسي) ٢٢
محمد البشير الإبراهيمي ٤٥
محمد الحبيب ابن الخوجة ٤٢
محمد الخضر بن الحسين التونسي ٤٥

محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور) ٢٤
محمد الطاهر الميساوي ٤٨
محمد الفاضل ابن عاشور ٤٢
محمد العزيز بن محمد بوعتور ٣٨
محمد النخلي ٤٢
محمود بن عبد الله الحسيني (الألوسي) ٢٤
محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ١٩
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ٤٠
المقداد بن الأسود ١٩٣
النعمان بن بشير ٢٢٨
يحيى بن زياد (الفراء) ٢٨٧
يعقوب بن إسحاق الحضرمي ٥٣

فهرس المصطلحات

ارتبق ١٢٥
الإدماج ٢٣٣
الاحتراس ١٥٨
الإطناب ١٢٩
الأنفال ٦١
الإلب ١٨٣
الإيجاف ١٧٥
بكت ٢١٧
التخلص ٨٣
تسوخ ١٢٩
الثلمة ١٨٧
خبار ١٢٩
رأب ١٨٧
ربقة ٢٧٤
الشنشنة ٣٤٤
علم المناسبة ١٧
عهد الأمان ٣٩
المخاتلة ٨٢
المدرسة الصادقية ٣٩
المناسبة ١٦

فهرس القبائل

خزاعة ٢٤٢

بنو قريظة ١٥٢

فهرس الأماكن والبلدان

بدر ٦٢
تبوك ١٩٢
المرسى ٣٨

فهرس الأبيات الشعرية

تألقتِ الآدابُ كالبدر في السَّحَرْ وقد لفظ البحران موجُهما الدرر ٤٦
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَشْرَبُ مِنْ دَمِي ١٣٦

فهرس المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

٢ــ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هــ ــ ٢٠٠٣م.

٣ــ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هــ ــ ١٩٨٩م.

٤ــ أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الشركة الجزائرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.

٥ــ أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هــ ــ ١٩٩٢م.

٦ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هــ ــ١٩٩٦م.

٧ــ أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٨هــ ــ ٢٠٠٧م.

٨ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هــ ــ ١٩٩٢م.

٩ــ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هــ ــ ١٩٩٢م.

١٠ــ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.

١١ــ إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٢ــ الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي.

١٣ــ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

١٤ــ أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، عُني به: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هــ ــ ٢٠٠٧م.

١٥ــ بحث تقديم كتاب التحرير والتنوير، إعداد: مهدي بن حميدة، منشور على موقع مكتبة الجامع الكبير الإسلامية:

http://٣lsooot.com/book/view-١٥١٥.html

١٦ــ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه وخرّج أحاديثه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هــ ــ ١٩٩٣م.

١٧ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

١٨ــ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.

١٩ــ البلاغ الأخير في سورة التوبة، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هــ ــ ١٩٩٢م.

٢٠ــ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢١ــ تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢ــ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٢٣ــ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٤ــ تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هــ.

٢٥ــ التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا/ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هــ ــ ١٩٩٢م.

٢٦ــ تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٧ــ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.

٢٨ــ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ.

٢٩ــ تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـــ ــ ١٩٩٤م.

٣٠ــ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـــ ــ ٢٠٠٧م.

٣١ــ التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، منشور على موقع:
http://u-of-islam.net/uofislam/maktaba/Qran/al-tafseer/01/a6.htm

٣٢ــ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس.

٣٣ــ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، كتب هوامشه وضبطه : حسين بن إبراهيم زهران، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، طبعة جديدة مخرجة الأحاديث .

٣٤ــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـــ ــ ٢٠٠٤م.

٣٥ــ التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـــ ــ ٢٠٠٣م.

٣٦ــ التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـــ ــ ٢٠٠٣م.

٣٧ــ التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د.محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ.

٣٨ــ تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ ــ ١٩٨٦م.

٣٩ــ التناسب بين سورة البقرة للباحث طارق حميدة رسالة ماجستير بجامعة القدس/ فلسطين، تاريخ المناقشة : ١٧/٦/٢٠٠٧م، لجنة المناقشة : الدكتور حاتم جلال التميمي: مشرفًاورئيساً للجنة، الدكتور عطية صدقي الأطرش: ممتحناً خارجياً، الدكتور إسماعيل أمين نواهضة: ممتحناً داخلياً و لم تنشر بعد ومنشورة على موقع صيد الفوائد www.saaid.net

٤٠ــ تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الله الدرويش، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـــ ــ ١٩٨٧م.

٤١_ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م.

٤٢_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م.

٤٣_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٤_ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٧م.

٤٥_ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧م.

٤٦_ جواهر البيان في تناسب سور القرآن، أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه وشركاهما.

٤٧_ خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، عمرو خالد، أريج للنشر والتوزيع، الدقى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م.

٤٨_ دراسات في علوم القرآن الكريم، د..فهد عبد الرحمن سليمان الرومي، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م.

٤٩_ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد/ الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ _ ١٩٧٢م.

٥٠_ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ _١٩٩٥م.

٥١_ ديوان عنترة بن شداد.

٥٢_ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٣_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر.

٥٤_ سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٥٥_ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م.

٥٦_ السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق وضبط وشرح وفهرسة: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٤م.

٥٧_ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٨_ شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د.بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م.

٥٩_ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ _ ١٩٩٣م.

٦٠_ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦١_ صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ _ ١٩٧٩م.

٦٢_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٦٣_ طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٦٤_ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٥_ طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

٦٦_ طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٦٧_ طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

٦٨_ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٦٩_ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م.

٧٠_ فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، بيوت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢م.

٧١_ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م.

٧٢_ في عمارة السورة القرآنية، محمود البستاني، مقالة منشورة على الموقع:
http://www.u-of-islam.net/uofislam/behoth/behoth_quran/56/a6.ht

٧٣_ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٤_ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م.

٧٥_ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م.

٧٦_ العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الإعجاز البياني في سورة التوبة، كامل سلامة الدقس، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ _ ١٩٧٥م.

٧٧_ علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للشيخ الإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل السيوطي، تأليف وتحقيق: د.محمد عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م.

٧٨_ علم المناسبات في القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، سي دي مجلة البيان، منشور على:
http://www.islamselect.com/article/٥٣٣

٧٩_ علم المناسبات القرآنية، موضوعه، تطوره، مكانته، مقالة لعبد الحميد محمود غانم، مجلة البيان السنة التاسعة عشرة * العدد ٢٠٢* جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ * يوليو / أغسطس ٢٠٠٤م.

٨٠_ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٨١ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أصيبعة، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٨٢ـ غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٨٣ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٨٤ـ لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية ـالهند ـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٥ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

٨٦ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٨٧ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٨ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٩ـ محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن الخوجة، طباعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٩٠ـ مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩١ـ مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٩٢ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٣ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٩٤ـ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، د.عادل محمد صالح أبو العلا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٩٥ــ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الحافظ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٧م.

٩٦ــ المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هــ.

٩٧ــ معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت.

٩٨ــ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هــ ــ ١٩٨٣م.

٩٩ــ معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافية والرحلات، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هــ ــ ١٩٨٦م.

١٠٠ــ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه ــ ١٩٩٣م، بالإضافة إلى طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠١ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هــ ــ ١٩٢٨م.

١٠٢ــ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

١٠٣ــ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هــ.

١٠٤ــ مفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

١٠٥ــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التتريل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هــ ــ ٢٠٠٧م.

١٠٦ــ المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، د. عبد الله بن مقبل القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٢هــ.

١٠٧ــ المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، أحمد محمد قاسم مذكور، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف: د. إسماعيل الميمني، سنة المناقشة: ١٤٢٩هـــ ــ ٢٠٠٨م.

١٠٨ــ موسوعة ويكيبيديا الحرة.

١٠٩ــ موقع ملتقى البيان لتفسير القرآن http://www.bayan-alquran.net

١١٠ــ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د.محمد عبد الله دراز، دار القلم، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـــ ــ ١٩٩٦م.

١١١ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج الآيات والأحاديث ووضع الحواشي: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـــ ــ ٢٠٠٦م.

١١٢ــ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـــ ــ ٢٠٠٠م.

١١٣ــ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة ٣
Thesis Abstract ٤
المقدمة ٥
أهمية الموضوع ٥
أسباب اختيار الموضوع ٦
الدراسات السابقة ٦
حدود البحث ٧
خطة البحث ٧
منهج البحث ٩
شكر وتقدير ١٢
التمهيد ١٤
المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات ١٥
المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات ونشأته ١٦
تعريف علم المناسبة ١٦
نشأة علم المناسبة ١٧
المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته ٢٧
المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات ٢٩
المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات...........٣٢
أنواع المناسبات...٣٢
أشهر المؤلفات ٣٥
المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب ٣٧
المطلب الأول: التعريف بالمؤلف ٣٨

اسمه ومولده ٣٨
أسرته ونشأته ٣٨
علمه وشهادته ٤٠
شيوخه ٤٢
تلاميذه ٤٢
مناصبه ووظائفه ٤٣
من إصلاحاته ٤٤
أخلاقه ٤٥
مؤلفاته ٤٦
وفاته ٤٨
المطلب الثاني: التعريف بالتحرير والتنوير ٤٩
منهجه في تفسيره ٥٢
المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات ٥٦
المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات ٥٧
المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات ٥٩
الفصل الأول: سورة الأنفال ٦٠
المبحث الأول: وجه تسميتها ٦١
المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها ٦٤
المبحث الثالث: تناسب آياتها وأثره ٦٧
المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾........ ٦٧
المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾........ ٧١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾.. ٧٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ ٧٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾................................ ٧٨

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾.. ٨٠

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾.............. ٨٢

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾.. ٨٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾........................ ٨٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.............. ٨٨

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾.. ٩١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (٢٢) وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾.................... ٩٥

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ ٩٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ ١٠٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ ١٠٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ١٠٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ ١٠٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ ١١١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ ١١٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ لا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ١١٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ١١٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ ١٢٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ١٢٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٢٥

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٢٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٢٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ١٣١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ١٣٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ١٣٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾........................ ١٤١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾.............................. ١٤٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.................................... ١٤٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾...................... ١٤٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾...................... ١٥١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾.. ١٥٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾.............. ١٥٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.................................. ١٥٨

المناسبة في قوله تعالى:﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.. ١٦١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.. ١٦٣

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.......................... ١٦٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾........... ١٦٧

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾... ١٧٠

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.......................... ١٧٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾........ ١٧٤

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾... ١٧٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.......................... ١٧٨

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾... ١٨٠

المراسبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.............................. ١٨١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.............................. ١٨٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ ١٨٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ ١٨٧

الفصل الثاني: سورة التوبة ١٨٩

المبحث الأول: وجه تسميتها ١٩٠

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها ١٩٥

المبحث الثالث: تناسب آياتها وأثره ١٩٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ١٩٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ١٩٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ ٢٠١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ ٢٠٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ ٢٠٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ ٢٠٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾.......................... ٢١١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.. ٢١٣

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾.. ٢١٧

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.. ٢١٩

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾.......................... ٢٢١

المناسبات في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.. ٢٢٤

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.............. ٢٢٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾...................................... ٢٣٢

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ (٢١) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾.............................. ٢٣٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.......... ٢٣٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾... ٢٣٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾.. ٢٤٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.. ٢٤٥

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾........................ ٢٤٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.. ٢٥٢

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.. ٢٥٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾........................ ٢٦٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾........................ ٢٦١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾.. ٢٦٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾... ٢٦٥

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.................. ٢٦٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾........................... ٢٦٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾... ٢٦٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾................. ٢٧٠

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.................................... ٢٧٢

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾.. ٢٧٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ ٢٧٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ ٢٧٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ ٢٧٩

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ ٢٨٢

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ ٢٨٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ ٢٨٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ ٢٨٩

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ ٢٩٤

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾
.... ٢٩٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾.. ٣٠٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾............ ٣٠٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴾............ ٣٠٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾... ٣٠٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾.. ٣٠٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾.............................. ٣٠٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾.. ٣١١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾......................... ٣١٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣١٤

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣١٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ٣١٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٣١٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٣٢٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ ٣٢٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٣٢٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٣٢٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٣٢٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ٣٣٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٣٣٣

المناسبات في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ٣٣٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٣٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٣٤١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٣٤٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ٣٤٦

المناسبة في قوله تعالى : ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ٣٤٨

المناسبة في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ٣٤٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ٣٥٢
المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ٣٥٥
المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ٣٦٠
المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ ٣٦١
المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣٦٤
الخاتمة ٣٦٧
الفهارس ٣٦٨
فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٦٩
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٠١
فهرس الآثار ٤٠٢
فهرس الأعلام المترجم لهم ٤٠٣
فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة ٤٠٧
فهرس القبائل ٤٠٨
فهرس الأماكن والبلدان ٤٠٩
فهرس الأبيات الشعرية ٤١٠
فهرس المصادر والمراجع ٤١١
فهرس الموضوعات ٤١٩